السلام عليك يا

كلمة العدد

النهضة.. والواقع السلطوي

المشرف العام ٦

عقبة بن سمعان.. ووقائع الثورة الحسينية

الشيخ حسـن الربيعي ٨

صلح الحسن(ع) وثورة الحسين(ع)

المرحوم عبد الحليم مرزه ١٥

دور التصوير الإسلامي في عرض واقعة كربلاء

حيدر الجـد ٢٠

الريان بن شبيب والأول من المحرم

علي سـعد النجفي ٢٨

قصيدة: إمام الخلود

د. محمد الحلي ٣٥

الإمام الحسين(ع) معطيات إنسانية

باسل حسن لايذ ٣٦

قصيدة: انعتاق الطفوف

عبد المجيد فرج الله ٤١

جون مسك الصفوة

جـواد أبو غنيـم ٤٢

من شهداء المنبر.. الشيخ عبد الأمير أبو الطابوق

أحمد الكعبي الطويرجاوي ٥٠

لقاءات الإمام الحسين(ع).. قراءة تحليلية

د. محمد محمود زوين ٥٤

واقعة فخ.. تقارب الأحداث والشخوص

السيد محمد علي الحلو ٦٢

ص ٥٠

ص ٢٠

ص ٧٠

قصيدة: العباس بن علي(ع)

السيد محمد جمال الهاشمي ٦٨

ثورة الإمام الحسين(ع) الحتمية والخصوصية

طالب علي الشـرقي ٧٠

الإمام الحسين(ع).. ثائراً

الحاج فلاح العلـي ٧٤

الشيخ محمد نصّار ونصّارياته

د. كريم جبر الزبيدي ٨٤

قراءة في دائرة المعارف الحسينية

أحمد سلمان آل طعمة ٨٩

خصائص القصيدة الحسينية في لامية هاشم الكعبي

د. حسـن الخاقاني ٩٤

المنبر الحسيني.. أدوار متعددة وأهداف عظيمة

حيدر نزار السيد سلمان ١٠٢

من أدب السبي.. واقعة الطف أنموذجاً

د. حافظ المنصوري ١٠٦

قصيدة: أبا التضحيات

سلمان هادي آل طعمة ١١١

مع أنطوان بارا في كتابه (الحسين في الفكر المسيحي)

حسين جهاد الحساني ١١٢

فلسفة الثورة الحسينية

د. مشكور العوادي ١٢٠

أجوبة مسابقة العدد(١٤) وأسماء الفائزين ١٢٨

مسـابقة العـدد ١٢٩

ص١٠٢

ص١٠٦

ص٦٨

كلمة العدد

النهضة.. والواقع السلطوي

بسم الله الرحمن الرحيم

تتجدد ذكرى واقعة الطف وهي غضة طرية فتستعد النفوس لاستعادة الذكريات المؤلمة التي حلت بالنجوم من آل عبد المطلب عليهم السلام والنازلة الكبرى التي نزلت بهم من غير ذحل ولا ترات، إلا لقول الحق للحق والنصيحة للنصيحة، وهكذا تبدأ المشاعر الإيمانية تنساب نحو التأجيج والانفعال، وتبدأ بالتحرك كل حسب طاقته وما أوتي من روح ذكرياتية، والكل مشتركون في قضية واحدة تلك التي أصبحت وعلى مدى أربعة عشر قرناً موسماً مفروضاً على كل مسلم مهما كانت انتماءاته المذهبية، بل قد ينجر ذلك إلى كثير من غير المسلمين لقوة آصرتهم معهم ليتأثروا بذلك الموسم، وينعكس عليهم بشكل أو بآخر وفي اللاشعور في أحايين أخرى، كما نسمع ذلك في بعض البلاد الغربية.

ومنه نعرف وجه الحكمة البالغة التي دعته صلوات الله وسلامه عليه أن يُقدم ذلك الإقدام ليضحي بنفسه الشريفة، ويذهب دمه بارداً لم يطلب بتراته أحد إلى ما شاء الله تعالى.

ونحن إذ نستعيد ذكراه العطرة ـ شأننا شأن المحبين والموالين في أرجاء المعمورة ـ نقف وقفة متألم ومتأمل، لنستلهم من هذه الذكرى الفواحة ما يزيد من إيماننا بقضية الحسين عليه السلام التي من أهم أوصافها أنها كانت فيصلاً بين الحق والباطل إلى يوم القيامة.

وبعرض سريع يتناسب مع الكلمة نشير إلى بعض الجوانب، ونترك للقارئ الكريم مقارنة الأمور ومقايستها ليتضح له ما نرمي إليه مما تركته النهضة المباركة من أثر كبير لدى الواقع السلطوي في الدولة الإسلامية، فإنه بعد رحيل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وحرف الخلافة الإسلامية عن مسيرتها المخطط لها، والاستيلاء عليها من الآخرين، بدأت مسيرة الدولة الإسلامية متمثلة بالخليفة ذي الصلاحيات التشريعية الواسعة لفرض نيابته المطلقة عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فله التحريم وله التحليل، بل له إضافة الأحكام، وإلغاء الحدود والتعزيرات، وهكذا... ولم يفكر أحد بتغيير ذلك الواقع فضلاً عن حدوث التغيير الخارجي لما للخلافة من القدسية في النفوس، حتى انجرّ الحال إلى الصلاحية في تعيين من بعده بشكل لا يقبل النقاش ومن أي فرد من أفراد المسلمين، إلى أن مرت برهة ـ ليست بالقصيرة ـ من الزمن وإذا بتلك الخلافة المقدسة لعبة قيصرية يستبد فيها من يستبد، ويورثها الأب لابنه، عند ذلك لم يجد سيد

الشـهداء عليه السلام بـدّاً مـن أن يقـف أمـام هذا التيـار الجارف الذي ينـذر بكارثة كبيرة على المـشروع الرسـالي الذي هو خاتمة المشـاريع السـماوية إلى يـوم القيامة، فجـرى ما جرى في تلـك العـراص، وانهـدرت تلـك الدماء الزكية بذلك الشـكل المريع، وإذا بالمسلمين يصفعون على وجوههم صفعة توقظهم بعد نوم، وتنبههم بعد غفلة، فبدؤوا ينكرون أشد النكـير بعد رفع حاجز الهيبة في النفوس. بل بدأت تلك الهيبـة بالاضمحلال والتلاشي، فتتابعت الثورات بشكل مستمر وأصبحت الخلافـة سـلطان القهـر والقـوّة، حتـى بلغ الحـال بكل فـرد من المسـلمين يمني نفسـه بالخلافـة لتصل إلى المغنين والمغنيات، فضلاً عـن العبيد والنسـاء.. عند ذلك انسـلخت الخلافة عن وشـاحها، وتعرت عن لباسـها التي كانت عليه.

وعندهـا كانـت أولى الثمار التـي ترتبت على تضحية سيد الشهداء عليه السلام وهي سلب المشروعيـة مـن الـكل بوجـه قاطـع، لعدم إمـكان ترجيـح أحدهم عـلى الآخرين لأن الكل مشـترك بواقـع واحـد، ولا مجال لأن يترجـح لها مـن غلـب بالسـيف والتسـلط والقهـر، ومنـه بدأت التكتلات الإسـلامية ـ إن صـح الوصف ـ فتبلـورت منها الفرق والمذاهـب ـ مـن حيـث المعتقـد ـ في شـأن الخلافة وهكذا، وإذا بالخلافة سـلطان يقوم بالقوّة وهو محدد بحدود السـلطنة والخلافة الدنيوية وليس للسلطان صلاحيات شرعية أكثر من صلاحيات الرعية أنفسـهم، بل هو واحـد منهم مـن هـذه الناحية. بـل غاية ما صـارت عليه الخلافـة أن ينصب السـلطان في ديـوان سـلطنته قاضيـاً يسـتعين بـه على تسـيير مسـيرته الحكومية حتى يضفي عليه مشروعيـة الخلافة التي كانـت بمثابة النبوة في النفـوس والعمـل، بـل تجاوز هـذا الحد حتى صـار السـلطان الأكثـر مشروعية من يعقـد جلسـات للعلـماء ليتذاكـروا عنـده الأحكام الشرعيـة، متناسـين أو متجاهلين أن ذلـك منقوض عليهم بـما ينبغي للخليفة من الإحاطـة بالعلوم الشرعية والدينية لأنه يمثل السماء نيابة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وهـذه ثمرة مـن أعظم الثمـرات جناية مـن واقع نهضة سـيد الشـهداء عليه السلام لتعرية الظالمـين والمتسـلطين على رقاب الشـعوب والحكم عليهم بالتعدي، وعدم مشروعيتهم ليكشـف ذلك في تاريخ الأمة الإسـلامية ـ على طوله ـ حتى يصل النكير من جملة منهم على من يصلي على محمد وآل محمد عند شنق أعتى ظالم في العصور المتأخرة بشكل يخجل النفوس الإنسانية.

فالحمـد لله الـذي عرّفنـا نهضـة سـيد الشـهداء صلوات الله وسـلامه عليه وجزاه الله عن الإسلام وأهله خير جزاء الشاكرين. والحمد لله رب العالمين ■

المشرف العام

عقبة بن سمعان..
ووقائع الثورة الحسينية

• الشيخ حسن الربيعي
الكلية الإسلامية الجامعة

ينابيع كان عقبة بن سمعان ممن شاهد وسمع كل أحداث الثورة الحسينية لأنه كان مع الركب الحسيني منذ انطلاقه من المدينة فقد روي عنه قوله: (صحبت حسيناً فخرجت معه من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى العراق، ولم أفارقه حتى قتل)[1].

ويمكن الاعتماد على رواياته كشاهد عيان لكل الأحداث التاريخية الخاصة بالثورة الحسينية المباركة، ونقل مروياته الطبري (ت٣١٠هـ) في كتابه المهم الشامل الذي امتاز عن غيره بالنقل المتعدد عن عدة جهات قد تكون مختلفة الروايات، فعلى الباحث المدقق أن يعالج هذه المرويات وفق المنطق العقلي السليم بالتحليل والاستنساخ للوصول إلى الأقرب من الحقيقة التاريخية.

لقد صرح عقبة بن سمعان بأنه يعرف كل الأحداث التي جرت منذ الانطلاقة الأولى للثورة إلى شهادة الإمام الحسين عليه السلام على أرض كربلاء، فقد نقل الطبري (ت ٣١٠هـ) في تاريخه قوله: (وليس من مخاطبة الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا في الطريق ولا بالعراق ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلا وقد

سمعتها...)[٢].

ومن كلامه رضي الله عنه نفهم أنه من رواة الثورة الحسينية وهو العالم بكل ما حصل وجرى من أحداث، فلذلك كان ينكر ما أشيع حول الثورة وقائدها الإمام الحسين عليه السلام من إشاعات أموية محاولة منهم للنيل من هذه الثورة التاريخية العظيمة وتقليل تأثيرها في النفوس، فقد أنكر ما تناقلته الأخبار عن السلطة الأموية وتقبله الجمهور ممن يوالي السلطة أو يخالف مدرسة أهل البيت عليهم السلام ونقلوه في كتبهم التاريخية عن قصد أو غفلة منهم من أن الإمام الحسين عليه السلام أراد وضع يده بيد يزيد وطلب ذلك من الجيش المحيط به، فقال عقبة بن سمعان الشاهد التاريخي للواقعة: (ألا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون، من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية)[٣].

يبدو من هذا النص أن السلطة الأموية قامت بترويج إشاعات كاذبة كان لها صداها في المجتمع الإسلامي آنذاك للتشكيك بقادة الثورة وعلى رأسهم الإمام الحسين عليه السلام، وذلك لتخفيف أثر الجرم الذي قامت به السلطة الحاكمة آنذاك، ويمكن الاستفادة من النص إيقاع اللوم على الكوفة ووواليها في عدم قبوله هذا العرض فيما يزعمون.

وقد انطلت على المؤرخين من جمهور المسلمين هذه الفرية والإشاعة فقد ذكر السيوطي (ت ٩١١هـ) في تاريخ الخلفاء قوله: (فخذله أهل الكوفة كما هو شأنهم مع أبيه من قبله، فلما رهقه السلاح عرض عليهم الاستسلام والرجوع والمضي إلى يزيد فيضع يده في يده فأبوا إلا قتله)[٤]، وهذا الكلام لا يحتاج إلى تعليق لوضوح كذبه والشواهد التاريخية على خلافه، كيف يستسلم وقد رآه أحد المشاركين في المعركة وعبر عنه بقوله: (فوالله ما رأيت مكسوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً، ولا أمضى جناناً ولا أجرأ مقدماً منه)[٥].

إن الإنصاف كل الإنصاف هو التجرد

للحقيقة التاريخية والابتعاد عن التعصب والزيغ والتقرب لأهل الباطل، فالبحث التاريخي يقتضي الموضوعية في نقل الأحداث أو على أقل تقدير عرض الآراء والروايات المختلفة كما فعل الطبري في تاريخه فهو ينقل روايات أهل الشام والعراق والمدينة، فنراه ينقل عن عقبة بن سمعان وينقل عن غيره، وفي مسألة عرض الإمام الحسين عليه السلام للقوم هو قوله عليه السلام: (دعوني فلأذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس)[٦]، هذا ما رواه عقبة بن سمعان وسجله الطبري في تاريخه.

كان عقبة بن سمعان من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام كما ذكره الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) في رجاله[٧]، وذكره مصطفى التفرشي (ت ق ١١هـ) نقلاً عن رجال الشيخ[٨]، ونقل السيد الخوئي رحمه الله (ت ١٤١٣هـ) في معجمه كلام الشيخ وأضاف إليه: (واستشهد بين يدي الحسين عليه السلام ووقع التسليم عليه في الزيارة الرجبية، وعن بعض المؤرخين من العامة أنه فر من المعركة ونجا)[٩].

لم يوجد ما يؤيد كلام السيد الخوئي رحمه الله أنه استشهد في المعركة إلا ورود اسمه من ضمن قائمة الشهداء في هذه الزيارة أي الرجبية وهي تخالف الأسماء من الشهداء في الزيارة المنسوبة إلى الناحية المقدسة عجل الله فرجه وينقل محمد مهيدي شمس الدين هذه الزيارة ويقارنها مع الرجبية في كتابه أنصار الحسين عليه السلام عن كتاب البحار للمجلسي (ت ١١١١هـ) ومع ذلك أن المجلسي صاحب البحار يعقب على الزيارة الرجبية ويشير إلى الاختلاف الوارد في الأسماء ثم يقول: (ونقلناه في كل موضع كما وجدناه)[١٠].

اشتملت الزيارة الرجبية على اسم عقبة بن سمعان باعتباره من شهداء كربلاء وهو لم يقتل في كربلاء، بل من الراجح أنه لم يشارك في المعركة على الإطلاق[١١]، وهذا خلاف الواقع التاريخي لهذا الرجل الذي واكب جميع الأحداث والى نهايتها فهل هو متفرج معهم ومن المعلوم أن الذين صحبوا الإمام الحسين عليه السلام كانوا على درجة من الوعي والإيمان يعلمه الإمام عليه السلام وقد شهد لهم بذلك.

قبض على عقبة ثم أطلق سراحه، نقل ذلك الطبري (ت ٣١٠هـ) في تاريخه: (وأخذ عمر بن سعد عقبة بن سمعان - وكان مولى للرباب بنت امرئ القيس الكلبية وهي أم سكينة بنت الحسين عليه السلام، فقال له: ما أنت؟ قال: أنا عبد مملوك، فخلى سبيله فلم ينج منهم أحد غيره)[١٢].

ولكن نجا أيضاً المرقع بن شمامة الأسدي بعد انتهاء المعركة فقد كان ناثلاً نبله وهو يقاتل، فلما آمنه نفر من قومه خرج إليهم[١٣].

لقد ذكر الطبري والجزري والمامقاني في تنقيح المقال أن جملة من مؤرخي الواقعة ذكروه بأنه كان عبداً للرباب زوجة الإمام الحسين عليه السلام وكان يتولى خدمة أفراسه وتقديمها له، ولما استشهد الإمام الحسين عليه السلام فر على فرس فأخذه أهل الكوفة ثم أطلق

سراحه، وجعل يروي أخبار الأحداث التاريخية كما حدثت ومنه أخذت أخبارها[١٤].

إن ورود اسمه في زيارة الإمام الحسين عليه السلام في أول يوم من رجب وليلته وليلة النصف من شعبان لا يدل على استشهاده في المعركة فما ذكره السيد الخوئي رحمه الله والشيخ علي النمازي في مستدركات علم رجال الحديث لا دليل عليه[١٥]، بل الدليل على خلافه فقد روى جملة من الروايات الحقيقية عن الأحداث والخطب والرسائل التي أخرجها عندما أمره الإمام الحسين عليه السلام لما لقي الحر: (يا عقبة بن سمعان، اخرج الخرجين الذين فيهما كتبهم...)[١٦]، وغيرها من الروايات التي ذكرها الطبري في تاريخه.

مرويات عقبة بن سمعان كما نقلها الطبري في تاريخه

ينقل الطبري (ت ٣١٠هـ) في تاريخه روايات عقبة بن سمعان عن عبد الرحمن بن جندب بواسطة لفظة حدثني وهو يدل على عدم استشهاده في المعركة ففي أول رواياته يقول: (عبد الرحمن بن جندب، قال: حدثني عقبة بن سمعان مولى الرباب ابنة امرئ القيس الكلبية امرأة حسين [عليه السلام] وكانت مع سكينة ابنة حسين، وهو مولى لأبيها وهي إذ ذاك صغيرة ـ قال: خرجنا فلزمنا الطريق الأعظم، فقال للحسين أهل بيته: لو تنكبت الطريق الأعظم كما فعل ابن الزبير لا يلحقك الطلب، قال: لا، والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو أحب إليه، قال: فاستقبلنا عبد الله بن مطيع فقال للحسين: جعلت فداك! أين تريد؟ قال: أما الآن فإني أريد مكة... الخ)[١٧].

وتصف هذه الرواية وصول الإمام الحسين عليه السلام مكة وطريقة نزوله فيها ومجيء الناس إليه ووجود ابن الزبير في مكة أيضاً وكان لا يرغب ببقاء الإمام الحسين عليه السلام فيها لأنه مادام فيها لا يبايعه الناس فهم يعظمون الإمام الحسين عليه السلام، ووصلت الأخبار إلى الكوفة وقد علموا بامتناع الإمام الحسين عليه السلام وعبد الله بن الزبير من البيعة ليزيد، فكتب أهل الكوفة للإمام الحسين عليه السلام وتنتهي الرواية بعبارة: وعليهم [على الكوفة] النعمان بن بشير)[١٨].

وفي الرواية الثانية جاءت بواسطة الحارث بن كعب الوالبي عن عقبة بن سمعان: (إن حسيناً [عليه السلام] لما اجمع المسير إلى الكوفة أتاه عبد الله بن عباس، فقال: يا بن عم... الخ)[١٩]، وتدور الرواية في مكة وأن مقابلة ابن عباس وعبد الله بن الزبير للإمام الحسين عليه السلام وهما يتحدثان عن الأوضاع السياسية للأمة الإسلامية وقد أبلغهم عزمه للحركة ضد الحكم الأموي والاتجاه إلى العراق.

وعن الحارث بن كعب الوالبي أيضاً عن عقبة بن سمعان قال: (لما خرج الحسين [عليه السلام] من مكة اعترضه رسل عمرو بن سعيد بن العاص عليهم يحيى بن سعيد، فقالوا له: انصرف، أين تذهب! فأبى عليهم ومضى، وتدافع الفريقان، فاضطربوا بالسياط، ثم أن الحسين [عليه السلام] وأصحابه امتنعوا

امتناعاً قوياً، ومضى الحسين عليه السلام على وجهه، فنادوه: يا حسين، ألا تتقي الله؛ تخرج من الجماعة وتفرق بين هذه الأمة، فتأول حسين [عليه السلام] قول الله عز وجل: (لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون[٢٠]، قال: ثم أن الحسين أقبل حتى مر بالتنعيم...)[٢١].

وفي الرواية وصف لأحداث الطريق إلى العراق بتفصيل الكلام الدائر بين الإمام الحسين عليه السلام وممن يلاقيه.

وفي رواية علي بن الطعان المحاربي الذي كان مع الحر بن يزيد الرياحي يذكر في هذه الرواية قول الإمام الحسين عليه السلام لعقبة بن سمعان: (اخرج الخرجين اللذين فيهم كتبهم إليّ، فأخرج خرجين مملوءين صحفاً فنشرها بين أيديهم...)[٢٢].

وهذا النص يدل على أن عقبة بن سمعان موضع ثقة الإمام الحسين عليه السلام والأمين على أسراره وكتبه ورسائله.

وعن عبد الرحمن بن جندب عن عقبة بن سمعان قال: (لما كان في آخر الليل أمر الحسين بالاستقاء من الماء، ثم أمرنا بالرحيل ففعلنا، قال: فلما ارتحلنا من قصر بني مقاتل وسرنا ساعة خفق الحسين برأسه خفقة، ثم انتبه وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين، قال: ففعل ذلك مرتين أو ثلاثاً، قال: فأقبل إليه ابنه علي بن الحسين على فرس له، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين، يا أبت، جعلت فداك؛ مم حمدت الله واسترجعت؟ قال: يا بني، إني خفقت برأسي خفقة فعن لي فارس على فرس فقال: القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم، فعلمت أنها أنفسنا نعيت إلينا، قال له: يا أبت لا أراك الله سوءاً، ألسنا على الحق؛ قال: بلى والذي إليه مرجع العباد، قال: يا أبت، إذاً لا نبالي نموت محقين... الخ) والرواية طويلة يذكرها بتمامها الطبري في تاريخه، وفيها وصف المسير إلى كربلاء حيث وصلها يوم الخميس وهو اليوم الثاني من محرم سنة إحدى وستين وفي اليوم الثالث من محرم قدم عمر بن سعد من الكوفة في أربعة آلاف[٢٣].

وكما ذكرنا هذه الرواية فيما مر، فعن عبد الرحمن بن جندب قال: (فحدثني عن عقبة بن سمعان، قال: صحبت حسيناً [عليه السلام] فخرجت معه من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى العراق...)[٢٤].

ووصف حميد بن مسلم كيفية نجاة عقبة بن سمعان بعدما أخذه عمر بن سعد ويبدو أن ذلك بعد انتهاء المعركة وشهادة الإمام الحسين عليه السلام وبهذه الرواية نعرف أنه كان في أرض المعركة ولم ينهزم منها كما جاء في بعض الروايات[٢٥] القائلة بأنه فر على فرس فأخذه أهل الكوفة وقد ذكرنا ذلك في صدر البحث[٢٦].

وعن الضحاك المشرقي وهو من الشهود العيان في المعركة وكان قد عقد اتفاقاً مع الإمام الحسين عليه السلام فقد روى الطبري (ت٣١٠هـ) أنه قال في آخر المعركة والرواية عنه: (قلت له: يا بن رسول الله، قد علمت ما كان بيني

وبينك، قلت لك: أقاتل عنك ما رأيت مقاتلاً فإذا لم أر مقاتلاً فأنا في حل من الانصراف... الخ)[٢٧].

والضحاك نفسه أيضاً من رواة الواقعة وقد روى خطبة الإمام الحسين عليه السلام التي كان أولها: (أيها الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم... الخ) وهي خطبة طويلة وذكرها الطبري في تاريخه عن الضحاك المشرقي وفي آخرها: (عباد الله إني عذت بربي وربكم أن ترجمون، أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب، قال: ثم أنه أناخ راحلته وأمر عقبة بن سمعان فعقلها)[٢٨].

وذكر بعض الباحثين أن هذه هي الخطبة الأولى للإمام الحسين عليه السلام المنتهية بنزوله عن راحلته التي عقلها عقبة بن سمعان[٢٩].

لقد وردت روايات عقبة بن سمعان في العديد من المصادر التاريخية الشيعية الإمامية وعند العامة، فقد نقل رواياته الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) في كتابه الإرشاد والفتال النيسابوري (ت ٥٠٨هـ) في روضة الواعظين، وابن شهراشوب (ت ٥٨٨هـ) في مناقب آل أبي طالب، وابن نما الحلي (ت ٦٤٥هـ)

في مثير الأحزان، وعلي بن موسى بن طاووس (ت ٦٦٤هـ) في إقبال الأعمال، والشهيد الأول (ت ٧٨٦هـ) في المزار، ومحمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ) في بحار الأنوار، وعبد الله البحراني (ت ١١٣٠هـ) في العوالم، ومحسن الأمين (ت ١٣٧١هـ) في لواعج الأشجان، ومن العامة ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) في تاريخ مدينة دمشق، وابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ) في البداية والنهاية وغيرها من المصادر والمراجع.

لقد حاولت السلطات الحاكمة طمس معالم هذه الثورة العظيمة منذ انبثاقها إلى يوم الناس هذا لما تمثله هذه النهضة الإلهية من مبادئ سامية ضد الظلم والطغيان في كل زمان ومكان،فعلى الباحثين من أهل العلم والموضوعية دراسة هذه الثورة التي تحيا وتتجدد كل يوم بعدة لحاظات وعن شهودها العيان أمثال عقبة بن سمعان والضحاك المشرقي فضلاً عن روايات أهل البيت عليهم السلام الذين بينوا أبعادها وأسرارها وأهدافها للأجيال المتعاقبة، ولن ينطفئ شعاعها مهما حاول الطغاة والجبابرة ■

---

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦م)، ج٥ ص٤١٣.
(٢) المصدر نفسه، ج٥ ص٤١٤.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) السوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، (بغداد، مطبعة منير، بلا)، ص٢٠٧.
(٥) الطبري، التاريخ، ج٥ ص٤٥٢.
(٦) المصدر نفسه، ج٥ ص٤١٤.
(٧) الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، رجال الطوسي، (قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٥هـ)، ص١٠٤.
(٨) التفرشي، مصطفى، نقد الرجال، (قم، ستارة، ١٤١٨هـ)، ج٣ ص٢٠٦.
(٩) الخوئي، أبو القاسم الموسوي، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، ج١٢ ص١٦٩.
(١٠) شمس الدين، محمد مهدي، أنصار الحسين دراسة عن شهداء ثورة الحسين الرجال والدلالات، ط١ دار الفكر، ١٩٧٥م، ص١٣٨.
(١١) المصدر نفسه، ص١٥٦.
(١٢) الطبري، التاريخ، ج٥ ص٤٥٤.
(١٣) المصدر نفسه، ج٥ ص٤٥٤.
(١٤) الشاوي، علي، الإمام الحسين في المدينة المنورة ورحلته منها إلى مكة المكرمة، (قم، مركز الدراسات الإسلامية، ١٤٢٥هـ)، ج١ ص٤١٠.
(١٥) المصدر نفسه، ج١ ص٤١١.
(١٦) أبو مخنف، لوط بن يحيى بن سعيد، مقتل الحسين عليه السلام، (قم، المطبعة العلمية، ١٣٩٨هـ)، ص٨٤.
(١٧) الطبري، التاريخ، ج٥ ص٣٥١.
(١٨) المصدر نفسه، ج٥ ص٣٥٢.
(١٩) المصدر نفسه، ج٥ ص٣٨٢.
(٢٠) سورة يونس/ الآية:٤١.
(٢١) الطبري، التاريخ، ج٥ ص٣٨٥.
(٢٢) المصدر نفسه، ج٥ ص٤٠٢.
(٢٣) المصدر نفسه، ج٥ ص٤٠٨.
(٢٤) المصدر نفسه، ج٥ ص٤١٤.
(٢٥) المصدر نفسه، ج٥ ص٤٥٤.
(٢٦) الشاوي، الإمام الحسين عليه السلام، ج١ ص٤١٠.
(٢٧) الطبري، التاريخ، ج٥ ص٤٤٤.
(٢٨) المصدر نفسه، ج٥ ص٤٢٣.
(٢٩) المولائي، عزت ومحمد جعفر الطبسي، الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، (قم، مركز الدراسات الإسلامية، ١٤٢٥هـ)، ج٤ ص٢٥٩.

صلح الحسن(ع).. وثورة الحسين(ع)

شهادتا العبقرية الفذّة

• المرحوم
عبد الحليم حاتم مرزه

ينابيع بادئ ذي بدء، نطرح بعض الأسئلة كبداية لفهم الأسباب التي أدت بالإمام السبط الحسن(ع) للصلح مع معاوية. لماذا قبل الإمام(ع) بالصلح ولم يقاتل جيش معاوية؟ وهل كان موقفه مشرفاً؟ ولماذا لم يقاتل الإمام الحسين(ع) معاوية طيلة العشر سنوات التي عاشها في حكم معاوية مسالماً؟ ولماذا قام بثورته ضد يزيد؟ نتساءل هل أن الإمام الحسين(ع) لو كان في موقف أخيه الحسن(ع) هل سيوافق على الصلح مع معاوية؟ والعكس هل أن الإمام الحسن(ع) سيقاتل يزيد لو كان في موقف الإمام الحسين(ع) في ذلك الظرف؟ هذه التساؤلات لو نجد لها

إجابات واضحة ومنطقية وبدون تعصب ولو ان المرء يحلل تحليلاً علمياً منطقياً بعيداً عن الأهواء والعواطف وبانصاف لعرف ان تصرف الإمامين المعصومين - وهما سيدا شباب أهل الجنة - مواقف لشرع الله عز وجل أولاً وثانياً هو تصرف إنسان حكيم فطن يدرك ويحلل ويستنتج للمدى البعيد خدمة لدين جدهما رسول الله صلى الله عليه وآله.

لماذا الصلح؟

من المعروف لكل الناس ان معاوية يعتبر من دهاة العرب. وانه يظهر الإسلام إلاّ انه لم يدخل قلبه الذي ورث العداوة لبني هاشم وآل بيت النبوة من أبيه فهو يقتنص الفرص للنيل من آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وكلنا يعرف الأسباب المعلنة والثانوية التي دعت الإمام الحسن عليه السلام للصلح وهي ان جيشه خذله ولم يبق معه إلاّ القليل من المخلصين وكذلك هزيمة قائد الجيش عبيد الله فكيف يقاتل جيش معاوية العرمرم؟ ألم يكن من أصحاب الحسن عليه السلام مجموعة من المقاتلين الأشداء ليقاتل بهم جيش معاوية كما فعل أخوه الحسين عليه السلام مع يزيد حيث خرج بنهضته بسبعين رجلاً؟ الجواب قطعاً نعم يوجد من الصحابة المخلصين للإمام الحسن عليه السلام أمثال حجر بن عدي الكندي وعدي بن حاتم وقيس بن سعد بن عبادة وغيرهم. لكن نظرة الإمام عليه السلام للأمور وتحليلاته وبُعد نظره لما سيحدث في المستقبل ومعرفته بشخصية معاوية وكيده وأساليبه غير نظرتنا نحن ولا نظرة أصحابه. فهو يعرف كيد معاوية ودهاءه وحقده على آل البيت النبوي عليهم السلام.

فالإمام الحسن عليه السلام أدرك بذكائه وفطنته واستنتاجاته المنطقية وتحليله لشخصية معاوية الذي لم يكن يريد قتل الإمام عليه السلام في البداية حتى لو أُسرَ وجُلب للشام حياً ولكن يريد هدم ما بناه رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام يريد الانتقام ليوم فتح مكة حين أطلق الرسول الكريم كلمته الشهيرة بحقه وبحق والده وغيرهم (اذهبوا فأنتم الطلقاء) فان معاوية أراد أن يغسل العار الذي لحقه من انه طليق وابن طليق. فأراد من حربه مع الإمام الحسن عليه السلام أن يحدث نفس الموقف. فلو

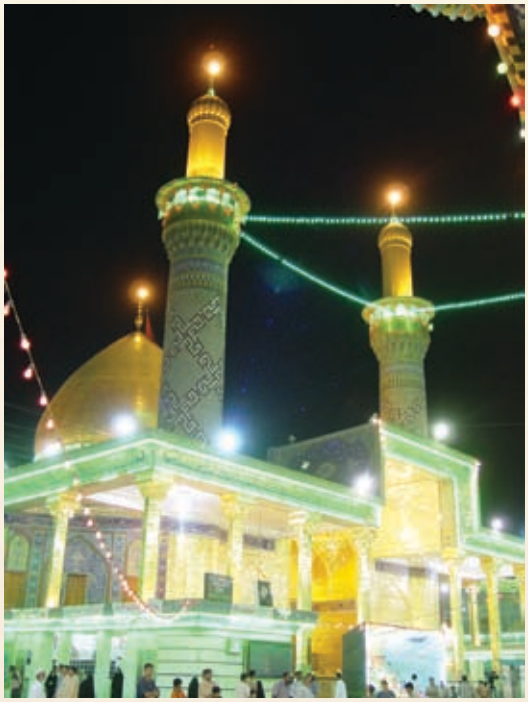

سُلّم اليه الحسن عليه السلام حياً لما كان معاوية يقتله وانما لربما يأتي به إلى الكعبة المشرفة ويعلن أمام الملأ عن عفوه عن الإمام عليه السلام ويقول لهم: (اذهبوا فأنتم الطلقاء) ويكون قد ردّ الاعتبار لآل أمية وبالخصوص له ولأبيه ويُضعف موقف الإمام عليه السلام ويُظهره للناس كخارج عن الدين وعلى إمام زمانه... وبهذا الموقف يتمكن من التنكيل بآل محمد عليهم السلام ويستمر في مؤامرته لإرجاع الشرك والأصنام ونسف كل ما بناه رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد صرّح بهذا الإمام الحسن عليه السلام قائلاً: (والله لو قاتلتُ معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني اليه سلماً. والله لئن أسالمه وأنا عزيز أحب اليَّ من ان يقتلني وأنا أسير أو يمنَّ عليَّ فتكون سبّة على بني هاشم إلى آخر الدهر ولمعاوية لا يزال يمنّ بها هو وعقبه على الحيّ منا والميت) فاذن أراد الإمام عليه السلام بصلحه أن لا يسجل لخصمه أية فضيلة أو مكرمة.

الحسنان كلٌّ لا يتجزأ

إن الإمام الحسن عليه السلام كأخيه الحسين عليه السلام من الأبطال الشجعان الذين ورثوا الشجاعة من أبيهما وجدهما. والمعروف للكل أن آل أبي طالب مشهورون بالشجاعة... وان الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام كلاهما تربيا في بيت واحد وهو بيت النبوة ومهبط الوحي وحصلا على نفس الدرجة من الرعاية والاهتمام من جدهما رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يحصل صبيان من الدلال والرعاية والحب ما حصل عليه الحسنان من جدهما رسول الله صلى الله عليه وآله. وان الحسن عليه السلام كأخيه الحسين عليه السلام وبقية أئمة أهل البيت عليهم السلام المعصومين من سلالة الدوحة الهاشمية والذرية الفاطمية واكتسبوا العلوم الإلهية والأخلاق المحمدية والشجاعة العلوية، وكلهم يحملون نفس الدرجة من صفات الكرم والزهد والعلم والشجاعة والورع والعبادة، لكن كل إمام معصوم يتصرف بمقتضيات عصره وحسب خليفة زمانه ونوعية صحابته وطبقاً لواجبه الشرعي والمأمور به من قبل جده رسول الله صلى الله عليه وآله.

فمثلاً ان كرم الإمام الحسن عليه السلام مثل كرم الإمام السجاد عليه السلام أو الإمام الهادي عليه السلام وشجاعة الإمام الحسين عليه السلام كشجاعة الإمام الكاظم عليه السلام أو الإمام الباقر عليه السلام وعلم الإمام الصادق عليه السلام هو نفس علم الحسين عليه السلام أو الإمام الجواد عليه السلام وهكذا... فلو أن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في موقف الإمام الحسين عليه السلام لقاتل يزيد ولو أن الإمام الحسين عليه السلام في موقف أخيه الحسن عليه السلام لتصالح مع معاوية ولو أن الإمام الحسن عليه السلام في موقف الإمام الرضا عليه السلام لأصبح ولي عهد المأمون...، وهكذا... فكلهم واحد... إلاّ انهم يتصرفون كل وفق زمانه وبما يوافق كتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله. هذه هي عقيدة شيعة أهل البيت عليهم السلام وعلمائهم في أئمتهم المعصومين عليهم السلام.

إن عقلية معاوية تختلف عن عقلية ابنه يزيد المعروف بلهوه وملذاته ومنادمته للقردة والكلاب فهو ليس سياسياً وداهية كأبيه معاوية، وليس لديه من المستشارين الدهاة، الثالوث المخيف (المغيرة وزياد وعمرو بن العاص) وخططهم الجهنمية

الحقـود. لذلك ارتكب جريمته الكبرى بقتل سيد شـباب أهل الجنة وسبي نسائه. ولذلك فان الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام مدركان جيداً لأهـداف معاوية ويعرفان بمؤامرتـه الخبيثـة ومـا يـدور فـي ذهنه وتخطيطه للقضاء على البيت النبوي. لكن الإمام الحسـن عليه السلام أحبط هـذه المؤامرة بالموافقة على الصلح وأفسـد الأمور على خصمه، فهو أدهى سياسياً من معاوية. وهو مع ذلك عندما تصالح فان معاوية هو الذي طلـب الصلـح وان الحسـن عليه السلام هو الذي فرض الشـروط على معاوية. وان معاهدة الصلح مُذلة لمعاوية ومشـرفة للإمام عليه السلام كما سـنرى في النصـوص المرفقة في نهايـة هـذا البحث. ولكـن معاوية مزقها ولم ينفذ بنـداً واحداً منها، إضافة إلى أن الإمام الحسـن عليه السلام حقن دماء المسـلمين بصلحه وكشـف زيف الأمويين وحقدهم علـى الإسـلام وعلى صاحـب الدعوة صلى الله عليه وآله وعرف المسلمون كذب معاوية وكرهه الشـديد للنبي محمد صلى الله عليه وآله ولأهل بيته حيث نكث بكل بنود الصلح وهذا هو الهدف الرئيسي لصلح الإمام عليه السلام.

ثورة الحسين(ع) حسنية

إن الإمـام الحسـين عليه السلام بقـي عشـر سـنوات فـي ظل حكـم معاوية مسـالماً ولـم ينهض بثورته لكنـه قام بثورته ضد ابنه يزيد؛ فلماذا؟ هل كان الحسين عليه السلام متردداً وغير شجاع في أيام حكم معاوية؟ وهل ان الشجاعة جاءته فجأة بعد تولي يزيد الخلافة؟ هل كان الحسـين عليه السلام مقصراً بواجبه الشـرعي؟ - حاشا لله -. إن السبب الـذي جعل الإمام الحسـين عليه السلام سـاكتاً ومسـالماً طيلـة فتـرة حكـم معاوية هو نفس السبب الذي جعل الإمام الحسن عليه السلام يصالح معاوية. فكلاهمـا أعرف وأدرى بواجبهما الشـرعي - وهما سـيدا شـباب أهـل الجنـة - وكلاهما يعرف شـخصية معاوية ودهاءه ونواياه الشريرة ضد البيت النبـوي الطاهـر. فكلاهمـا تصرف من نفس الفطنة والاستنتاج الصحيح والتحليل المنطقـي للأمـور في الصلح مـع معاوية والثورة على يزيد.

فلو ان الحسـين عليه السلام فـي ظرف أخيه الحسن عليه السلام لتصالح مع معاوية وبالعكس لثار الحسن عليه السلام ضد يزيد وحدث ما حدث لأخيه الحسـين عليه السلام لو كان فـي ظرفه.

إن أي إنسـان في الدنيا لبيب وحكيم ومتجـرد مـن العواطـف والأهـواء وذو فكـر مرهـف وعقـل حصين لـو يدرك هذه الحقائق ويدرس بعمق أهداف الإمام الحسـن عليه السلام لتوصل إلى معرفة الأسـباب الحقيقيـة لصلحـه ونتائـج الصلـح علـى المـدى البعيـد، وان صلـح الحسـن عليه السلام وثـورة الحسـين حدثـان عظيمـان لهدف واحـد وهـو فضـح بنـي أميـة وبيـان حقدهم على الإسـلام ومقدساته وإفشال خططهـم لارجـاع الشـرك والأصنـام. فصلـح الحسـن عليه السلام هـو التمهيـد لثورة الحسـين عليه السلام. إذ لو اسـتمر الحسن عليه السلام فـي حربه لقُتـل هو وأخوه الحسـين عليهما السلام ولما كان هنـاك ثورة ضد يزيد ولأصبح الإسلام أموياً. وصدق الإمام عبد الحسين شـرف الدين رحمه الله حيـن قال فـي تصويره لكتاب (صلح الحسـن) للشيخ راضي آل ياسـين طبعة بغداد - ١٩٦٥ - حيث قال في ص١٠-١٥: (كان الحسن والحسين وجهين

لرسالة واحدة.. فالحسن أُعطي من البطولة دور الصابر على احتمال المكاره في صورة مستكين قاعد والحسين عليه السلام صان نفسه يجندها في جهاد صامت فلما حان الوقت كانت شهادة كربلاء حسنية قبل أن تكون حسينية. لأن الإمام الحسن عليه السلام أنضج نتائجها ومهد أسبابها.. كانا عليهما السلام كأنهما متفقان على تصميم الخطة، أن يكون للحسن عليه السلام دور الصابر الحكيم وللحسين عليه السلام دور الثائر الكريم لتتألف من الدورين خطة كاملة ذات غرض واحد).

بنود معاهدة الصلح

يقول الشيخ راضي آل ياسين في كتابه (صلح الحسن): (رأينا ان ننسق ـ هنا ـ الفقرات المنثورة في مختلف المصادر من شروط الحسن على معاوية في الصلح وان نؤلف من مجموع هذا الشتات صورة تحتفل بالأصح الأهم مما حملته الروايات الكثيرة عن هذه المعاصرة. فوضعنا الصورة في سواد وأضفنا كل فقرة من الفقرات إلى المادة التي تناسبها لتكون أقرب إلى واقعها الذي وقعت عليه[1].

صورة المعاهدة التي وقعها الفريقان

المادة الأولى: تسليم الأمر إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وبسيرة الخلفاء الصالحين.

المادة الثانية: أن يكون الأمر للحسن من بعده فان حدث به حدث فلأخيه الحسين وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد.

المادة الثالثة: أن يترك سب أمير المؤمنين، أو القنوت عليه بالصلاة وأن لا يذكر علياً إلاّ بخير.

المادة الرابعة: استثناء ما في بيت مال الكوفة وهو خمسة آلاف ألف فلا يشمله تسليم الأمر. وعلى معاوية أن يحمل إلى الحسين كل عام ألفي ألف درهم، وأن يفضل بني هاشم في العطاء والصلة على بني عبد شمس. وأن يفرق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل وأولاد من قتل معه بصفين ألف ألف درهم وأن يجعل ذلك من خراج دار أبجرد.

المادة الخامسة: (على أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وأن يؤمَّن الأسود والأحمر، وان يحتمل معاوية ما يكون من هفواتهم، وان لا يتبع أحداً بما مضى وان لا يأخذ أهل العراق بإحنة).

(وعلى أمان أصحاب علي حيث كانوا وان لا ينال أحداً من شيعة علي بمكروه، وان أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم. وأن لا يتعقب عليهم شيئاً ولا يتعرض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذي حق حقه...).

(وعلى أن لا يبغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين، ولا لأحد من أهل بيت رسول الله غائلة، سراً أو جهراً، ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق).

ويقول ابن قتيبة: (كتب معاوية جميع ذلك بخطه وختمه بخاتمه وبذل عليه العهود المؤكدة والايمان المغلظة وأشهد على ذلك جميع رؤساء أهل الشام ووجه به إلى عبد الله بن عامر فأوصله إلى الحسن) ■

(١) صلح الحسن ط٢ ـ ١٩٦٥ ـ ص٢٥٨-٢٦٢.

دور التصوير الإسلامي في عرض واقعة كربلاء

• حيدر الجد

ينابيع اتخذت واقعة كربلاء الدامية موقعاً هاماً في خارطة الأحداث التي عصفت بالأمة الإسلامية، فقد شهدت استشهاد سبط الرسالة ونجل الإمامة، الإمام الحسين بن علي عليه السلام، الذي وقف مدافعاً صلباً عن العقيدة الإسلامية ضد التيارات الأموية التي أرادت لها الاضمحلال والانطماس وعملت بكل طاقاتها وقواها من أجل تحطيمها ووأدها وهي في ربيع عمرها.

وأصبحت كربلاء الحسين على مر العصور ذكراً يلهب الثائرين ويؤجج فيهم الثورة ضد كل أشكال الانحراف والاستهانة بالمقدسات، وقد تنوعت الأطروحات التي حاولت تقريب الواقعة إلى ذهن الناس حتى تعايشوا مع الحدث وكأنه ابن يومه، فمن الشعر انطلق الشعراء يصورون بقصائدهم الحماسية ورثائياتهم الواقعة وكأنهم ينتقلون بالسامع إلى الماضي بما يتجاوز الآن الألف والأربعمائة عام، فيدخلون أرض المعركة ويشاهدون ما يحدث هناك، وكذلك فقد اشترك مع الشعراء الكتّاب الذين تنوعت نتاجاتهم بين القصة والمقالة والخاطرة.

وكان على الفن أن يقدم تصوراته وأطروحاته حول واقعة كربلاء، فاندفع بكل أقسامه مشتركاً ومبرزاً لتلك الأحداث الرهيبة.

وقد اشترك الفن منذ البداية في تجسيد الواقعة متخذاً من مسرح التشابيه

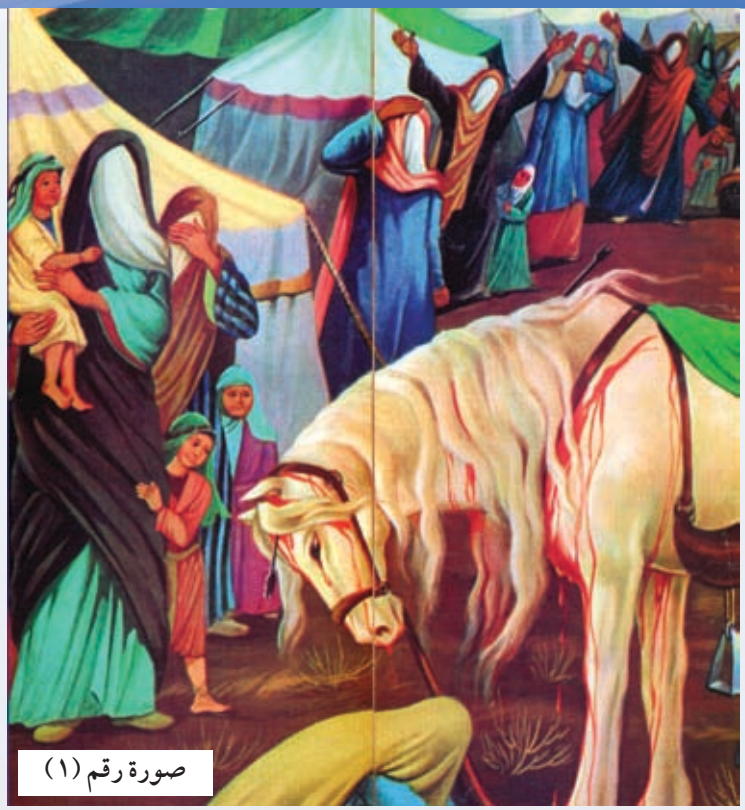

صورة رقم (١)

(الدائـرة) أنموذجاً مبسـطاً لتمثيل الواقعة الأمـر الـذي لاقـى إقبـالاً عنـد الجمهور المتعطـش للاتصـال بكربلاء ومعايشـة آلامها وأحزانها وعناوين البطولة والإقدام التـي ظهرت في سـاحاتها والنقيض الذي ظهر عند الجيش الأموي.

وهلم جراً فقد دخلت السينما والفنون التشـكيلية المضمـار، كلٌّ أخـذ علـى عاتقـه إبراز الملامـح التقريبيـة للواقعة، وكان للتصويـر وقع خاص فـي النفوس حيث استأنسـت بـه البسـطاء والعامة من الناس الذين رأوا فـي تلك التصاوير جانباً كبيـراً مـن الواقعـة يربطهم بهـا ويعمل على نقل الأحداث فأصبح الرسـام واسطة تعبيرية فطرية ينقل بريشـته أحداثاً تتناغم مع أحاسـيس المشـاهد فيبدي عند رؤيتها انفعالات شـتى، بل قد يتفاعل معها لدرجة يذرف فيها الدموع.

التصوير الإسلامي.. نبذة مختصرة

لابـد لنا مـن إلقاء نظرة سـريعة على تاريخ ظهـور التصوير الإسـلامي لكي يتسـنى لنـا التحـدث عن دوره في رسـم بعض المعالم لواقعة كربلاء.

تعود الجذور الأولى للتصوير إلى عهود موغلة في القدم، حيث وجدت في المعابد الخاصـة بالأقـوام التـي سـكنت وادي الرافديـن ووادي النيل واليمن، التي كان

التصوير يشكل جزءاً مهماً من تاريخها، ويقدم للمتتبع لها أنماطاً من الحياة السائدة عند تلك الأقوام من جهة ويبين مهارة الفنان (الرسام) وإتقانه لعمله من جهة أخرى.

(وعموماً فقد صنفت مدارس التصوير إلى أربع مدارس: العربية، والإيرانية، والهندية المغولية، والتركية العثمانية. فضلاً عن المدرسة الصينية القديمة التي أثرت بشكل مباشر على المدرسة الهندية المغولية)[1] بسبب التقارب المكاني الذي يولد نوعاً من التأثير بفعل تمازج الحضارات.

وقد ظهرت المدرسة العربية في فترة متأخرة عن المدارس الأخرى حيث كان العرب آنذاك غير مولعين بالتصوير، (ولقد كان بعيداً عن تلك الأمة التي بدأت حياتها الأولى في البادية - حيث الرحلة الدائبة والخلاف القاطع للصلات - أن تبتكر فناً يدوياً، وألا يكون لها غير فن القول، ذلك أن الفن اليدوي تعوزه الحياة المستقرة يطلق فيها الموهوب يده فيصور ما يحس لتأنس به نفسه ويجمل به مسكنه، تلك كانت حال الجزيرة العربية في جاهليتها من ذلك الفن اليدوي قبل أن يظلها الإسلام بظله ويلفها بردائه)[2].

وعن ظهور الصور في مكة يقول الأزرقي: (إن سادة قريش لما هموا بإعادة بناء الكعبة واستعانوا بنجار قبطي اسمه باخوم، وأنهم زوقوا أسقفها وجدرانها، وجعلوا في دعائمها صور الأنبياء والملائكة وكان من بين هذه الصور صورة إبراهيم عليه السلام وصورة عيسى ابن مريم عليهما السلام)[3] ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله الكعبة بعد فتح مكة قال لشيبة بن عثمان: (يا شيبة امح كل صورة فيه إلا ما تحت يدي، ثم رفع يده عن صورة عيسى بن مريم وأمه)[4].

ويستنتج الدكتور ثروة عكاشة مما سبق قائلاً: (وعبارة الأزرقي تفيد أن تلك التزاويق كانت هي الأخرى من صنع غير العرب... ويخلص إلى القول - ومن هنا لم تعرف البيئة العربية قبل الإسلام التصوير فناً كما عرفته الأمم الأخرى).

أما حلية التصوير وحرمته فلسنا بصدد عرض الآراء حول هذا الموضوع إلا بقدر ما يخصنا في تبيان المراحل التي مر بها التصوير (لعل بعد الأمة العربية في جاهليتها عن التصوير كان له أثر فيها فيما بعد حين أظلها الإسلام، فكانت أميل إلى الأخذ بالنهي عن التصوير والابتعاد عنه ولعل هذا أيضاً كان له أثره في الأخباريين وأهل السير والمفسرين فمالوا في تأويلهم إلى ما أثر عن الرسول خاصاً بالتصوير إلى جانب التحريم).

وعندما استطاع الإسلام أن ينتشر في أرجاء المعمورة منطلقاً من شبه الجزيرة العربية بسبب دخول الشعوب فيه أفواجاً لما رأت من سماحة وصفاء ومحبة واحترام يندر أن تتواجد في دين آخر، ومن هذه الشعوب ما كان له حضارة تليدة عرفت التصوير منذ عصور قديمة وقد لا يخلو بيت من تلك التصاوير على العكس من العرب الذين كما وصفهم الدكتور عكاشة بقوله:

(إن البيئة العربية لم تكن بيئة تغرم بالتصوير) وهنا أصبح الإسلام أمام تيارين تيار عربي لم يعول كثيراً على الصور وفن التصوير، وآخر كانت الصور وفنها يشكلان جزءاً مهماً من حياته، خصوصاً

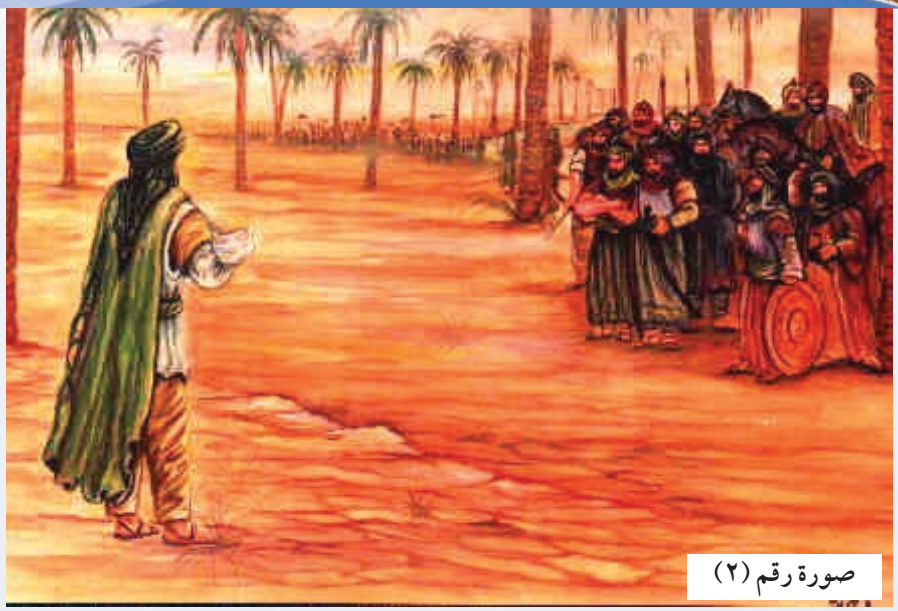

صورة رقم (٢)

تلك الأمم التي كانت تدين بالنصرانية قبل أن تصبح مسلمة.

فقد عرفت الرسوم الشخصية (Icons) والتي تنطبق بالمعنى الحرفي على تصاوير الشخوص المقدسة في الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية من قبل إيقونات القديسين وإيقونات العذراء، لذا كان على الإسلام أن يقول كلمته الفاصلة، فلم يحارب الإسلام التصوير على إطلاقه وإنما حارب منه ما كان صارفاً للمتعبد عن عبادته أو لافتاً للمسلم إلى وثنيته الأولى، شأنه في ذلك شأن الشعر فما كان منه يدعم الأهداف التي نادى بها الإسلام وحث عليها فلا بأس به، وأما ما كان غير ذلك فقد حظره وحرم التعامل معه.

كربلاء في وجدان الشيعة

لازالت ذكرى كربلاء متقدة، تذكو جذوتها عاماً إثر عام، أخذت من الشيعي خصوصاً والمسلم عموماً مأخذاً عظيماً حتى ظلت شاخصة أمام عينيه وماثلة في خطاباته، وكما قدمنا فقد استطاع الفن أن يجسد كربلاء بشخوصها والنتائج التي أفرزتها حيث يقول الدكتور ثروة عكاشة:

(فإذا هم - أي الشيعة - يضعون مسرحية دينية تمثل آلام الحسين بن علي واستشهاده يعرضونها في ذكرى مصرع الحسين في شهر محرم...، ويرمون من وراء هذه المسرحية إلى تصوير الشهيد على نحو يدعو المؤمنين إلى الإقتداء بسلوكه واستخلاص العظات من حياته ومصرعه... فمسرحية الآلام لدى الشيعة ليست سرداً لأحداث تاريخية فحسب بل لها هدف تعليمي وأخلاقي وهذا الهدف أيضاً هو المغزى من التصوير الديني)[٥].

لقد أخذ التصوير الإسلامي على عاتقه مهمة تقريب الحدث إلى المشاهدين،

صورة رقم (٣)

وكان على المصور (الرسام) أن يستعين بقراءة بعض الروايات والإطلاع على كتب المقاتل التي عادة ما تكون ممتلئة بالصور الحية الحسية التي ينقلها الراوي وعندها يكون المصور واسطة لنقل الحدث من الطاقة التعبيرية المكتوبة إلى الطاقة التعبيرية المنظورة، فهو أداة الفن الذي وصف بأنه (جمال بل هو أرقى أنواع الجمال وهو يعلو عن الكلمة ويعلو عن كل تعبير كلامي أو سمعي فهذا التعبير وذاك أعني التعبير اللفظي والسمعي لا يتسعان في الأكثر لكل ما يجيش في النفس، على حين إن خطاً واحداً من خطوط المصور قد يجتمع حوله كل ما يجيش في نفس المصور ومن أجل هذا جاءت صور المصور المبدع الذي ينطق عن مشاعر وأحاسيس تعبر تعبيراً كاملاً عن معان فياضة قد تحتوي بعضها الكلمة ولكنها لا تفلح في احتوائها كلها، فالصورة حين تملك التعبير الحق عن المشاعر والأحاسيس تجمع ما لا تتسع له كتبٌ ضخمة، وما لا يستطيع الإفصاح عنه لسان لخواطر النفوس أعصى من أن يفصح عنها غير ريشة المصور المبدع المتأثر بمشاعره وأحاسيسه)[٦]، وعليه فقد احتفظ كل فنان إسلامي بمدرسته الفنية وخواصها واتجه نحو كربلاء ليظهر الأحداث الحقيقية مع الإبقاء على الشكل العربي للواقعة.

أما بالنسبة لأول الصور التي ظهرت حول كربلاء فلم نستطع بالرغم من تتبعنا واستقصائنا تحديد ما يؤرخ زمانها ومكانها، لأن بعض الصور لم يختم عليها الرسام باسمه أو يؤرخ لها كما هو المعمول عند أغلب المصورين (الرسامين) العالميين. ظهرت الصور التي أنتجها المصورون على نوعين:

النوع الأول

صور شخصية تدعى بالبورترية (Portrait) وعادة ما تركز مثل هذه

الصور على وجه الشخص بالدرجة الأولى حيث يحتل المساحة الأوسع من فضاء الصورة دونما الاعتبار بما يحيط بها من بيئة (Environment) أو شخوص (Characters) وقد استعمل هذا النوع في عرض صور الإمام الحسين عليه السلام، فهو الشخصية الأولى القيادية على مستوى التوجيه والتعبئة والتخطيط والتنفيذ، إضافة لشخصية أخيه أبي الفضل العباس ابن أمير المؤمنين عليهما السلام، صاحب اللواء الذي يحمل من الصفات البطولية ما يؤهله لامتلاك اللواء، فاللواء يعني الجيش ومادام اللواء مرفوعاً فهناك جيش ينضوي تحته ويستمد منه العزيمة والثبات في مقارعة الأعداء.

النوع الثاني

صور تعكس مشهد معين، بكل ما يحتويه من شخوص وأحداث، وعادة ما يستخدم هذا النوع لعرض جانب من جوانب الواقعة فيستعين الرسام بألوانه وريشته كي يقرب الحدث إلى ذهن المشاهد، والحدث هو حلقة في سلسلة من الحلقات المتلاحقة (المتتالية) حدثت في زمن واحد هو العاشر من المحرم سنة (٦١هـ) وجمعها مكان واحد هو كربلاء التضحية والشهادة.

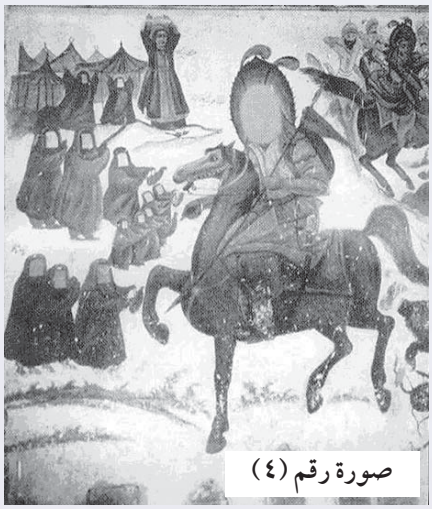
صورة رقم (٤)

وقد انقسم المصورون أنفسهم إلى فريقين، فريق آلا على نفسه عدم إظهار ملامح الوجه، سواء أكان ذلك للإمام عليه السلام أو لأهل بيته عليهم السلام وأصحابه، فجلل الوجه بهالة من الأنوار بحيث أخفت ملامحه تماماً، وفريق آخر لم يجد في إبرازه ما يثير حفيظة، فاستطاع أن يغوص في عمق الشخصية والحدث ليبرز على الوجه ملامح الحزن أو الألم أو البطولة أو... الخ.

لنأخذ صورة رجوع جواد الحسين عليه السلام إلى المخيم دون صاحبه (صورة رقم١)، نلاحظ على هذه الصورة عدة ملامح حيث الخيام المتداخلة التي لم يظهر منها إلا نساء ثكلى، حيث فقدان الأحبة والحماة، وأطفال مذعورة ترى الجواد وقد خضب بدم صاحبه، كما ظهرت على جسمه مجموعة من سهام الأعداء، أما بالنسبة للجواد نفسه فنلاحظ حالة الانكسار بادية على وجهه مع قطرات الدموع السائلة من عينيه وكأنه أحس بأن عودته بدون صاحبه ستثير العائلة وهاهي امرأة تجثو على ركبتيها وهي تحاول استنطاق الجواد كي يخبرها ماذا جرى على كفيلها وحاميها، ولعلها الحوراء زينب، وقد راعى الفنان مسألة الحجاب والحشمة لدى المرأة في كربلاء فبالرغم من هول الأحداث إلا

أن النساء حافظن على حجابهن.

في حين نلاحظ أجواء المعركة تبدو واضحة في (صورة رقم٢)، حيث الإمام الحسين وهو يرتدي العمامة حاملاً رضيعه متوجهاً نحو القوم، توحي لك الصورة بأن الحسين عليه السلام في حالة تحدث مع الأعداء فهم ينصتون إليه، حاول الفنان إظهار حالة الحر الشديد حيث أرض المعركة التي عمل التداخل بين اللونين الأحمر والأصفر على إبرازها بصورة أقرب إلى الواقع فهي مقفرة جافة، ويبدو أن الرسام تحاشى إظهار وجه الإمام الحسين عليه السلام، حيث تناول شخصيته عليه السلام من الخلف.

أما (صورة رقم٣) فقد امتازت بالبساطة حيث الألوان الخافتة والسهولة في فهم ما يرمي إليه المصور، ففيها نلاحظ العباس عليه السلام وهو يملي القربة من نهر العلقمي والى جانبه سيفه وقد ركزه على الشاطئ، ويقف الجواد على الجانب الأيمن من الصورة بينما يكمن حكيم بن الطفيل، الذي قطع اليد اليمنى للعباس عليه السلام وراء نخيلات استعداداً لتنفيذ جريمته الفظيعة.

في (الصورة رقم٤) نرى العباس عليه السلام يحاول امداد الشهداء بالماء يوم كربلاء، ويبدو ممتطياً جواده... (وتروي قصة اللوحة أن العباس عليه السلام قصد الفرات وملأ القربة بالماء لسقي ذويه غير أن الأعداء دهموه خلال عودته فقطعوا يده اليمنى ثم اليسرى فمضى في طريقه ممسكاً القربة بأسنانه إلا أن سهام الأعداء ثقبتها وانسكب الماء منها إلى أن سقط شهيداً، وتسترعينا الديناميكية المتدفقة

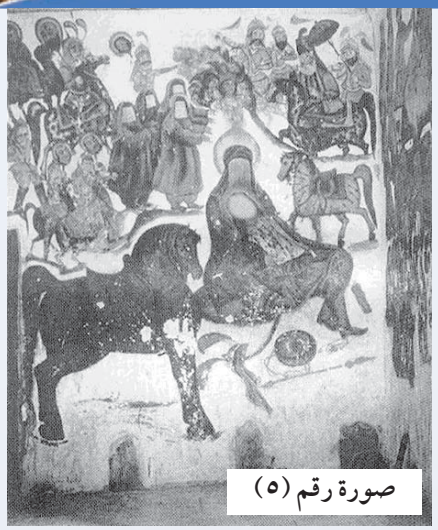

صورة رقم (٥)

في هذه اللوحة التي نلمحها في توتر الجواد واختلاف التعبير في لوعة النساء برغم اختفاء ملامحهن وذلك من خلال الوضعات والإحجام وإيماءات الأيدي).

أما (الصورة رقم٥) فنلاحظ (الحسين عليه السلام وقد عاد مثخناً بالجراح المميتة، وبدا وجهه مغطى بالخمار وأحاطت برأسه هالة النور جالساً على الأرض محتضناً طفلاً تحيط برأسه هو الآخر هالة بعد أن اخترقت السهام جسده، ومن تحت قدميه بدا درعه وخوذته المريشة ورمحه متناثرة على الأرض، وصورت أربع سيدات من أسرة الإمام علي عليه السلام وهن يرفعن أيديهن إلى السماء ضارعات وسط جيش الأعداء الذين يرفعون رؤوس الشهداء فوق أسنة الرماح بينما تطل الملائكة المجنحة شهوداً على هذه المذبحة النكراء)[٧].

في كلتا (الصورتين٤، ٥) نلاحظ اعتماد الفنان على أسلوب شريط الأحداث حيث يضمن لوحته عدداً من الأحداث

المتلاحقة والتي تشكل فكرة كاملة حول دور الشخصية في المعركة منذ أول مهمة تناط بها إلى استشهادها في ساحة الحرب.

آخر ما نستعرضه من الصور هو صورة الرأس المطهر للإمام الحسين عليه السلام (صورة رقم٦) ونلاحظ فيها ما يلي:

١ـ أنها غير ملونة، حيث اعتمد بعض الرسامين على عدم إدخال عنصر اللون في رسوماته كي يضفي على لوحته لمسة من الحزن، كما أنها تنبي عن قابلية الرسام بصرياً بالاعتماد على اللونين الأسود والأبيض فقط.

٢ـ تفاصيل الصورة كاملة تدل على أن الرسام (عباس غالي) يرمي من وراء ذلك إلى تصوير المحادثة بين حامل الرأس (خولى بن يزيد الأصبحي) والراهب الذي طلب أن يبقى معه الرأس لقاء مبلغ يدفعه لحامله.

ولهذه الصورة وقع خاص في النفوس، فقد كانت تعرض في اليوم العاشر من المحرم فقط ولعدة دقائق تزامناً مع شروع الخطيب في ذكر قمة الحدث العاشورائي المتمثل بمصرع الإمام الحسين عليه السلام، فتثير المشاعر وتستدعي انسكاب الدموع، وأرى أن في هذه الصورة قد خلط الفنان ألوانه بدموعه وتناغمت ريشته مع أحاسيسه فكان النتاج صادقاً لأبعد الحدود.

صورة رقم (٦) ـ من أرشيف مكتبة أمير المؤمنين(ع) العامّة

ولكن اليوم نلاحظ انتشار صورة الرأس المطهر عند أغلب الباعة، وهي ظاهرة تستدعي النقد فالصورة وكما ذكرنا لها زمن معين، فلا يجوز نشرها على مستوى التقاويم والإعلانات الضوئية التي تنتشر في الشوارع والطرقات، احتراماً لها، دون الاعتقاد بأن هذه الصورة هي فعلاً صورة الرأس الشريف وصدق الشاعر حيث قال:

لا تطلبوا رأس الحسين فإنه
لا في حمى ثاو ولا في وادي
لكنما صفو الولاء يدلّكمً
في إنه المقبور وسط فؤادي

---

(١) محرز، التصوير الإسلامي ومدارسه ص١٥.
(٢) عكاشة، موسوعة التصوير الإسلامي ص١٥٠.
(٣) أخبار مكة، ص١٥١.
(٤) المصدر السابق.
(٥) عكاشة، موسوعة التصوير الإسلامي، ص١٥.
(٦) المصدر السابق، ص١٥٠.
(٧) المصدر السابق، ص٢٢٠.

الريّان بن شبيب

والأول من المحرم

• علي سعد النجفي

ينابيع ما إن يطل هلال شهر محرم من كل عام حتى يكسو بطلعته الحزن والأسى قلوب أئمة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم حيث تتجدد ذكرى مصيبة كربلاء وما تحمل معها من مآسٍ وأحزان، وفي عام (٢٠٢هـ) كان لهذا الشهر الفجيع وقع خاص في مدينة مرو فها هي تشهد لأول وآخر مرة في تاريخها حضور أحد الأئمة عليهم السلام بين أهلها ألا وهو الإمام الرضا عليه السلام وها هو شهر محرم قد عاد من جديد يحمل معه الحرقة واللوعة التي كانت وما زالت تتوقد في قلب الإمام الرضا لتلك الفاجعة الكبرى.

في تلك الأجواء الحزينة كانت المضايقات قد أخذت بالتزايد على الإمام الرضا عليه السلام من قبل المأمون العباسي الذي غادر فجأة عاصمة خلافته مدينة مرو إلى مدينة بلخ مخلفاً مكانه وزيره الأعظم الفضل بن سهل الذي أوكل إليه المأمون مهمة رصد جميع حركات الإمام والتضييق عليه، فلم يجد الفضل بن سهل لهذه المهمة أفضل من هشام بن إبراهيم والذي كان من أصحاب الإمام عليه السلام فخانه عندما وصل إلى مرو وأخذ يتزلف إلى المأمون والفضل بن سهل بنقل أخبار الإمام الرضا عليه السلام إليه، فأطلق عليه أصحاب الإمام الرضا عليه السلام اسم (العباسي) لميله إلى حكومة بني العباس فعينه

الفضل بن سهل حاجباً للإمام الرضا عليه السلام فقام بمنع أصحاب الإمام عليه السلام من الدخول عليه فكان لا يدخل عليه إلا من أحب.

وعلى الرغم من تلك الصعوبات التي كان يواجهها أصحاب الإمام الرضا عليه السلام في الدخول عليه إلا أن الريان بن شبيب لم يجد صعوبة في ذلك فما إن أشرف على باب الإمام حتى انحنى له هشام بكل خضوع وتذلل وأفسح له الطريق للدخول على الإمام عليه السلام وكيف لا وهو من رجال البلاط العباسي وله مكانته ومقامه في بلاط بني العباس بحكم صلته النسبية مع هارون الرشيد فأخته (ماردة) من الجواري المحظيات عند الخليفة هارون الرشيد وهو خال المعتصم بن هارون وما كان أحد مثل هشام ليجرئ على منعه من ذلك.

ولم يكن الريان بن شبيب يعلم بأن دخوله على الإمام الرضا عليه السلام في هذا الوقت سيخلده التاريخ على مر العصور ويذكره خطباء المنبر الحسيني في مطلع شهر محرم من كل عام ويعيد إلى الأذهان ذكرى فاجعة كربلاء التي انتهكت فيها حرمة آل الرسول صلى الله عليه وآله ، وها هو الريان يتفحص وجه الإمام عليه السلام فيجده كئيباً حزيناً لمصاب جده الحسين عليه السلام فسلّم عليه فردّ الإمام عليه السلام السلام عليه وبادره بالسؤال: (أصائم أنت يا ابن شبيب؟) ، فأجابه: مستغرباً: (لا) ، فقال عليه السلام : (إن هذا اليوم هو اليوم الذي دعا فيه زكريا عليه السلام ، فقال: (رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك أنت

سميع الدعاء)[1] فاستجاب الله له وأمر ملائكته فنادت زكريا وهو قائم يصلي في المحراب إن الله يبشرك بيحيى، فمن صام هذا اليوم، ثم دعا الله عز وجل استجاب له كما استجاب لزكريا... الخ)[2].

فنقل لنا الريان هذه الحادثة التي أخذ الرواة يتناقلونها جيل بعد جيل ولست هنا بصدد شرح هذا الحديث وتبيان مدى الفاجعة التي كانت نارها تتأجج في قلوب أهل البيت عليهم السلام وإنما أسلط الضوء على شخصية بقيت مجهولة لقرون عديدة نقلت لنا هذه الكلمات العظيمة ألا وهو الريان بن شبيب (رضوان الله عليه).

قبل البدء

يجد المتتبع لتاريخ أهل البيت عليهم السلام أن الكثير من رواة حديثهم عليهم السلام لم ينالوا الحظ الوافر في ترجمة حياتهم بحيث إذا أردنا أن نراجع كتب التراجم والرجال فإننا نجد بأنها لم تحتل خضرة الجنان تمتد مسيرة خمسة أيام لا تقع الشمس على كثير من أراضيها ولا تبين القرى من خلال أشجارها وفيها قرى كثيرة بين بخارى وسمرقند، وقصبتها سمرقند، وربما قيلت بالصاد)[3].

وتقع اليوم بين دولة أوزبكستان الروسية وتمتد من نهر أوكسوس (أقودريا) إلى نهر يكسرت (سردريا)[4].

ونظراً لجمال هذه المنطقة وخصوبة أراضيها فقد كانت محل أطماع الدول والممالك المجاورة لها وقد حاول المسلمون فتحها منذ عهد الأمويين والعباسيين فشهدت حروباً شديدة وطويلة وأصبحت محل نزاع وتخاصم بين أهل الشرك والمسلمين.

واستمرت تلك الحروب حتى أيام المأمون العباسي (فعندما استخلف أغزى السُغد وأشروسنة من انتقض عليه من أهل فرغانة الجند، وألح عليهم بالحروب وبالغارات أيام مقامه بخراسان وبعد ذلك، وكان مع تسريبه الخيول إليهم يكاتبهم بالدعاء إلى الإسلام والطاعة والترغيب فيها)[5].

في تلك المنطقة الجميلة الساخنة بالحروب ولد الريان بن شبيب ولم يجد لنا التاريخ سنة ولادته ولا مدة عمره ولكن أغلب الظن أنه ولد في أواخر أيام الخليفة العباسي المنصور الدوانيقي من عائلة تدين بالنصرانية كما غلب أهل تلك البلاد ودخل أهلها الإسلام في أحدى الفتوحات خوفاً وطمعاً من الجزية كما يشير الطبري إلى ذلك (بلغني أن أهل السُغد وأشباههم لم يسلموا رغبة وإنما دخلوا في الإسلام تعوذاً في الجزية)[6].

الهجرة إلى العراق

شهدت منطقة السُغد حروباً شديدة وطويلة مما اضطر سكانها إلى الهجرة والنزوح عنها طلباً للأمن والسلامة والتخلص من شدة النزاعات التي لا تنتهي وهذا الأمر أدى إلى ترك الممتلكات والنجاة بالأرواح والأنفس ومن تلك العوائل التي قررت النزوح عن تلك البلاد هي عائلة شبيب النصراني

الـذي أخذ يجوب البـلاد بحثاً عن الأمن والسلام له ولعياله وكان الريان في ذلك الوقت مازال طفلاً صغيراً.

واتجـه صوب بـلاد الإسـلام ووضع عصـا الترحال في بادئ الأمر في منطقة (البنديجيـن)[٧] وهـي منطقـة في طرف النهـروان ناحيـة الجبـل وكانـت مـن توابع بغداد في ذلك الوقت وتسـمى في عصرنا الحاضر بمدينة (مندلي) وهي من توابـع محافظـة ديالى في العـراق قريبة مـن الحـدود الإيرانيـة، ولكـن المقام لـم يرق له فيهـا طويلاً فانتقـل منها إلى الكوفة واسـتقر بها، وبعد فترة قصيرة من سـكناه بها رزق شبيب بطفلة جميلة أسـماها (ماردة)[٨] وطاب له السكن في تلـك البلاد ويوماً بعد يـوم أخذت البنت تكبـر وتـزداد جمـالاً حتـى أصبحـت معروفـة بجمالها وذاع صيتها بين الناس، ولم تكـن عائلة الريان ذات شـأن حتى يسـجل لنـا التاريخ عن وقـت نزوحها أو دخولها للإسلام.

رسول الخليفة

كان خليفـة المسـلمين هـارون الرشيد شـديد الكلف بحضور مجالس الغناء والطرب وبالأخص مجلس المغنية المعروفـة (دنانيـر البرمكيـة) والتـي كانت تغني له بأعـذب الألحان ودنانير هـذه هي جارية يحيى بن خالد البرمكي وكانـت كمـا قيـل عنها: (من أحسـن النـاس وجهـاً وأظرفهم وأكملهـم أدباً وأكثرهم رواية للغناء وللشعر)، وكان هارون شديد التعلق بالاستماع إلى غنائها ويكثر الذهاب إلى قصر سـيدها يحيى البرمكي ويقيم عنده طوال الليل وكان يهب لها الهدايا الثمينة ويفرط في ذلك، حتـى ذكـر بأنـه وهـب لها فـي إحدى الليالـي عقـداً ثمينـاً قيمته ثلاثـون ألف دينـار، وهـذه الحالة التي كان يعيشـها خليفة المسـلمين قد أججت نيران الغيرة في قلب زوجته زبيدة التي ما كانت تراه في أكثر الأيام فشـكت ذلك إلى أهله وعمومته فعاتبوه في ذلك.

فقال لهم: أنـا ما لي أرب في الجارية نفسـها، وإنما رغبتـي في سـماع غنائها فاسمعوها أنتم واحكموا بما شئتم.

فأقامـوا عنـده تلـك الليلـة ومـن ثم أخذهم إلى قصر يحيى بن خالد البرمكي فسـمعوها عنده وطربوا لغنائها فعذروه، وعـادوا إلى زبيدة وأشـاروا عليها ألا تلح عليـه في أمرها، فلم يسـع زبيـدة إلا أن تقبل ذلك وسكتت ولكن نيران الغيرة قد ازدادت في قلبها أكثر فأرسلت إلى (معصب بن وهب النوشجاني)[٩] وأوصته بأن يشـتري لها عشـر جواري من أجمل ما خلق الله لكي تهديها لهارون الرشيد ليصرف وجهه عـن الذهاب إلى مجالس (دنانير البرمكية).

فأخـذ مصعـب يجوب البلاد وسـمع بخبـر (مـاردة) فـي الكوفة فاشـتراها مـن أهلهـا[١٠]، وها هي يد القدر تنتشـل هذه العائلـة من الفقر المدقع إلى قصور الخلفـاء وبذلـك انتقـل الريـان بفضـل (ماردة) إلى قصور هارون الرشيد ليعيش مع العباسيين، ويوماً بعد يوم ازداد تعلق هـارون بـ(ماردة) فحظيـت عنده وذكر بأنهـا كانـت معـه ذات مرة فـي الرقة فسـار إلى بغـداد وخلفها هناك فاشـتاق

إليها فكتب إليها بهذه الأبيات:

سلام على النازح المغترب
تحية صبٍّ به مكتئب
غزال مراتعه بالبليخ[11]
إلى دير زكى[12] فقصر الخشب
أيا من أعان على نفسه
بتخليفه طائعاً من أحب
سأستر والستر من شيمتي
هوى من أحب بمن لا أحب

فلما ورد كتاب الرشيد عليها، قالت لبعض من يقول الشعر: أجبه، فقال على لسانها:

أتاني كتابك يا سيدي
وفيه مع الفضل كل العجب
أتزعم أنك لي عاشق
وأنك بي مستهام وصب
ولو كان هذا كذا لم تكن
لتتركني نهزة للكرب
وأنت ببغداد ترعى بها
رياض اللذاذة مع من تحب
ولولا اتقاؤك يا سيدي
لوافتك بي ناجيات النجب

فلما قرأ كتابها أرسل من يحضرها إليه من وقته[13]، وأنجبت (ماردة) من الرشيد (أم حبيب) و(المعتصم) و(أبا إسماعيل) وآخرين لم يعرف اسماهما[14].

الانتقال إلى خراسان

بعد أن هلك هارون الرشيد في سنة (١٩٣هـ) كان النزاع قد دب بين الأخوين على العرش بين المأمون وهو ابن جارية وبين الأمين ابن زبيدة العباسية ففضلت (ماردة) الانتقال مع أولادها وعائلتها إلى جهة المأمون لأنه ابن أمة وصاحب عقل وهو أفضل بنظرها من زبيدة المتغطرسة وابنها وبذلك انتقل (الريان) مع أخته إلى خراسان توالت الأحداث يوماً بعد يوم حتى انتهت بقتل المأمون أخاه الأمين وبذلك انتقلت الخلافة إليه ومن ثم عزم على تنصيب الإمام الرضا عليه السلام ولياً للعهد وتم إحضاره فعلاً من المدينة إلى خراسان وهناك التقى (الريان) بالإمام الرضا عليه السلام فلم تر عينه شخصاً أزهد منه في هذه الدنيا.

لقد عاش (الريان) مرحلة الفقر في أول عمره ومن ثم انتقل إلى قصور بني العباس فشاهد ترفهم وبذخهم وتنازعهم على السلطة وكيف قتل المأمون أخاه الأمين من أجل الملك ولكنه لم يشاهد طيلة حياته شخصاً عزف عن قبول المناصب والملك بل الدنيا بأسرها مثل الإمام الرضا عليه السلام فتأثر بشخصه واهتدى بنوره وصار من أصحابه، وبينما كان (الريان) في تلك الحال مرضت (ماردة) وأخذت تنازع الموت وهي على فراش الموت تذكر أيام صباها في تلك الأيام التي ذاقت فيها طعم الفقر والبؤس وكيف قضتها فرقّ قلبها لفقراء قومها من النصارى فأوصت إليهم بفراشين وأغمضت عينيها وارتحلت عن هذه الدنيا من دون أن ترى كيف سيعتلي ابنها المعتصم عرش الخلافة العباسية.

وشرع (الريان) بتنفيذ وصاياها ولكنه وقف متحيراً بتنفيذ وصيتها

بخصوص فقراء النصارى فاستشار أصحابه في ذلك فقالوا: (قسم هذه الوصية في فقراء المؤمنين من أصحابك)، ولكنه شك في ذلك فعزم على قطع الشك باليقين فتوجه إلى الإمام الرضا عليه السلام وسأله قائلاً: (إن أختي أوصت بوصية لقوم نصارى وأردت أصرف ذلك إلى قوم من أصحابنا مسلمين)، فقال عليه السلام: (امض الوصية على ما أوصت به، قال الله تبارك وتعالى: (فإنما إثمه على الذين يبدلونه)..)[١٥].

وتوالت الأحداث وعزم المأمون على العودة إلى بغداد وكان عليه أن يقوم بتصفية مجموعة من الشخصيات التي ترافقه فقتل وزيره الفضل بن سهل في حمام (سرخس) وكان عازماً على التخلص من الإمام الرضا عليه السلام معه أيضاً، وبذلك توجهت أصابع الإتهام إلى المأمون من جميع الأطراف ولكي تستقر الأمور قام بحفل عرس كبير في شهر رمضان المبارك من سنة (٢٠٢هـ) تزوج المأمون فيه (بوران بنت الحسن بن سهل) ابنة أخ الوزير المقتول الفضل بن سهل وزوج الإمام الرضا عليه السلام من أخته (أم حبيب)[١٦] ابنة (ماردة) وبذلك أصبحت هناك صلة نسب بين الريان وبين الإمام الرضا عليه السلام وزوّج الإمام الجواد عليه السلام من ابنته (أم الفضل).

واستمر المأمون في طريق عودته إلى بغداد وفي مدينة (طوس) دس

السم إلى الإمام الرضا عليه السلام، وتوجهت أنظار الشيعة بعد ذلك إلى الإمام الجواد عليه السلام الذي مازال صغيراً وفي عام (٢١٠هـ) عزم المأمون على إجراء مراسم الزفاف فأحضر الإمام الجواد إلى بغداد وأجرى له مع علماء عصره مناظرات كانت الغلبة فيها للإمام الجواد عليه السلام وقد كان (الريان) حاضراً تلك المجالس وهو الذي رواها للناس من بعد ذلك، ويوماً بعد يوم كان العمر يتقدم بـ(الريان) وهو مازال يتنعم في قصور العباسيين، وكان قد رزق بأولاد في قصورهم.

وذات يوم التقى (الريان) بـ(خيران القراطيسي) وكان عازماً على الحج وزيارة الإمام الجواد عليه السلام فطلب منه الريان أن يذكره بالدعاء عند الإمام الجواد عليه السلام فلما وصل (خيران) إلى المدينة والتقى بالإمام الجواد عليه السلام قال له: (مولاك الريان بن شبيب يقرأ عليك السلام، ويسألك الدعاء له ولولده؟)، فدعا له الإمام الجواد عليه السلام لم يدع لولده، فأعاد عليه فدعا له ولم يدع لولده، فأعاد عليه ثلاثاً فدعا له ولم يدع لولده، ولما أراد الخروج سمع الإمام الجواد عليه السلام يقول: (من هذا الذي يرى أن يهدي لنفسه؟ هذا ولد في بلاد الشرك، فلما أخرج منها صار إلى من هو شر منهم، فلما أراد الله أن يهديه هداه)[١٧].

لقد لخص الإمام الجواد عليه السلام حياة (الريان) بعبارة صغيرة وهي (ولد في بلاد الشرك) ومن ثم انتقل إلى من هو شر منهم (ويقصد بذلك معيشته في قصور بني العباس)، فلما أراد الله أن يهديه بفضل وبركة وجود الإمام الرضا عليه السلام هداه إلى الحق، هذه الرسالة جعلت من (الريان) يفكر ملّياً في البقاء مع بني العباس في قصورهم لذلك فضل ترك القصور وسكن في مدينة (قم المقدسة) وأخذ يحدث الناس بما رواه عن الإمام الرضا عليه السلام، وجمع مسائل الصباح بن نصر النهدي للإمام الرضا عليه السلام، وقد روى عن (الريان) الكثير من الرواة منهم: (يحيى بن زكريا اللؤلؤي، وإبراهيم بن هاشم القمي، وبكر بن صالح، وأحمد بن محمد بن خالد البرقي، وغيرهم)[١٨] ■

---

(١) سورة آل عمران/ الآية:٣٨.
(٢) عيون الأخبار، ج١ص٢٩٩.
(٣) معجم البلدان.
(٤) المنجد في اللغة والإعلام.
(٥) تاريخ الطبري.
(٦) تاريخ الطبري.
(٧) تاريخ الطبري، ج٧ص٣١٧.
(٨) تاريخ الطبري، ج٧ص٣١٧.
(٩) مقتضب الأثر، ص٤٨.
(١٠) الأغاني، ج١٨ص٧٣.
(١١) البليخ: نهر بالرقة.
(١٢) دير زكى: دير بالرقة على نهر الفرات، وعن جنبيه نهر البليخ.
(١٣) الديارات رقم ٣٦٠٦، معجم ما استعجم، ج٢ص٥٨٢.
(١٤) الطبري، ج٧ص٣١٧.
(١٥) الكافي، ٧:١٦.
(١٦) الهداية الكبرى، عيون المعجزات.
(١٧) اختيار معرفة الرجال، ج٢ص٨٦٧.
(١٨) معجم رجال الحديث.

قصيدة:

إمام الخلود

• د. محمد الحلي

يكبّلنا زمن السيئات ... ويجلدنا بسياط الحياة
وتظلم حتى لعمق الجروح ... تظل بلا نكأٍ نازفات
فاحمل قلبي لقبر الحسين ... وأوردةً بالأسى مثقلات
واحضنه برفيف العيون ... احتضاناً كما تفعل المرضعات
وامسكه مستجيراً منيباً ... وألثم أركانه الطيبات
وأبكي عليه بكل دموعي ... وإن البكاء عليه صلاة
وارفع طرفي إلى قبةٍ ... تضوع بأنفاسه الزاكيات
كأن ملائكةً محدقين ... يطوفون فيها طوافاً سعاة
جموع تصلي عليه وأخرى ... تعطّر بالطيب كل الجهات
مكانٌ من الأرض أم جنة ... يضم لسبط الرسول رفاة
أحسّ الحسين يرد السلام ... ويبسط كفيه بالمكرمات
فيا سيدي إن هذا الذليل ... أتاك غريقاً يريد النجاة
يشد الرحال لك العالمون ... ويشمخ قبرك كالراسيات
يجيئون من كل فجٍ عميق ... تسابقهم مهجٌ خافقات
رجالاً نساءً صغاراً كباراً ... جموعاً فرادى ركوباً مشاة
يجيئون شوقاً بأفئدةٍ ... من الحب تجهل معنى الأناة
يجيئون كي يعلنوا أنهم ... على حب آل الرسول الهداة
يطوفون حول الضريح طوافاً ... بألسنة لم تزل ذاكرات
فتخضرّ أرواحهم بالدعاء ... وتمسح أحزانهم بالصلاة
وبالموت تسكن كل القبور ... وقبرك ممتلئ بالحياة
فيا سيدي يا إمام الخلود ... ويا مدد الرافضين الأباة
سنبقى نزورك يا سيدي ... ويرغم قبرك أنف الطغاة

الإمام الحسين(ع).. معطيات إنسانية

• باسل حسن لايذ

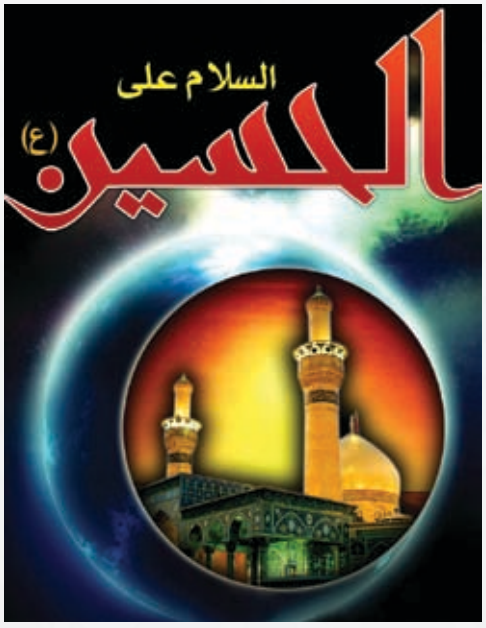

ينابيع في محاولة لإلقاء الضوء على فهم بعض ما يمكن فهمه من ثورة الحسين عليه السلام، ورغبة في طلب الدنو والاقتراب من معطيات الحقيقة الحسينية في مسرح الحياة الإنسانية، ومن خلال الخطاب الذي كان يعتمده الإمام الحسين عليه السلام وسعيه الشريف في الإصلاح، فلم تكن حركته (ثورته) سوى واحدة من وسائل استخدمها عليه السلام لتحقيق الدين العقلاني، ولم تكن الثورة عنده مجرد (غاية) تنتهي عند هذا، بل كانت حساباته مبنية وفق نظام أخلاقي عبّر عنه الحسين عليه السلام بـ(ضبط النفس) وعدم الانسياق

وراء رغبات عاجلة زائلة، فكان سائراً إلى نعيم أبدي لإظهار الحقيقة والخير لمجموع الناس. وإن أجمل وأدق صورة لما كان يريده الحسين عليه السلام من أصحابه ومن الناس في قوله حين عزم على الخروج من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة، حيث يقول عليه السلام: (أيها الناس من جاد ساد، ومن بخل رذل، وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه، وإن أعفى الناس من عفا عن قدرة، وإن أوصل الناس من وصل من قطعه). ومن خلال كلمات الإمام الحسين عليه السلام يتضح لنا ما كان يريد تحقيقه من صلاح وتربية وترسيخ لمفاهيم الإسلام الحقيقية التي جاء من أجلها رسول الله صلى الله عليه وآله، فكانت مواجهته للواقع الذي كان سائداً مفروضاً قسراً يلهو به (الطاغية) يزيد في ممارسته للحكم، حيث كانت مظاهر حكمه الظلم في نواحيه السياسية والاقتصادية والاجتماعية على الأمة، مستغلاً مكانه في الدولة على رأس السلطة.

وكان يزيد يحاول إضفاء الشرعية الإسلامية على مناحي حكمه وسلطته، وكانت سلطته تمثل خطراً حقيقياً على الإسلام وعلى عقيدة الأمة وشريعتها، من خلال ممارساته الصبيانية وأفعاله المشينة، لأنه سخر كل إمكانيات الدولة لتحقيق رغبات شخصية ومآرب أهوائه وغرائزه البعيدة كل البعد عن آمال وطموحات المسلمين في دولة عادلة تطبق المفاهيم التي بشر بها الإسلام، والتي انحرف بها يزيد في بلاد الشام وهي دولة يحلو للبعض أن يسميها (الخلافة) ويعتبرونها مرجعهم الشرعي، فيكون قول وعمل يزيد (في رأي هؤلاء البعض) نافذاً في الأمة وهو جزء من الإسلام، فيما كان وحوش تلك السلطة يسومون الناس الرازحين تحت سلطة هؤلاء أبشع صور العذابات، فكان لابد من وسيلة بالغة لإعادة الأمور إلى نصابها الطبيعي وإظهار الإسلام للناس، مما جعل الإمام الحسين عليه السلام يتحرك بثورة لوضع حد لانحراف يزيد ودولته الجائرة، على الرغم من أن الحسين عليه السلام ومنذ بدأت الأزمة في وصول يزيد إلى الحكم والتسلط على دولة الإسلام وقف الإمام عليه السلام منه موقفاً واضحاً ولم يبايعه لإفهام الجميع إن يزيد لم ولن يمثل المرجعية الدينية.

وقد كانت أعظم إنجازات ثورة الحسين عليه السلام الفصل التام في وعي الأمة بين منصب الخلافة وبين المرجعية الدينية للأمة، فاستقر أمر نظام الخلافة على أن الخليفة يتولى مهمة سياسية تنظيمية محضة وليست مرجعية دينية، واستقر أمر المرجعية الدينية عند أتباع خط أهل البيت عليهم السلام في الإمام المعصوم، وعند سائر المسلمين في الفقهاء والمحدثين. وبهذا تم إنقاذ الإسلام من أن تكون السلطة السياسية هي القيّمة عليه.

فالإمام الحسين عليه السلام يعمل بما جاء في القرآن ولما هو حق، كون الإمامة تمثل امتداد الرسالة بعد النبي صلى الله عليه وآله لتجسد القرآن في قول الله تبارك وتعالى: (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين). وفي التفسير يتبين (وجعلناهم أئمة يقتدى بهم (يهدون) الناس إلى الحق (بأمرنا) لهم بذلك (وأوحينا إليهم فعل الخيرات) أي أن يفعل (وإقامة الصلاة)

وأن تقام وحذف التاء إقامة تخفيفاً (وإيتاء الزكاة) وأن تؤتى وعطف الخاص على العام للأفضلية (وكانوا لنا عابدين) مخلصين للعبادة).

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو يصف الأئمة عليهم السلام: هم عيش العلم، وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم، وصمتهم عن حكم منطقهم، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه، هم دعائم الإسلام، وولائج الاعتصام، بهم عاد الحق في نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته، عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية، لا عقل سماع ورواية، فإن رواة العلم كثر ورعاته قليل).

والمعنى: (عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية) فهموه وعملوا به وأرشدوا إليه كما هو عند الله، (فإن رواة العلم كثر ورعاته قليل) كما في عصرنا، كذب وتزوير، وتكوير بلا تفكير).

وبعد أن تبين من خطبة أمير المؤمنين عليه السلام من هم الأئمة وما هي الأجواء التربوية العبادية الخالصة لله، تتجلى أمامنا صورة الحسين عليه السلام وما كان يطلبه، ولا أبلغ من قوله عليه السلام، حين عزم على الخروج من مكة المكرمة إلى كربلاء حيث قام خطيباً، فقال:

(الحمد لله، ما شاء الله، ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على رسوله، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخيّر لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين (النواويس وكربلاء) فيملأن مني أكراشاً جوفاً، وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله لحمته، وهي مجموعة له في حضيرة القدس، تقر بهم عينه، وينجز لهم وعده، من كان فينا باذلاً مهجته، وموطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا فإنني راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى).

ومرة ثانية في الاقتراب من النور الحسيني، كما ابتدأنا، ينصرف العقل إلى ما جاء في القرآن الكريم (ولن تجد لسنة الله تبديلا)، (كل نفس ذائقة الموت)، لمثل هذا المعنى يقول الحسين عليه السلام في خطبته: (خط الموت على ولد آدم) وعند قوله (خيّر لي مصرع أنا لاقيه) نرى ما جاء في الآية الكريمة (أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه)، وفي التفسير يتضح (هو الثواب الباقي) (فهو لاقيه) مدركه لا محال) والتفسير: (إنما يوفى الصابرون) على الطاعة والمحن (أجرهم بغير حساب) أي لا ينحصر لكثرته أو لا يحاسبون).

ومن كل هذا يتبين أن الإمام الحسين عليه السلام كان ينبوع إيمان، فعند الإسلام هو الشرط الأساسي في الدين وعندما سئل أبو جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: (وأيدهم بروح منه) قال عليه السلام: هو الإيمان.

وسئل عليه السلام عن قول الله عز وجل: (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين)، قال عليه السلام: هو الإيمان.

وسئل أبي عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: (وأيدهم بروح منه) قال عليه السلام: هو الإيمان.

وسئل أبي عبد الله عليه السلام: ما الإسلام؟ فقال عليه السلام: دين الله اسمه الإسلام وهو دين

الله قبل أن تكونوا حيث كنتم وبعد أن تكونوا، فمن أقر بدين الله فهو مسلم ومن عمل بما أقر الله عز وجل به فهو مؤمن).

إن قوة يقين وثقة الإمام الحسين عليه السلام و(الإيمان) بالله كل هذا كان متأسساً ومتحكماً في عواطفه ومشاعره، وكان هو الإمام العالم والعامل في ما يرضي الله، وكانت ثورته الحسينية (وسيلة)، لإعادة الهيبة للدين والنصر للإسلام الحنيف وتثبيت دعائمه على ما جاء به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك كانت الثورة لكبح دولة الآثام والإجرام ونوازع الشر، والزيغ عن سبيل الإسلام. فقد فتحت ثورة الحسين عليه السلام أمام الدهر باب الحقيقة ليشرق نور الهدى على الأرض، وليعود الحق إلى نصابه الصحيح، وكذلك إعادت ثورة الحسين عليه السلام الاعتبار إلى كل فرد من البشر ليكون مساوياً لأي فرد كان في الحقوق والواجبات العمومية لدى الهيئة الاجتماعية، ويمكن إيضاح هذا في النقاط التالية:

١- لقد استطاع الحسين عليه السلام ومن خلال ثورته من عزل حاكمية السلطة ودولتها الجائرة عن الشعب، مما أدى بهذه الزمر الكواسر ومحترفي القتل وبكل أشكالهم، أن يتخندقوا ليمثلوا الشر والباطل وفي الطرف الخاسر، فيما كان في الطرف الآخر (المنتصر) متمثلاً بالحسين عليه السلام وأهله وأصحابه وخاصة بعد استشهادهم، فكان انهيار دولة الظلم والجور وحاكمها يزيد بل الحكم الأموي برمته، والذي مزق وحدة المسلمين

والكيان الاجتماعي للأمة الإسلامية.

٢- جعل الحسين عليه السلام نفسه مع بقية الناس وأهله وولده معهم ولم يميز نفسه عنهم في شيء.

٣- أعادت ثورة الحسين عليه السلام للنفس البشرية دورها في العلاقة بين الناس والدولة بعد أن كانت الشعوب بعيدة عن هذا المصرع.

٤- إن ثورة الحسين عليه السلام أعادت الوعي للمجتمع، بدلاً من الحيرة والخدر.

٥- نبهت المشاعر والضمائر للوقوف بوجه جور الحاكم، الذي كان يوهم الناس بأنه يمثل (الخلافة الإسلامية) وسلطتها التشريعية.

٦- أعادت ثورة الحسين عليه السلام الفهم الصحيح إلى العقلية المتأرجحة منذ ذلك الحين والى يومنا هذا، من أن الحاكم يحكم باسم الدين وأنه مسدد من رب العالمين، حتى لو كان مخالفاً لكتاب الله، قد فاتني عن جهل أو قصر نظر فيما لم يلمحه عقلي من نور ثورة الحسين عليه السلام، في إيجاز هذه النقاط الست، والتي اعتبرتها دليلاً على إن ثورة الحسين عليه السلام أعادت الاعتبار إلى كل فرد من البشر.

وقد بقي الحسين عليه السلام بالتزام هذا الإطار من التوجه الثائر، فالإصلاح الديني - لا الأشر - رائده، والتغيير الاجتماعي - لا البطر - هدفه، والأمر بالمعروف - لا الإفساد - منهجه، والنهي عن المنكر - لا الظلم - شعاره، عسى أن يتدارك الله به أمة محمد جده صلى الله عليه وآله، فينقذها من مهاوي الضلال، فمن قبله بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد عليه هذا التحرير الشامل فالصبر أولى به.

ولو مررنا سريعاً على قصيدة للشاعر الكبير الدكتور محمد حسين الصغير لأعانتنا في الوقوف بالقرب من الطف ففي مطلعها:

قف في ربا الطف وأنشد رسم من بانوا
فإنها في جبين الدهر عنوان

إلى أن يصل:

لولا الحسين لغام الأفق واندلعت
شرارة.. وطغى للغي طوفان
(والناس عادت إليهم جاهليتهم
وقدّست بعد أصنام وأثان

وفي آخر القصيدة يقول:

أخلاقهم من رسول الله نابعة
وهديهم بهدى الرحمن مزدان
صلى الإله عليهم كلما سجعت
ورق.. وحنت إلى الأنداء أفنان

هي قصيدة من اثنين وثمانين بيتاً لا يتسع لنا ذكرها، وتستحق الدراسة والبحث لما تحويه من معان كتبت في ١٠ محرم الحرام (١٤٢٣هـ) في النجف الأشرف ووجدنا في كتاب (الإمام الحسين عليه السلام عملاق الفكر الثوري) ص٣٨٣-٣٨٧ إن ثورة الحسين عليه السلام مهدت للإنسانية وعلى مر العصور والأجيال العيش في الأرض بأمن وسلام وفضيلة وأخوة في عائلة واحدة. لقد ضحيت بدمك الطاهر وبأهلك وعشيرتك وأصحابك سيدي ونصرت الله وكشفت الزور والخارجين عن الدين الإسلامي، فلعن الله من قتلك، ونبرأ إلى الله وإليك منهم. (يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين) ■

قصيدة:

انعتاق الطفوف

• عبد المجيد فرج الله

حين لامس دم الحسين وجه الأرض
المتحجر كان كل شيء يتيماً ينطلق
فجأة إلى السماء...

الأرض تجهش بالبكاء
وفم الرمال الفاغر الحران
أذهله نزيفك يا دماء
وعلى الرماد معالم الماضين
تلهج بالرثاء...
وعلى مدى هذا العراء
سجدت ملائكة السماء
وتعثرت بنشيجها بُقيا دعاء

* * *

من كربلائك يا دماء
توشح الشاطي أساه
الجرف يلطم وجهه موج غريب
تتكسر الأصداف في روح كئيب
وتمر تحت الليل
مأساة تخضب بالرجاء...
من يا ترى
يدري بشاطئك الحزين؟
من يحمل الأحداق
جامدة على دمع انكسار
لترى النهار؟

* * *

يا سيدي... مولى الجراح
رسمت أناملك الرحيمة بالدماء
رؤى الصباح
وفتحت قلبك
كي تشم الأرض عالمك المراد
فلطالما اختنقت غضارة وردها
بروائح البشر الرماد...

* * *

يا سيد النفس الجديد الغض
تشربه الحياه
يا من منحت الأمنيات عذوبة المرسى
على أفق المحال
هذي جراحك انهر
رفت على يبس الرمال...
رشفت شفاه الظامئين
نهلت قلوب الواهين
زلالها غضباً وحبا
فنما على أوداجها التيار عذبا
وسمت دماؤك يا حسين!...

جون.. مسك الصفوة

• جواد أبــو غنيم

ينابيع كرّم النبي محمدﷺ الإنسانية كلها فألغى الاضطهاد العنصري عملياً حين اختار لأقدس مهمة زنجياً أسود اللون وجعل منه مؤذنه الذي ينادي المؤمنين للصلوات في أوقاتها الخمسة، هذا الأسود هو (بلال الحبشي) الذي كان عبداً من عبيد قريش فلم تكد تبلغه الدعوة الإسلامية حتى كان أول المبلغين لها، وتعلم به قريش ويعلم به سيده (أمية بن خلف) فينصحونه بالعدول عن الطريق الذي مشى فيه فلا يقبل النصيحة ويستمر مسلماً مخلصاً فيأخذون في تعذيبه العذاب الأليم ولكنه لا يزداد إلا إيماناً ثم يفرّ بنفسه إلى المدينة مع من هاجر إليها، وهناك صار مؤذناً للرسول الأكرمﷺ.

ولقد كانت في صوته (لكنة) فلا يستطيع أن يلفظ الشين لفظاً صحيحاً بل تخرج من فمه وكأنها سين فيقول الرسولﷺ: (أن سينه عند الله شيناً)، ولم يكن تكريم بلال أعظم من هذا التكريم الذي خصه به رسول الإنسانية ولذلك فإنه بعد وفاة النبي الكريمﷺ انقطع بلال إلى أهل بيت النبوة مخلصاً لهم وفياً لذكرى جدهمﷺ.

وتدور الأيام ويلقى أهل البيتعليهم السلام محناً وأرزاء ويبرز الأوفياء المخلصون ملتفين حول الأسرة النبوية عازمين على

الموت دونها إخلاصاً للنبي محمدﷺ ورسالته، ومن هؤلاء الزنوج رجل بسيط كان في ذات يوم غلاماً في قافلة دخلت أبواب مكة مع غيره من الغلمان والجواري والتحف والألبسة والدروع والسيوف اليمنية متجهة إلى سوق عكاظ حيث تتزاحم الأبصار وأصوات الباعة من كل صنف وفي زاوية منه حيث يباع الغلمان والجواري كما تباع الثياب، وكأني بـ(جون) ذلك الغلام الأسود تتفحصه العيون، وتقلبه الأيدي، وهو صامت ذو قلب راجف، دامع، ومن بين الجموع الناظرة، فإذا بصوت: (عليّ بهذا الغلام الأسود، فكم قيمته؟ فهمس البائع بأذن المشتري كذا درهم، فقال له: حسناً اشتريت خذ هذه الدراهم)، فخرج جون من قفص الرق إلى ظل العبودية لمولاه، فقال الذي اشتراه: ما اسمك؟ والغلام ينظر إليه بشفتين ذابلتين وبوجنتين خطتها معالم السفر: أنا اسمي جون، فمن أين أنت؟ أجابه: من أهل النوبة.

وتمرّ الشهور وجون بين أسياد مكة كواحد من عبيدها، ولم يشعر بطعم الحرية إلا عندما وضع الفضل بن العباس يده على رأسه حين اشتراه، حتى تعلم من سيده الجديد معرفة النور وحب الرسالة والتضحية لأن الفضل كان موالياً للإمام عليعليه السلام في سره وعلانيته ورديفاً للرسول الكريمﷺ في حجة الوداع، وثابتاً في غزوة حنين حينما انهزم الناس، وشاهداً على غسل النبي

الكريم ﷺ فكان جون يمثل سيده في ثباته وولائه، فأعجب به أمير المؤمنين علي عليه السلام فاشتراه من الفضل بمائة وخمسين ديناراً وأدخله مدرسة التمرد على الباطل أنّى يكون.. مدرسة أبي ذر الغفاري، فطارت نفس جون فرحاً، وأصبح مولى أبي ذر.

وبدأت ظواهر البهجة والانفتاح تعلو هامته، وهو يحمل دفاتر مستقبله لأول درس خطه أبو ذر على صفحات عمره الضائع، وتتزاحم الكلمات في صدره، والعقيدة تنمو بنمو مداركه فامتلأت عروقه ثورة ضد كل انحراف يراه، وسرعان ما تلاشت أمام أعاصير الأحداث التي نشأت بعد وفاة رسولنا الكريم ﷺ، فأصبح كسيده ما بين الصمت وقول الكلمة التي أوصى بها الرسول ﷺ لأبي ذر (قل الحق وإن كان مراً) إلا أن الصمت كان رائدهما.

وتمر الأيام ولا تزال سيوف الحق في أغمادها عطشى، رغم رحلة جون مع سيده إلى بلاد الشام بعد وفاة أبي بكر، وتمر الشهور والأيام وأرض الشام مدوية بكلمات الصحابي الجليل أبي ذر حيث يعظ الناس ويأمرهم بالتمسك بطاعة الله عز وجل ويحذرهم من ارتكاب المعاصي، والتمسك بأهل البيت عليهم السلام فأخذت كلماته تنمو في قلوب البعض، ويرفضها البعض الآخر ويزخرفها آخرون من أجل إشعال الفتنة، وكان جون كسيده يجتمع مع حلقة العبيد والموالي يتحدث إليهم عن مناقب سيده الذي حيّا رسول الله ﷺ أول مرة بتحية الإسلام، وصلى قبل الإسلام بأربع سنين وكان أحد الأركان الأربعة والمبايع لرسول الله وأهل بيته عليهم أفضل الصلاة والسلام، وهو الذي قال عنه رسول الله ﷺ: (ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر)، (وأن الجنة تشتاق إليك يا علي والى عمار وسلمان وأبي ذر والمقداد).

هكذا امتلأت بيوتات أهل الشام بكلمات الحق فتصاغرت الرؤوس المتداعية أمام الحقيقة، غير أن الثعلب في الشام أرسل كتاباً إلى عثمان: (إن أبا ذر قد صرف قلوب أهل الشام (عنك) وبغّضك إليهم وأخاف أن يفسد الناس عليك، والسلام).

فكتب إليه عثمان: (أما بعد، فأشخص إليّ أبا ذر حين يصلك كتابي هذا والسلام). وعند وصول الكتاب أمر معاوية جلاوزته باعتقال أبي ذر ومن معه فوراً وأرسلهم إلى المدينة وأبو ذر يسخر منهم ويقول: (أن بني أمية تهددني بالفقر والقتل، ولبطن الأرض أحب إليّ من ظهرها، وللفقر أحب إليّ من الغنى)، ولما وصل الركب إلى المدينة أمره عثمان أن يخرج إلى الربذة... إلى أن توفاه الله عز وجل هناك.

وكأني بجون يودعه بآهات الثكلى، وجراحات القتلى، بدموع تبكي لها العيون ويقول له أبو ذر: (أنت حر يا جون ولا تنسى وصيتي بحب آل المصطفى والدفاع عنهم)، وظل جون غريباً تمزقه الظنون وعيون بني أمية تلاحقه وأبواب المدينة مغلقة بوجهه إلا باب أمير المؤمنين عليه السلام فضمه إليه، فوجده خلقاً جديداً في عقيدته وتفكيره

وأخلاقه، وفي بيت الإمام علي عليه السلام ازدان جون قوة وجرأة وصلابة.

وبعد مقتل عثمان، أجمعت الأمة على مبايعة رائد العدل الإمام علي عليه السلام خليفة، وعندما توّج الحق على كرسي البلاد بدت ابتسامة جون واضحة على شفتيه مع وجوه الأحرار المظلومين مكونة أكليلاً من الزهور على سويداء قلب التاريخ، وقبل أن تمتد تلك الإصلاحات إلى بلاد الشام نشر معاوية قميص عثمان على منبر دمشق كي يستثير أهل الشام للنهوض في المطالبة بدم عثمان من قاتله الإمام علي عليه السلام، وكما أن الزبير وطلحة كانا من أشد الناقمين على سياسة عثمان بالأمس، فإن الحركة الإصلاحية للإمام علي عليه السلام لم تجد هوى في نفسيهما، فبدءا العمل بالخروج على الإمام وإثارة المسلمين عليه، فتولدت من جراء ذلك حروب طاحنة منها معركة الجمل التي انتصر فيها الإمام علي عليه السلام وجرت صفين التي لاحت تباشير نصرها لصالح معسكر الإمام علي عليه السلام لولا خدعة المصاحف تلك الخطة الماكرة التي غيرت جوهر الموقف العام لصالح معاوية وبعد واقعة التحكيم فوجئ الإمام علي عليه السلام بخروج طائفة تدعى الخوارج، فكانت حرب النهروان.

كل هذه المعارك ولجون نصيب فيها كبقية المقاتلين إضافة إلى أنه من الذين شاركوا بإصلاح السيوف والسهام وتضميد الجرحى، ودفن القتلى، علاوة على خدمته المشرفة لأهل العصمة عليهم السلام واستشهد الإمام علي عليه السلام وبقي جون تحت رعاية الإمام الحسن عليه السلام.

وتدور الأيام ويلقى أهل بيت النبوة عليهم السلام محناً وأرزاء ويبرز الأوفياء المخلصون ملتفين حول الأسرة النبوية عازمين على الموت دونها إخلاصاً للنبي محمد صلى الله عليه وآله ورسالته.

ويقف الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء في أقل من مائة من الرجال، كانوا يمثلون في تلك الساعة أنبل ما في الكون من سجايا، وهل في الكون أنبل من أن يبذل الإنسان دمه ومهجته طواعية لرجل؟! وثباتاً على مبدأ وإخلاصاً لعقيدة؟!

وتتبارى الرجال في التضحية ومضوا يسقطون واحداً بعد الآخر، وكان في الركب الحسيني رجل بسيط، كبير السن لا يحسب إذا حسبت البطولات، ولا يذكر إذا ذكرت التضحيات، ولا يؤبه لرأيه، ولا يعد لمهمة من المهمات.

كان يؤمر فيلبي الأمر، ويستخدم فيخدم مسرعاً، كان أقصى ما يعرفه الأصحاب عنه أنه خادم أمين وتابع مخلص، وما فوق ذلك فليس ممن يرد اسمه على البال، وكان في حسبان الجميع أنه سيغتم أول فرصة للسلامة فينجو بنفسه، وينشد الخدمة من جديد في بيت جديد، ولكن جون بقي في ركب الحسين عليه السلام لم يفارقه، وثبت مع الرجال الذين ثبتوا حتى وصلوا إلى كربلاء.

وجاء اليوم التاسع من المحرم وجون قائم على خدمة سيده ومولاه الإمام الحسين عليه السلام، فها هو يصلح سيفه والحسين روحي له الفداء يردد الأبيات

التي لم تستطع معها الحوراء زينب عليها السلام إلا أن تذرف الدموع:

يا دهر أفّ لك من خليل
كم لك بالإشراق والأصيل
من طالب وصاحب قتيل
والدهر لا يقنع بالبديل
وإنما الأمر إلى الجليل
وكل حي سالك سبيلي

أما جون فلم يذكر أحد أنه انفعل أو تأثر أو بكى!! أتراه لم يفهم ما كانت تعنيه تلك الأبيات؟! أتراه صلب العاطفة متحجر القلب إلى حد لا يهزه صوت الإمام الحسين عليه السلام وهو ينعى نفسه؟! أتراه في تلك الساعة في شاغل عن كل شيء إلا عن نفسه، يفكر كيف يدبر وسيلة الخلاص عصر ذلك اليوم أو صباحه. الحقيقة كانت فوق كل تصور!

لم يبك جون ولم ينفعل ولم يتأثر لأن ما كان فيه كان فوق البكاء والانفعال والتأثر كان جون وهو يصلح سيف سيده أبي عبد الله عليه السلام عند إنشاده الأبيات المذكورة كان جون يستعرض في ذهنه الماضي الحافل... كان يتذكر النبي الكريم صلى الله عليه وآله وهو يرفع الإنسان الأسود إلى أعلى مراتب الكرامة حين عهد إلى واحد منهم بوظيفة مؤذنه الخاص، وكان يتذكر تلك المئات من السود التي انطلقت حرة تنفيذاً لوصايا النبي محمد صلى الله عليه وآله، كان كل ذلك يجول في ذهن جون.

وها هو سيف الإمام الحسين عليه السلام الآن في يده لآخر مرة يصلحه له ليقف به سيده غداً على أعلى قمة للتاريخ فيهز الدنيا كلها، كيف تكون حماية الهدى والحق والخير، وكيف تكون البطولات التي لا تبغي إلا الاستشهاد ذوداً عما تؤمن به وتعتنقه وكيف يرفض الأباة الحياة إذا لم تكن كما يريدون، حياة الحرية والسعادة للأمة، وحياة الكرامة والحق لهم، غداً سيلمع هذا السيف في كف أبي الضيم ثم ينثلم، وغداً سيعلو صوت الحسين عليه السلام بنداء الحرية ثم يصمت إلى الأبد، ولكن صوت الحرية الذي انطلق من فم الحسين عليه السلام سيظل مدوياً إلى الأبد!!

كان جون يلجأ إلى صمت رهيب وظل صامتاً حتى دنا الليل، وأصغى بكل جوارحه إلى الحوار الخارق الذي جرى بين الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره وهو يحرضهم على تركه وحده والانطلاق في سواد الليل، وهم يرددون عليه واحداً بعد واحد رافضين لأول مرة في حياتهم أوامره، ويصرون على أن يلاقوا نفس المصير الذي سيلاقيه هو، كان جون في تلك الساعة يجلس في زاوية دون أن يأبه له أحد، وكان يود من كل قلبه لو كان لصوت الزنوج صوت بين هذه الأصوات، ولكنه فضل الصمت المطبق.

وفي صباح العاشر من المحرم تبارى الأبطال متسابقين إلى الموت، ومشى كل منهم يستأذن الإمام الحسين عليه السلام ويودعه ماضياً إلى مصيره، تقدم جون وهو في كل خطوة من خطواته لا ينفك مصغياً إلى صوت زميله بلال متعالياً فوق كل أصوات البيض تكريماً من النبي محمد صلى الله عليه وآله وإعزازاً، وربما خطر له في تلك اللحظات منظر بلال وهو واقف على

أشرف مكان وأقدس بقعة، على ظهر الكعبة حين أمره الرسول الكريم ﷺ ساعة فتح مكة أن يصعد ويؤذن، الأسود الذي كان عبداً ذليلاً قبل رسالة النبي محمد ﷺ يصعد على ظهر الكعبة وهو بنظر الناس أعز إنسان!!

دنت ساعة الوفاء للرسول الأكرم ﷺ، دنت الساعة التي يرد فيها هذا الزنجي (جون) بعض الجميل لمحمد ﷺ، وهل أعظم في الوفاء لمحمد من أن يموت ذوداً عن أبنائه، ونسائه وتعاليمه، وتقدم جون من سيده الإمام

التي لم تر فيها الزنوج الكرامة التي لها فقال: (لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود بدمائكم).

وتحت وطأة العطش المميت وعلى الرغم من أن فرص النجاة كانت لا تزال إلا أنه قرر الدفاع عن الإمام الحسين عليه السلام بلسانه ويده وبروح صادقة لا يبغي من وراء ذلك سوى الفوز بالآخرة والشفاعة من النبي الأكرم ﷺ، فراح يقاتل عدو الله وعدو ابن رسوله ﷺ في شجاعة وبسالة متناهية، وهو يومئذ شيخ كبير تجاوز الستين من العمر وكان خروجه بعد

الحسين عليه السلام يستأذنه في أن يكون كغيره من الأنصار، والتفت الحسين عليه السلام إليه وقد أخذته الرقة له والحنان عليه، ولم يشأ أن يورطه فيما لا شأن له به، فقال له: أنت إنما تبعتنا للعافية فلا تبتل بطريقتنا.

ولكن جون البطل أجاب الإمام الحسين عليه السلام: (يا ابن رسول الله أنا في الرخاء ألحس قصاعكم وفي الشدة أخذلكم؟!) ثم أردف هذا الجواب بكلمات لم يقصد بها الحسين عليه السلام بل أراد أن يوجهها للأجيال الماضية والأجيال الحاضرة والأجيال القادمة، تلك الأجيال

مقتل حبيب بن مظاهر رضي الله عنه نازعاً قميصه عن صدره كي يكون حراً من كل قيد ومرهباً بلونه الأسود سيوف أعدائه وترى هامات القوم صرعى أمام ضربات سيفه البتار وهو يرتجز هذه الأبيات:

كيف ترى الفجار ضرب الأسود
بالمشرفي القاطع المهند
بالسيف صلتاً عن بني محمد
أذب عنهم باللسان واليد
أرجو بذاك الفوز عند المورد
من الإله الأحد الموحد
إذ لا شفيع عنده كأحمد

هانت دنيا الباطل، فتصاغر أما عينه جيش بني أمية، فلم ترهبه كثرتهم ولم توهن عزيمته سهامهم وسيوفهم ورماحهم وهو يصول ويجول بسيفه المدمى، وبكلماته الحماسية والقوم يفرون منه وهو يبتسم ويسخر منهم، فصرخ عمرو بن الحجاج قائد ميمنة العدو بأصحابه أتدرون من تقاتلون؟ تقاتلون فرسان المصر وأهل البصائر وقوماً مستميتين فأحاطه القوم من كل جانب وهو لم يزل يقاتل وعندها وقعت في محاجر عينيه ضربة وكبا به جواده إلى الأرض فوقع على أم رأسه، فما كانت سيوفهم ورماحهم المرتجفة على جسده سوى جسر عبر عليه الشهيد إلى جوار ربه، أجل لقد اختلط ذلك الدم الأسود مع دماء الأحرار على رمضاء كربلاء، عاش عبداً ومات حراً مخلداً مع أبي الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.

وعلى الرغم من الحزن الأليم لفقدان الأحبة، ومن العطش المهلك، ومن امتلاء أرض الطف من الكهول وفتية مرملة الأجساد كأنها الأهلة، ومن عدة وعدد العدو، وقف الإمام الحسين عليه السلام على جثمان العبد الطاهر الوفي للعترة المعصومة عليهم السلام، وعيناه تلفانه ببريقهما وحنانهما قائلاً: (اللهم بيّض وجهه، وطيّب ريحه، واحشره مع الأبرار وعرف بينه وبين محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله).

تركت تلك الجثث المرملة بالدماء ثلاثة أيام مع الشمس بدموعها الحمراء، والقمر بضوئه المنكسر الحزين رغم تكامله والرياح تنسج من رمال الطف كفناً لها ويزورها وحوش الفلا، ويسمع عليه نواح وبكاء وعويل، وتنبعث منها رائحة طيبة أذكى من المسك!!

إن عبداً مثل (جون) ينتمي إلى أصول غريبة ليس له أهل ولا حول ولا يملك من حياته شيئاً، فهو ملك لسيده الذي اشتراه بماله، استطاع أن يكون من العشرة الذين وقف الإمام الحسين عليه السلام معزياً لهم وراثياً أحبته وأنصاره بكلمات خطها التاريخ، وهو من السبعة اللذين مشى إليهم الحسين عليه السلام بعد مصرعهم.

فلا غرابة من أن نرى خطوات أبي الأحرار عليه السلام رغم احتدام الموقف أن تسير نحو هؤلاء السبعة الذين اغتسلوا بدمائهم الزكية من أجل رفعة الإسلام ونصرة سيد الشهداء عليه السلام.

ومما قيل في حقه من الشعر ما قاله الشيخ السماوي في إبصار العين صفحة (١٠٥) ومعالي السبطين/١:

خليليّ ماذا في ثرى الطف فانظرا
أجونة طيب تبعث المسك أم جونُ
ومن ذا الذي يدعو الحسين لأجله
أذلكِ جون أم قرابته عون؟
لئن كان عبداً قبلها فلقد زكا
النجار وطاب الريح وازدهر اللون

وقال سعيد العسيلي في كتاب كربلاء:

جون ومن جون وسوف أقول من
جون وفي الأخبار لا أتوسع
عبد له لعق القصاع وسيلة
حتى يعيش من الطعام ويشبع

تبع الحسين كأنه لخياله
ظل ينفذ ما يقال ويسمع
ورأى الدماء تسيل من أصحابه
والمشرفي بهم يكيل ويذرع
فإذا به وكأم موسى قلبه
من أجل آل محمد يتوجع
وله أبو ذر الغفاري قدوة
وإليه في كل الخصائل يرجع
يستأذن السبط الحسين كأنه
غصص العذاب لأجله يتجرع
ويقول أني أسود يا سيدي
والريح نتن ساء فيه المرضع
وتطيب لي عند الرخاء قصاعكم
وأخاف إن وقع البلاء وأجزع
مولاي دعني للبراز لعلني
يوم القيامة في رضاك أمتع
ودعا له رباه بيض وجهه
واجعله كالشمس المنيرة تطلع
واحشره مع جدي وعطر ريحه
كالمسك يبقى دائماً يتضوع

لقد زاده الله شرفاً على شرف الشهادة، وطيب الريح، بتخصيص الحجة المنتظر (عجل الله تعالى فرجه) إياه بالتسليم في زيارة الناحية المقدسة فقد ذكر المجلسي في البحار أنه: (إذا أردت زيارة الشهداء رضي الله عنهم فقف عند رجلي الحسين عليه السلام واستقبل القبلة بوجهك فإن هناك حومة الشهداء وقل: السلام عليك يا أول قتيل إلى أن قال السلام على جون بن حوى مولى أبي ذر الغفاري).

فالسلام عليك يا جون يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث مع الصديقين ورحمة الله وبركاته ■

حبيب لا يجيب حبيبه

عن عطية العوفي قال: خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه زائرين قبر الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، فلما وردنا كربلاء دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل ثم ائتزر بازار وارتدى بآخر، ثم فتح صرّة فيها سعد فنثرها على بدنه، ثم لم يخط خطوة إلا ذكر الله حتى إذا دنا من القبر قال: ألمسنيه، فألمسته فخرّ على القبر مغشياً عليه، فرششت عليه شيئاً من الماء فأفاق وقال: يا حسين. ثلاثاً، ثم قال: حبيب لا يجيب حبيبه.

ثم قال: وأنى لك بالجواب وقد شحطت أوداجك على أثباجك، وفرق بين بدنك ورأسك فأشهد أنك ابن النبيين، وابن سيد المؤمنين، وابن حليف التقوى، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، وابن سيد النقباء، وابن فاطمة سيدة النساء، وما لك لا تكون هكذا، وقد غذتك كف سيد المرسلين، وربيت في حجر المتقين، ورضعت من ثدي الإيمان، وفطمت بالإسلام، فطبت حياً وطبت ميتاً، غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة لفراقك، ولا شاكة في الخيرة لك فعليك سلام الله ورضوانه، وأشهد أنك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى ابن زكريا.

درر الأخبار ص: ٦٩٦

من شهداء المنبر الحسيني..

الخطيب الشيخ
عبد الأمير أبو الطابوق النجفي

• أحمد الكعبي الطويرجاوي

ينابيع نالت الخطابة عند العرب وغيرهم من الشعوب مكانة مرموقة لا منافس لها فالخطيب لسان القوم، والمقدّم عندهم في المناسبات في الأفراح والأتراح، ينقل بأسلوبه البلاغي ومنطقه الأخّاذ ما يعجز عنه غيره، والحق يقال أن مواجهة جمهور المستمعين لا يقدر عليه إلا من تمكن من المفردات وتسلح بذخيرة معرفية متنوعة، فهو المؤرخ متى تطلب منه الأمر ذلك وهو النحوي والمنطقي وو... الخ.

وقد عُرفت الخطابة على أنها فن الإقناع الذي لا يجيدها إلا من أضاف على موهبته الخطابية الناضجة، خليطاً متنوعاً من المعارف والعلوم يقوي بها

حججه وإثباتاته ويوهن ما لم يؤيده دليل أو برهان.

وبعد أحداث كربلاء الدامية، التي استشهد فيها سيد شباب أهل الجنة، الإمام الحسين عليه السلام كان على الخطيب أن ينقل الأحداث بأمانة، امتثالاً لقول الإمام الصادق عليه السلام: (أحيوا أمرنا، رحم الله من أحيا أمرنا)، فأصبح مدرسة متنقلة، يستفاد منها في تعريف الناس بمظلومية الإمام الحسين عليه السلام، إضافة لما يشجي النفوس ويعمل على انسكاب الدموع.

واليوم لا تنصرف كلمة الخطيب على الإطلاق عند شيعة أهل البيت عليهم السلام إلا للخطيب الحسيني الذي أثرى المنبر بما يمتلكه من كفاءة وبراعة، وأصبح الخطباء وسيلة حية يتفاعل معها السامع فتؤثر فيه أيما تأثير، ومن هؤلاء الخطباء برز الخطيب الفاضل الألمعي الجليل الشهيد الشيخ عبد الأمير أبو الطابوق (طيب الله ثراه)، الذي تميز بسعة الإطلاع وطول الباع في القضايا الإسلامية، وكذلك إلمامه بفنون المعرفة والثقافة فكان مطالعاً نهماً ومتتبعاً واعياً في مختلف العلوم والمجالات فكما قرأ المصادر في الفقه والأصول فقد طالع ما كتب في التفسير والعقائد والتاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس والأدب العربي وغير ذلك، ومن مجموع هذه الروافد تكونت شخصيته وظهر ذلك واضحاً في أسلوبه الخطابي الذي اتسم بالانسجام والترابط في موضوعاته مع الالتزام بجمالية العرض وسلامة الانتقاء واختيار البحوث النموذجية الحيوية كل ذلك يتم بأسلوب مشوق ومنهج سليم واضح.

سيرته:

هو عبد الأمير بن الحاج عبد الحسين بن الحاج هادي بن الحاج عباس بن حسين بن رضا بن ساجت بن عبد العباس بن مطلق بن شايش الصليحات الشهير بأبي الطابوق[1]، وينسب آل أبو الطابوق إلى عشيرة بني مالك من فخذ الصليحات، وقد اشتهروا بأبي الطابوق لأنهم امتهنوا صناعة الطابوق في (كُور) بحر النجف ولعدة قرون، وآل أبو الطابوق أسرة كريمة فاضلة[2].

ولد في محلة الحويش، في بيتهم الواقع خلف جامع الشيخ الأنصاري عام (١٣٦٨هـ/١٩٥٠م) فقد نشأ وترعرع في أحضان أسرة متفانية في حب أمير المؤمنين عليه السلام، فشب وتربى في مدينة العلم والبطولة على الهدى والتقى والصلاح.

بدأ بدراسة المقدمات ثم واصل مسيرته العلمية حتى ترقى إلى السطوح على يد مجموعة من أعلام الأساتذة في الحوزة العلمية، ومنهم الشهيد السعيد آية الله السيد عبد الصاحب الحكيم ثم بدأ بحضور البحث الخارج على زعيم الحوزة

العلمية السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره والسيد عبد الأعلى السبزواري قدس سره والشيخ علي الغروي قدس سره والسيد أحمد المستنبط.

وقد مازج رحمه الله دراسته الحوزوية بالدراسة الأكاديمية حيث تخرج من كلية الفقه سنة (١٩٧٦هـ) عبد أن تتلمذ على جهابذة العلم فيها أمثال السيد محمد تقي الحكيم والشيخ عبد الهادي حموزي والشيخ عبد المهدي مطر وأضرابهم.

وجد في نفسه ميلاً للمنبر الحسيني، وقد ساعده في ذلك امتلاكه صوتاً شجياً يؤهله كي يصبح منبرياً من الطراز الأول، فأطلق لموهبته العنان وبدأ يقرأ المقدمة التي تسبق المحاضرة في المجالس الحسينية، فحضر مع الخطيب الشيخ عبد الوهاب الكاشي والسيد كاظم القاضي الطباطبائي والسيد جواد شبر رحمهم الله، الذين أخذوا بيده وصقلوا موهبته فأصبح قادراً على إدارة المجلس برمته، وعندها أصبح خطيب النجف خصوصاً في بداية الثمانينات وحتى منتصفها فقد ارتقى المنبر في مدرسة دار العلم وجامع الخضراء وجامع الطوسي ومجلس آل بحر العلوم ومرقد صافي صفا، وكانت هذه المجالس تمثل ثقلاً أكبر من عموم مجالس النجف، يتناصف مع زميله وصاحبه المرحوم الشيخ صالح الدجيلي.

ما قيل فيه وما اختص به:

ذكره السيد حسن في موسوعته فقال: (من أكابر خطباء المنبر الحسيني، وأجلاء طلبة الحوزة العلمية الخطيب الفذ عبد الأمير أبو الطابوق حماه الله، مفخرة من مفاخر العلم والخطابة، امتلأت شخصيته إيماناً وصدقاً ووفاءً، مستقيم السلوك أبيض الوجه متوقد الذكاء محبوب الطلعة ناصع السمعة، صحبته في السفر والحضر فهو من جيلنا وزملائنا الذين نشأنا معاً في جامعة النجف الأشرف، ومن خلص أصدقائنا وصفوة (شلتنا) في مؤسسة المأتم الحسيني، فلم نر منه إلا دفء اللسان وخفة الظل وتهذيب النفس وطيب المعشر وشرف المحضر فضلاً عن تفوقه وتقدم شخصيته في خطابة المنبر في أهم المجالس والمحافل الحسينية في النجف الاشرف وغيرها)[٣].

أما الشيخ حيدر المرجاني فيقول فيه: (ثم انفرد بنفسه وأخذ ما تحتاج إليه الخطابة، فأشغل نفسه بالمطالعة والاستماع إلى أكبر عدد من الخطباء حتى أصبح أسلوبه جيد يتذوقه المثقف والعامي)[٤].

أما خصائصه النفسية فإنه بعد أن دس إليه السم في مديرية الأمن وبقي ملازماً لبيته بدأ يحفظ القرآن حتى حفظ أكثر من عشرين جزءاً منه، إضافة إلى حفظه لخطب نهج البلاغة والشعر والنصوص التاريخية وغيرها[٥].

جهاده:

جاءت الثمانينات من القرن المنصرم، سنيناً عجافاً أتت على النسل والحرث فأهلكتها وأصبح العراق بشعبه أسيراً مضطهداً، منقاداً إلى فئة تحكمه بسياسة السيف والدم، فكان على الرساليين أن يقفوا بوجه هذا المد الجائر، لذا فقد وظف خطيبنا الشيخ عبد الأمير مجالسه لتنبيه الناس وأشعارهم بالخطر المحدق بهم، فلم يخش من البطش والتنكيل

هـذا والحرب العراقية ـ الإيرانية مستعرة تحرق الأخضر واليابس، الأمر الذي جعله عرضة لملاحقة رجال الأمن والاعتقالات المتكررة فكان أول اعتقال له بسبب قراءته مجلس تعزية على أرواح الشهداء الذين اعدموا أعقاب أحداث صفر الدامية (شهداء الأربعينية ١٩٧٧م) وقد قضى خطيبنا شهراً في السجن وأفرج عنه بتوسط بعض الوجهاء.

(في سنة (١٩٨٦م) بينما كان خطيبنا يقرأ في مجلس طرف المشراق المنعقد في جامع الطوسي في اليوم الثامن من المحرم إذ دخل رجل يرتدي بزة عسكرية كاملة وحينما وصل إلى المنبر، ارتقى أعواده والشيخ في مكانه لم يقم بأي حركة إلا أنه التزم الصمت ليرى ما يريد ذلك الرجل، فقام الرجل بأخذ العمامة من على رأس الشيخ ووضع محلها قبعته العسكري بمعنى (أنك يجب أن تذهب إلى الجبهة) فما كان من الشيخ إلا أن قال له: ليس محل الكلام الآن، بعد المجلس نتحدث، فأخذ العسكري قبعته وأعطاه العمامة ثم واصل خطيبنا مجلسه دون أي تردد أو خوف)[٦].

في سنة (١٩٨٧م) استدعي من قبل مديرية الأمن في النجف، وكانت الخطة الموضوعة من قبل الأمن تتلخص في إعطائه شراباً مسموماً، ثم يفرج عنه، فيموت بعد أيام وبذلك يتخلصون منه نهائياً وقد تم لهم ما يريدون إلا أن الشيخ لم يمت فقد بقي طريح الفراش سنة كاملة، شهرين منها فاقد الوعي بسبب الجرعة التي تناولها، وبعد أن شفي من ألمه، اعتزل الخطابة وبقي ملازماً لداره بسبب الرقابة الأمنية المكثفة.

بعد اندحار القوات المسلحة في الكويت، اندلعت شرارة الغليان الشعبي في معظم المدن العراقية وكانت النجف من بين تلك المدن، إلا أن السياسات والظروف آنذاك شاءت أن يبقى النظام في الحكم، الأمر الذي أدى إلى اعتقال العشرات من المجاهدين من قبل السلطة وكان خطيبنا الشيخ عبد الأمير من بينهم، فكان آخر العهد به، ولم يتحقق تاريخ استشهاده إلا من بعد سقوط النظام البائد سنة (٢٠٠٣م).

نتـــاجه:

لم يكن لشيخنا صاحب الذكرى، متسع من الوقت في التأليف والتصنيف لانشغاله بأمور الخطابة والدراسة الحوزوية مع ما اعترى حياته الشريفة من مقاساة ومعاناة من أزلام النظام البائد ومع ذلك فقد ترك مجموعة صالحة من الأبحاث الإسلامية والتحقيقات التاريخية تربو على عشرة أجزاء على شكل مجالس لمواضيع تتسم بالتركيز والموضوعية والإحاطة الشاملة بما يتصل بمواضيع اختصاصه، إضافة لكتاب عن ثورة الإمام الحسين عليه السلام عنوانه: (النهضة الحسينية والخطوط العريضة) لكن القدر حال دون تحقيق أمله في إكمال كتابه ■

(١) السيد حسن، معجم الخطباء، ٢٢٤/٧، المرجاني، خطباء المنبر الحسين، ٣٠٥/٢.
(٢) الدجيلي، الدرر البهية، ١٠/٢.
(٣) السيد حسن، معجم الخطباء، ٢٢١/٧.
(٤) المرجاني، خطباء المنبر الحسيني، ٣٠٥/٢.
(٥) أخبرنا بذلك بعض أصدقائه.
(٦) نقلاً عن بعض من حضر المجلس حينها.

لقاءات الإمام الحسين(ع)

قراءة تحليلية

(من لقاءات المدينة ومكة)

• د. محمد محمود زوين
كلية الفقه/ جامعة الكوفة

ينابيع ينطلق الفكر الثوري الحسيني من منبع التخطيط الإلهي، فهو فكر نهضوي يرقى بالوعي الفردي والمجتمعي إلى أعلى درجات تشخيص الواقع وتحديد معالمه، فلم تكن فكرة النهضة الحسينية قائمة على مفاصل عفوية أو اعتباطية، بل كانت فكرة منظمة أيما تنظيم من اختيار الأهل والأصحاب، والسير في طريق النهضة، والدعوات والحوارات والخطابات التي صاحبتها، إلى ما بعد شهادة الحسين عليه السلام مثلما بدأت بالإعداد لها قبل ولاية يزيد بن معاوية لعنه الله.

ومن حلقات هذا الفكر الثوري كانت لقاءات الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام معلماً مهماً في مشاهد النهضة. فقد ترجمت اللقاءات فكراً شمولياً لقائد جال آفاق الزمان والمكان، وحلل وشخص أماكن القوة والضعف في واقع الثورة حتى غدا الخلود سمة النهضة، والنصر السرمدي المتجدد عنوانها.

ومهما يكن من أمر فقد تنوعت لقاءات الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام في المكان كما اختلفت في الزمان، فإنني أزعم أن التمهيد للنهضة سبق هلاك معاوية (لعنه الله) من خلال تحديد ملامح دولته القبلية وتمحيص نتائج انهيارها بعد عزمه جعل يزيد (عليه لعائن

الله تعالى) ولياً لعهده ومخاطبته لعيون المسلمين والصحابة وبعد شياع ذلك في أوساط الناس وتجميل صورة (يزيد) أمام المسلمين. هذا من جهة الزمان تمهيداً ثم نرى ذلك جلياً بعد خروج أبي عبد الله عليه السلام في أواخر رجب سنة ستين للهجرة من المدينة إلى مكة التي أقام بها أربعة أشهر هي أهم اشهر اجتماع المسلمين في مكة (شعبان، رمضان، شوال، ذي القعدة، وثمان خلن من ذي الحجة).

أما المكان فكانت لقاءات في المدينة ولقاءات في مكة فضلاً عن لقاءات المسيرة إلى كربلاء ولقاءات كربلاء.

وإذا تأملنا مستويات هذه اللقاءات لرأينا أن الإمام الحسين عليه السلام التقى بمجاميع كثيرة من الناس منهم أهل بيته وأقاربه، ولقاءات شيعته وشيعة أبيه عليهما السلام، ولقاءات عامة الناس سواءً كانوا من أنصاره أو خاذليه فضلاً عن لقاءات أعدائه، ولقد كانت إدارة هذه اللقاءات وموضوعاتها تنهل من فكر النهضة غايتها إيضاح الأهداف الحسينية الثورية، وطلب النصرة، وإلقاء الحجة.

ومن خلال ما سلف من أمر تحديد النظرة الشمولية للّقاءات نجدها ذات أبعاد ثلاثة البعد الزماني والمكاني، والبعد الشخصي ونعني به (مستويات اللقاءات والخطابات التي تدور فيها)، والثالث الموضوعات التي تتمحور عليها وتهدف لها. وسأحاول الوقوف عند هذه الأبعاد الثلاثة بقوته تبارك وتعالى.

لقاءات المدينة

كانت لرغبة الحسين عليه السلام السفر عن المدينة صدىً موجعاً عند بني هاشم فقد اعتادوا على عميد البيت الهاشمي ولم يكن ترك المدينة عند الإمام عليه السلام هيناً فهو يحيى بين ربوع الذكريات المحمدية والفاطمية وعلى أية حال فقد قرر الإمام (صلوات الله عليه) ترك المدينة بعد لقاء جمع بينه وبين واليها الوليد بن عتبة بن

أبـي سـفيان، وكان هـذا اللقـاء ضمن لقاءات عديدة جمعت الإمام الحسين عليه السلام بأهـل بيته من جهـة وبأعدائه وخاذليه من جهة أخرى.

أمـا لقاءاتـه بأهـل بيتـه فقـد نصت كتـب التاريـخ والسـير أن الإمـام عليه السلام التقـى ببعض نسـاء بنـي عبـد المطلب، وأم سـلمة، وأم هانـئ عمـة الإمام عليه السلام، فضلاً عن لقائه بأخيه محمد بن الحنفية، ويترشح من هذه اللقاءات علم بني هاشم بمـآل الإمام الحسـين عليه السلام وهو في كل ذلـك مؤكد واقـع شـهادته ولقاؤه عليه السلام بأم سـلمة يوضح الهدف والغاية هذا أولاً وثانياً أن الإمام عليه السلام قابل نصح نساء أهل بيته في البقاء وعدم الخروج من المدينة، بالصبر والطاعة وإن علت سـحب الحزن والخـوف لأجلـه عليه السلام، إلا أن ادخار ذلك ليومـه أجـدى وأنفع فأهل بيته هم شـعلة الحـزن في المدينة عليـه بعد وفاته عليه السلام، وما حال أم سـلمة وعامة نساء بني هاشم إلا ناقـوس خطر يؤجج وعـي الصامتين ضد بني أمية.

ويتبيـن من لقـاء الحسـين عليه السلام بأخيه محمد بن الحنفية عن قائد يشـاور، وعن مشـير مخلص، وإن بـدا للإمام أن النهج الإلهـي واقـع لا محالة، يقـول محمد بن الحنفية في لقائه مع الإمام عليه السلام:

(يـا أخـي أنـت أحـب النـاس إلـي، وأعزهم عليّ ولست أدخر النصيحة لأحد مـن الخلق إلا لـك، وأنت أحـق بها، تنحَ ببيعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما اسـتطعت، ثم ابعث رسلك إلى الناس فادعهـم إلى نفسـك، فإن بايعـك الناس وبايعـوا لـك حمدت الله علـى ذلك، وإن أجمع الناس علـى غيرك لن ينقصك الله بذلك دينك وعقلك ولا تذهب به مروءتك ولا فضلـك، إنـي أخاف عليـك أن تدخل مصراً من هـذا الأمصار، فيختلف الناس بينهم، فمنهم طائفة معك، وأخرى عليك فيقتتلون، فتكون لأول الأسـنة غرضاً، فإذا خير هذه الأمة كلها نفسـاً وأباً وأماً أضيعها دماً واذلها أهلاً!!

فقال له الحسـين (صلوات الله عليه): فأين أذهب يا أخي؟

قـال: انـزل مكة، فـإن اطمأنت بك الـدار بها فسـبيل ذلـك، وإن نبت لحقت بالرمال وشـعب الجبال وخرجت من بلد إلـى بلـد، حتى تنظـر إلى مـا يصير أمر الناس إليه، فإنـك أصوب ما تكون رأياً حين تستقبل الأمر استقبالاً.

فقـال عليه السلام: يـا أخـي قـد نصحـت وأشفقت، وأرجو أن يكون رأيك سديداً موفقاً).

فأنـت ترى مـن طبيعـة هـذا الحوار مشـهد اللقـاء حيـث نصح مخلـص قلّب الأمور ظهر وبطناً وأدارها يميناً ويساراً، فهـي من الثوابت الحسـينية بمقام عظيم فلا مكان للبيعة المذلة، ولا ولاية للدولة الأموية في أعناق بني هاشم، مع تشخيص حال الناس والأمة، فالسقيفة بعد لازالت شـاخصة في أذهان بني هاشم، وخذلان النـاس لبيعـة الغدير حفـرت في ذاكرة المسـلمين الموالـين أثـراً لا يخفى، وما جـرى بعـد ذلك علـى الإمام علـي وولده الحسـن وقبله أمه الزهراء عليها السلام كل ذلك يدعـو الناصح لأن يجعل مـن بيعة الناس وفقـاً لالتزامهـم الشـرعي أمـراً بعيـد المنـال واختلافهـم أقـرب لأن سياسـة

الدولة الأموية تقوم على جوانب المكر والاحتيال من جهة والقبضة الحديدية من جهة أخرى.

وبعد ذلك تلحظ فكر التخطيط الثوري في التنقل بين البلاد ومراوغة الدولة وعدم السكون في موضع واحد، وغير هذا وذاك تجد مقام الإمام عليه السلام عند ابن الحنفية عظيماً سامياً يظهر من قوله رضي الله عنه: (فإذا خير هذه الأمة كلها نفساً وأباً وأماً، أضيعها دماً وأذلها أهلاً).

وأقف عند ختام التعليق على لقاء الإمام عليه السلام بأخيه ابن الحنفية عند نقطتين:

الأولى: نصح ابن الحنفية للإمام بالذهاب إلى مكة، وهي نصيحة أزعم أنها وقعت على نهج التخطيط الإلهي للإمام في الذهاب لمكة من المدينة وذلك لأهميتها لتوافر البيئة الزمانية والمكانية في الذهاب إليها.

ثانياً: إشادة الإمام عليه السلام بأخيه ونصحه، وجعله أميناً على وصيته التي نقلها أرباب السير والتاريخ فهو أمين مؤتمن عند الإمام عليه السلام.

اخلص من لقاءات المدينة أن الإمام عليه السلام أعلم أهل بيته وعشيرته وأصحابه بنيته في النهضة وبين الجوانب الإلهية فيها وما تلقاه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقوبل ذلك بالحزن والأذى وإبداء النصح والمشورة منهم.

هذا طابع لقاء الإمام عليه السلام مع أهله في المدينة، أما لقاؤه مع أعدائه فقد جمعه عليه السلام لقاء مع الوليد بن عتبة بن أبي سفيان والي المدينة، ومروان بن الحكم حيث طالباً الإمام الحسين عليه السلام بتقديم البيعة ليزيد فأبى أبي الضيم عليه السلام وقال له: ما كنت أبايع ليزيد.

فقال مروان لعنه الله: بايع لأمير المؤمنين.

فقال الحسين عليه السلام: كذبت ويلك على المؤمنين من أمرّه عليهم... ثم أقبل عليه السلام على الوليد فقال عليه السلام: ... نحن من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله وبنا يختم، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحرمة معلن بالفسق ومثلي لا يبايع له، ولكن نصبح وتصبحون أينا أحق بالخلافة والبيعة.

فخطاب الحسين عليه السلام خطاب الوضوح في الغاية والهدف فقد أظهر عليه السلام منزلتهم ومنزلة يزيد ومرجعية كل واحد منهم ثم كنى عن زمن الخلافة الحقة بقوله: (ولكن نصبح وتصبحون).

ورفض بيعة يزيد وبيان حاله ركن أساسي وثابت من ثوابت النهضة وهو عليه السلام إنما يحسبه رفض فكر يتسم بسمات الفسق والظلم وانتهاك المحارم يحكم في رقاب الناس لا رفض اسم معين وهذا ما حدا به وبأخيه وأبيه عليهم السلام عدم البيعة لمعاوية من قبل وأكدها بالنهضة بوجه يزيد عليه اللعنة وهو ظاهر في خطابه (ومثلي لا يبايع له) ومن كمثل الإمام الحسين عليه السلام؟!! وإن عدم المثل لا يبايع فكيف بالإمام الحسين عليه السلام.

وتؤكد فكرة رفض البيعة بحزم لا هوادة فيه، وبثبات على النهضة بوجه الظلم من دون أن يكون هناك جانب تكتيكي في التراجع بل هو قرار استراتيجي بعرف أهل السياسة لا محيص عنه يظهر ويتكرر في لقاءات

الإمام عليه السلام في المدينة والطريق إلى كربلاء من مكة ولقاءات الأعداء في ساحة الحرب.

ففي لقاء الإمام عليه السلام مع أخيه عمر الأطرف الذي خذله ولم يخرج معه ومن دون عذر فقد قال للإمام عليه السلام: فلولا ناولت وبايعت.

فقال له الإمام عليه السلام ضمن رده عليه: والله لا أعطي الدنية من نفسي أبداً، ولتلقين فاطمة أباها شاكية ما لقيت ذريتها من أمته، ولا يدخل الجنة أحد آذاها في ذريتها.

ومن نافلة القول أن الإمام عليه السلام أيد بالعوالم الأخرى فقد روت كتب التاريخ أنه التقى بمجاميع من الملائكة والجن الذين طالبوا أن ينصروه فشكرهم وأخبرهم بشهادته وما قدره الله له.

أخلص مما سبق أن جميع اللقاءات مع الإمام في المدينة كانت بطلب ممن التقاه وكان الإمام عليه السلام يؤكد في كل ذلك مرتكزات النهضة ومآله فيها.

لقاءات مكة المكرمة

خرج الإمام عليه السلام من المدينة إلى مكة المكرمة فوصلها في أوائل شعبان عام (٦٠هـ) والجو العام في مكة يحتم على صاحب كل قضية أن يحفل بالبيت الحرام وبالطائفين به، ولكن الأمر مع الإمام اختلف فقد احتفل البيت الحرام بالإمام الحسين عليه السلام وغدا عليه السلام مقصد كل قادم لمكة ومهبط كل مودع لها.

ولقد أتيح للإمام عليه السلام في مكة أن يلتقي عدداً كبيراً من قاصديه، ومحبيه طيلة أربعة أشهر يهيء الناس لفكرة النهضة، وينقض دعامة الحكم الأموي فيها حتى جاءت أوامر اغتياله ولو كان معلقاً بأستار الكعبة.

وعلى أية حال فقد التقى الإمام عليه السلام في مكة بعبد الله بن عباس أكثر من مرة فيما روت المصادر التاريخية منها ما جمع الإمام الحسين عليه السلام بعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر، وفرق بين توجه الاثنين فابن عمر يحذر الإمام من القتل ويطلب منه الدخول في صلح يزيد ويصبر كما صبر لمعاوية، فينكر الإمام الحسين عليه السلام عليه ذلك بقوله عليه السلام: أبا عبد الرحمن أنا أبايع يزيد وأدخل في صلحه وقد قال النبي صلى الله عليه وآله فيه وفي أبيه ما قال؟!

ويؤيد ابن عباس موقف الحسين عليه السلام، ثم يعيد ابن عمر عليه مقولته في الصلح والصبر، فيظهر الإمام عليه السلام غضبه منه، ثم يوصيه بعدم العجلة بالبيعة لهم حتى يعلم ما تؤول الأمور إليه، ويوصي الإمام عليه السلام ابن عباس بالمضي إلى المدينة ويمده بأخبارها، وينتهي أول لقائه بابن عباس.

لا ريب في أن مواقف الرجال تختلف بحسب مناهلهم، وموقف ابن عمر المتخاذل إلا من دعوة الصلح والتصبر موقف أقيم أساساً على مناهله ومشاربه، فهو يختلف عن موقف الناصح الأمين، فالناصح يدرك ويؤمن بالإمام عليه السلام وقضيته وغيره ممن يهاب الشهادة لا يطمئن إلا بالصبر والمذلة. وعلى كل أمر ففرق بين موقف ابن عباس وابن عمر، وقد تحفل الثورات كل الثورات بمواقف الرجلين، ويبقى القائد الواعي لأحداث عصره هو المخطط والمحلل لكل الأصوات الناظر لحوايا الكلام

الناقد لمواقف الرجال.

ويبقى الإمام عليه السلام في مكة ويلتقي الناس على اختلاف مشاربهم وتأخذ نهضته منحى آخر إذ بدأت طلائع أخباره بأنه سائر إلى العراق، إلى ما وعد فيه وهو بكل وقت يذكر الناس بمنزلته ويحثهم على أخذ مواقف يمليها عليهم تكليفهم الشرعي. مقابل ذلك تتداعى على الإمام عليه السلام الناس والكتب تمنيه الأمان وتعهد إليه بذلك وتحذره الشقاق الهلاك والموت، وكأن الحسين عليه السلام خرج ليؤمن نفسه من الموت أو من بطش يزيد؟ أو كان الحسين عليه السلام خرج لمصلحة لا تتجاوز حناياه؟!

ويقابل الإمام عليه السلام تلك الأفكار بالإصرار والثبات والصبر وإلقاء الحجة وبيان غاية النهضة، حتى يتبلور فكر القيام ضد الحكم الأموي أمراً بدأ يتحول إلى واقع ملموس، وليس إهلاكاً للنفس كما يرى حوّل الناس فمسألة إهلاك النفس لا تقابل بالإمام ومن عبث الفكر الحديث بها، ومن جهل المتكلمين طرحها قبالة قضية الإمام فقائد النهضة كان الحسين وليس على وجه الأرض أحد كالحسين، وليس على وجه الأرض أحد يساويه أو يدانيه، لذا فإن أسطورة الخوف من بني أمية أو أمثالهم بدأت تتهرأ من سنة (٦٠هـ) أسس لها الحسين عليه السلام ونفذها وأصبح معلماً لها في كل عصر.

ويدخل على الإمام عليه السلام عبد الله بن الزبير الذي كان يرى في نفسه من

الحسين عليه السلام منافساً له في المنزلة من أمر الخلافة، وشتان بين الثرى والثريا، وما أن نزل الحسين عليه السلام في مكة حتى كان أثقل الناس عليه، لأن في موقف الحسين عليه السلام من الحكم الأموي تهميش لموقف ابن الزبير فيما يرى هو. وعلى الرغم من ذلك فقد التقى ابن الزبير بالإمام عليه السلام ونصحه بالبقاء في مكة، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: (والله لئن أقتل خارجاً منها بشبر أحب إليّ من أقتل داخلاً منها بشبر...).

وفي رواية أخرى قال له عليه السلام: (لا نستحلها ولا تستحل بنا، ولأن أقتل على تل أعفر أحب إليّ من أقتل بها).

ولم تكن حال ابن الزبير خافية على الإمام الحسين عليه السلام فهو من قد خبر قومه ومرسهم. ففي رواية أخرى نرى أن ابن الزبير يسأل الإمام عليه السلام خبرني عما تريد أن تصنع؟

فقال له الإمام عليه السلام: والله لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة ولقد كتب إليّ شيعتي بها وأشراف أهلها، وأستخير الله).

فقال ابن الزبير: أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت بها.

ثم نصح ابن الزبير الإمام عليه السلام بالبقاء في مكة وقام وخرج منه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام مخبراً عن واقع فكر ابن الزبير ونفسه المريضة بحب الخلافة والنزوع لها: إن هذا ليس شيء يؤتاه من الدنيا أحب إليه من أن أخرج من الحجاز إلى العراق، وقد علم أنه ليس له من الأمر معي شيء، وأن الناس لم يعدلوه بي فود أني خرجت لتخلو له).

يترشح من لقاء الإمام عليه السلام بابن الزبير أن التخطيط الرسالي لنهضة الحسين عليه السلام يفرد ويستبعد كل من قصرت همته على مصلحته وذاته فموقف ابن الزبير وإن التقى في بعض المقاصد والآليات بموقف الإمام عليه السلام- بما هو شكلي وظاهر لا بما هو حقيقي - إلا أنه يبتعد عنه بعد المغرب عن المشرق فمصلحة الذات وحب الرئاسة لا تلتقي مطلقاً بمصلحة الأمة وهما طرفا نقيض والتخطيط الرسالي وحده كفيل بإبعاد هكذا إشكاليات في ساحات الثورات والنهضة الخالصة.

فهرست بلقاءاته(٤)

١- لقاء أمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان مع مروان بن الحكم في المدينة.
٢- لقاء مع مروان بن الحكم في المدينة.
٣- لقاء مع أهل بيته وعماته من بني عبد المطلب في المدينة.
٤- لقاء مع أم سلمة في المدينة.
٥- لقاء مع عمته أم هانئ في المدينة.
٦- لقاء مع محمد بن الحنفية في المدينة.
٧- لقاء مع أفواج من الملائكة والجن.
٨- لقاء مع ابن عباس وعبد الله بن عمر في مكة.
٩- لقاء ثان مع ابن عباس في مكة.
١٠- لقاء ثالث مع ابن عباس في مكة.
١١- لقاء رابع مع ابن عباس في مكة.
١٢- لقاء مع عبد الله بن الزبير في مكة.
١٣- لقاء الإمام عليه السلام بأبي أيوب مغيث بن

سمي الأوزاعي في مكة.
١٤ـ لقاء مع عمر بن عبد الرحمن المخزومي في مكة.
١٥ـ لقاء الإمام عليه السلام بجابر بن عبد الله الأنصاري.
١٦ـ لقاء الإمام عليه السلام مع أبي محمد الواقدي، وزرارة بن جلح أو خلج في مكة.
١٧ـ لقاء الإمام عليه السلام مع أبي سعيد الخدري في مكة.
١٨ـ لقاء مع أخيه عمر الأطرف في مكة.
١٩ـ لقاء آخر مع الإمام عليه السلام بمحمد بن الحنفية في مكة.
٢٠ـ لقاء مع عبد الله بن مطيع العدوي في الطريق من المدينة إلى مكة.
٢١ـ لقاء الإمام عليه السلام بالفرزدق في مكة في بستان بني عامر أو ابن عامر (اللقاء الأول).
٢٢ـ لقاء الإمام عليه السلام بعير أقبلت من اليمن في (التنعيم).
٢٣ـ لقاء الإمام عليه السلام مع بشر بن غالب الأسدي في (ذات عرق).
٢٤ـ لقاء الإمام عليه السلام مع الفرزدق في (ذات عرق) (اللقاء الثاني).
٢٥ـ لقاء الإمام عليه السلام مع عبد الله بن مطيع العدوي بعد خروجه عليه السلام (من الحاجر إلى الكوفة) (اللقاء الثاني).
٢٦ـ لقاء الإمام عليه السلام مع زهير بن القين في (زَرُود).
٢٧ـ لقاء الإمام عليه السلام مع أبي هرة الأزدي (في قصر بني مقاتل أو الثعلبية).
٢٨ـ لقاء الإمام عليه السلام مع بشر بن غالب الأسدي في (الثعلبية) اللقاء الثاني.
٢٩ـ لقاء الإمام عليه السلام مع زهير الأسدي من أهل (الثعلبية).
٣٠ـ لقاء الإمام عليه السلام مع رجل من أهل الكوفة في (الثعلبية).
٣١ـ لقاء الإمام عليه السلام مع الفرزدق في (الشقوق) اللقاء الثالث.
٣٢ـ لقاء الإمام عليه السلام مع عمرو بن لوذان في (بطن العقبة).
٣٣ـ لقاء الإمام عليه السلام مع الحر بن يزيد الرياحي في (ذي حسم).
٣٤ـ لقاء الإمام عليه السلام بأربعة نفر منهم مجمع بن عبد الله العائذي في (عذيب الهجانات).
٣٥ـ لقاء الإمام عليه السلام مع عبيد الله بن الحر الجعفي في (قصر بني مقاتل).
٣٦ـ لقاء الإمام عليه السلام مع أنس الكاهلي في (قصر بني مقاتل).
٣٧ـ لقاء الإمام عليه السلام مع رجلين من المشرق في (قصر بني مقاتل).
٣٨ـ لقاء الإمام عليه السلام مع عمر بن سعد في كربلاء.
٣٩ـ لقاءات الإمام عليه السلام مع أعدائه بالحوار والكلمات قبل لقاء السيوف في كربلاء ■

ثواب زيارتنا

عن معلى بن خنيس قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا انصرف الرجل من إخوانكم من زيارتنا أو زيارة قبورنا فاستقبلوه، وسلموا عليه، وهنؤوه بما وهب الله له، فإن لكم مثل ثوابه، ويغشاكم ثواب مثل ثوابه من رحمة الله، وإنه ما من رجل يزورنا أو يزور قبورنا إلا غشيته الرحمة وغفرت له ذنوبه.

درر الأخبار ص: ٧٠٢

كربلاء تبعث من جديد

واقعة فخ

تقارب الأحداث والشخوص

• **السيد محمد علي الحلو**
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع شهدت فخ ـ وهي موضع يبعد عن مكة بفرسخ واحد ـ التحام فريقين، وكان الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام في مقدمة العلويين الذين ثاروا لكرامتهم بعد أن امتهنها العباسيون على يد رجل من ولد عمر بن الخطاب يعرف بـ(عبد العزيز بن عبد الله)، فحمل على الطالبيين وأساء إليهم، وأفرط في التحامل عليهم، وطالبهم بالعرض كل يوم، وكانوا يعرضون في المقصورة، وأخذ كل واحد منهم بكفالة قريبه ونسيبه فضمن الحسين بن علي ويحيى بن عبد الله بن الحسن، الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن، ووافى أوائل الحاج، وقدم من الشيعة نحو من سبعين رجلاً، فنزلوا دار ابن أفلح بالبقيع وأقاموا بها، ولقوا حسيناً وغيره.

فبلغ العمري فأنكره، وكان قد أخذ قبل ذلك الحسن بن محمد بن عبد الله، وابن جندب الهذلي الشاعر، ومولى لعمر بن الخطاب، وهم مجتمعون، فأشاع أنه وجدهم على شراب، فضرب الحسن ثمانين سوطاً، وضرب ابن جندب خمسة عشر سوطاً، وضرب مولى عمر سبعة أسواط، وأمر بأن يدار بهم في المدينة

مكشفي الظهور ليفضحهم، فبعث إليه الهاشمية صاحبة الراية السوداء في أيام محمد بن عبد الله، فقالت: له لا ولا كرامة لا تشهر أحداً من بني هاشم وتشنع عليهم وأنت ظالم، فكف عن ذلك وخلي سبيلهم[1].

لم يكن هذا العمري إلا وسيلة تنكيل بالهاشميين، وكان يمتهن كرامتهم ويعتدي على حقوقهم، ويضيق على حرياتهم فيطالبهم بالعرض في كل يوم أو في اليوم مرتين على إحدى الروايات، ـ والعرض: هو حضور الهاشميين في كل يوم ليستعرضهم ويتفقد من يغيب منهم عن المدينة ـ وهذا منتهى التحكم غير المبرر، والقهر غير المشروع لا لشيء إلا للتنكيل وتوهين مقامهم والتقليل من شأنهم.

وكان ذلك منتهى الإساءة والإذلال الذي لا يقف عند حد ولم يكتف العمري حتى أشاع أن هؤلاء النفر ـ ومن بينهم الحسن بن محمد بن عبد الله ـ قد وجدهم على خمر فأراد أن يقيم الحد عليهم فكان أن أقامه على الحسن بن محمد دون صاحبيه اللذين اكتفى بحد أحدهما خمسة عشر سوطاً والآخر سبعة، وأي عدل هذا أن يفرق بالعقوبة ـ إن ثبتت ـ أو بالحد إن استحقوه هؤلاء، ولم يكن للعمري هم سوى التنكيل بالهاشمي دون سواه.

لم يحتمل الهاشميون هذه الخروقات، ولم يصبروا على الاستعباد إلى الحد الذي لا يملك أحدهم متسعاً ليترك المدينة يوماً أو بعض يوم حتى يؤخذ بصاحبه ويطالب بالمثول أمام هذا العمري، مما دعا محمد بن الحسن ـ الذي نكل به ـ أن يغادر المدينة بعض الوقت ولم يحضر عند الوالي حين أراد أن يستعرضهم حتى طلب من الحسين بن علي ويحيى بن عبد الله بن الحسن بإحضاره لأنهما كفلاه،

ولم يقدرا أن يحضرا هذا الغائب الذي نكل به تواً واستبيحت حرمته وهو يطاف به في المدينة وفي أرجاء الحيين الذين شهدا كرامة الهاشميين يوم كانوا في ظل رسول الله ﷺ معززين.

كانت لهجة العمري تنذر بالسوء وتنطوي تحت تهديد غير حميد، فالشر يتطاير من جنبات خطابه كما كان السوء يعرف بسمته وسيرته... فظ غليظ لا يعرف للرحمة مكاناً في قلبه، سيء السيرة والسريرة.

قال الاصفهاني في مقاتله: فلما اجتمع

النفر من الشيعة في دار ابن أفلح أغلظ العمري أمر العرض، وولى على الطالبيين رجلاً يعرف بأبي بكر بن عيسى الحائك مولى الأنصار، فعرضهم يوم جمعة فلم يأذن لهم بالانصراف حتى بدأ أوائل الناس يجيئون إلى المسجد، ثم أذن لهم فكان قصارى أحدهم أن يغدو ويتوضأ للصلاة ويروح إلى المسجد فلما صلوا حبسهم في المقصورة إلى العصر، ثم عرضهم فدعا باسم الحسن بن محمد فلم يحضر، فقال ليحيى والحسين بن علي: لتأتياني به أو لأحبسكما فإن له ثلاثة أيام لم يحضر العرض ولقد خرج أو تغيب، فراده بعض المرادة وشتمه يحيى وخرج فمضى ابن الحائك هذا فدخل على العمري فأخبره فدعا بهما فوبخهما وتهددهما، فتضاحك الحسين في وجهه وقال: أنت مغضب يا أبا حفص.

فقال له العمري: أتهزأ بي وتخاطبني بكنيتي؟

فقال له: قد كان أبو بكر وعمر وهما خير منك، يخاطبان بالكنى فلا ينكران ذلك وأنت تكره الكنية وتريد المخاطبة بالولاية.

فقال له: آخر قولك شر من أوله.

فقال: معاذ الله، يأبى الله لي ذلك ومن أنا منه.

فقال له: أفإنما أدخلتك إليّ لتفاخرني وتؤذيني؟ فغضب يحيى بن عبد الله، فقال له: فما تريد منا؟

فقال: أريد أن تأتياني بالحسين بن محمد.

فقال: لا تقدر، هو في بعض ما يكون فيه الناس، فابعث إلى آل عمر بن الخطاب فاجمعهم كما جمعتنا ثم أعرضهم رجلاً رجلاً، فإن لم تجد فيهم من قد غاب أكثر من غيبة الحسن عنك فقد أنصفتنا، فحلف على الحسين بطلاق امرأته وحرية مماليكه أنه لا يخلي عنه أو يجيئه به في باقي يومه وليلته وأنه إن لم يجيء به ليركبن إلى سويقة فيخربها ويحرقها، وليضربن الحسين ألف سوط وحلف بهذه اليمين إن وقعت عينه على الحسن بن محمد ليقتلنه من ساعته.

فوثب يحيى مغضباً فقال له: أنا أعطي الله عهداً، وكل مملوك لي حر إن ذقت الليلة نوماً حتى آتيك بالحسن بن محمد أو لا أجده، فأضرب عليك بابك حتى تعلم أني قد جئتك، وخرجا من عنده وهما مغضبان، وهو مغضب، فقال الحسين ليحيى بن عبد الله: بئس لعمر الله ما صنعت حين تحلف لتأتينه به، وأين تجد حسناً؟

قال: لم أرد أن آتيه بالحسن والله، وإلا فأنا نفي من رسول الله ﷺ [ومن علي عليه السلام] بل أردت أن لا يدخل عيني نوم حتى أضرب عليه بابه ومعي السيف، إن قدرت عليه قتلته.

فقا له الحسين: بئس ما تصنع تكسر علينا أمرنا.

قال له: وكيف أكسر عليك أمرك، وإنما بيني وبين ذلك عشرة أيام حتى تسير إلى مكة، فوجه الحسين إلى الحسن بن محمد فقال: يا بن عمي، قد بلغك ما كان بيني وبين هذا الفاسق، فامض حيث أحببت.

فقال الحسن: لا واله يا بن عمي، بل أجيء معك الساعة حتى أضع يدي في يده، فقال له الحسين: ما كان الله ليطلع عليّ وأنا أجيء إلى محمد ﷺ وهو خصيمي وحجيجي في دمك، ولكن أقيك بنفسي

لعل الله أن يقيني من النار[٢].

ولم يزل الحسين مصراً على دفع الأذى عن ابن عمه وأولاد عمومته، وقد رفض ما أصر عليه العمري والعباسيون من امتهان كرامتهم وإذلالهم، فنفس آبائه بين جنبيه والموت عنده أهون من الذل، وألف قتلة عنه أهون من كلمة تحط من مقامه وتجيش بأهله مرديات المنون.

ولم يجد الحسين بداً إلا ابتداء القوم ومعالجتهم لئلا تذهب نفسه ونفوس أهله هكذا مضاعة دون أن يذيق هؤلاء مغبة السوء وطائشة الهوى وهم يتذرعون في تصفية العلويين بمعاذير لم تعد تخفى على أصحاب البصائر، وآل علي بين أمرين أهونهما مر، بين العيش بذل وهو أن يستعرضهم هذا العمري وسفلة صناع القرار من أهل السوء، أو القتل صبراً فتذهب دماؤهم سدى بين أكلة طامع أو بطنة شبعان اكتظت نفسه على الولوغ بدم الأبرياء، فرأوا أن الموت أحجى من القبول بالذل، وأن القتال أيسر الأمرين.

استدعى الحسين بن علي أهله وأبناء عمومته، وقد عزم على مواجهة هؤلاء النفر من المراق وأهل الغدر من بني العباس، وكأن الحسين كان وجيهاً عند بني عمومته يسمعون قوله ويذعنون إلى رأيه، ثم وجه - أي الحسين بن علي - فجاءه يحيى وسليمان وإدريس بنو عبد الله بن الحسن، وعبد الله بن الحسن الأفطس، وإبراهيم بن إسماعيل طباطبا، وعمر بن الحسن بن علي بن الحسن بن الحسين بن الحسن، وعبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي، وعبد الله بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ووجهوا إلى فتيانهم ومواليهم فاجتمع ستة وعشرون رجلاً من ولد علي عليه السلام، وعشرة من الحاج، ونفر من الموالي، فلما أذن المؤذن للصبح دخلوا المسجد ثم نادوا: (أحد، أحد) وصعد عبد الله بن الحسن الأفطس المنارة التي عند رأس النبي صلى الله عليه وآله عند موضع الجنائز فقال للمؤذن: أذن (بحي على خير العمل) فما نظر إلى السيف في يده أذن بها وسمعه العمري

أسمح القوم

ذُكر أن رجلين أحدهما من بني هاشم والآخر من بني أمية قال هذا: قومي أسمح. وقال هذا: قومي أسمح. قال: فسل أنت عشرة من قومك وأنا أسأل عشرة من قومي. فانطلق صاحب بني أمية فسأل عشرة فأعطاه كل واحد منهم عشرة آلاف درهم، وانطلق صاحب بني هاشم إلى الحسن بن علي عليه السلام فأمر له بمائة وخمسين ألف درهم. ثم أتى الحسين عليه السلام فقال: هل بدأت بأحد قبلي؟ قال: بدأت بالحسن. قال: ما كنت أستطيع أن أزيد على سيدي شيئاً فأعطاه مائة وخمسين ألفاً من الدراهم.

فجاء صاحب بني أمية فحمل مائة ألف درهم من عشرة أنفس، وجاء صاحب بني هاشم فحمل ثلاثمائة ألف درهم من نفسين، فغضب صاحب بني أمية فردها عليهم فقبلوها، وجاء صاحب بني هاشم فردها عليهما فأبيا أن يقبلاها وقالا: ما كنا نبالي أخذتها أم ألقيتها في الطريق.

إحقاق الحق ج: ١٩ ص: ٢٧١

فأحس بالشر ودهش، وصاح أغلقوا البغلة الماء وأطعموني حبتي ماء.

قال علي بن إبراهيم في حديثه: فولده إلى الآن بالمدينة يعرفون ببني حبتي ماء.

قالوا: ثم اقتحم إلى دار عمر بن الخطاب وخرج في الزقاق المعروف بزقاق عاصم بن عمر، ثم مضى هارباً على وجهه يسعى..)[٣].

واشتد الضراب بين القوم وكانت وصية موسى بن جعفر عليه السلام للحسين بن علي (أنك مقتول فأج د الضراب فإن القوم فساق يظهرون إيماناً ويضمرون نفاقاً وشركاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون وعند الله عز وجل أحتسبكم من عصبة)[٤].

كان هذا الكلام قد صدر من الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بعد أن اعتذر للإجابة عن دعوة الحسين بن علي للخروج، والظاهر أن الحسين أراد أن يستحصل كلمة الإشفاق من الإمام عليه السلام بعد أن أعذرهم بالخروج لأمر رأوه هم أن فيه المصلحة وأن القعود موجب للمفسدة التي لا يحتملها أمثال الحسين بن علي وأولاد عمومته، في حين لا يكون هذا الرأي فيه مندومة للإمام المعصوم وهو يعلم بالمصلحة الحقيقية التي لا تسمح لمثل الإمام عليه السلام أن يستجيب لدعوات الثأر وحركات الانتقام التي قد يكون فيها الحسين بن علي معذوراً في الخروج على ظلم العباسيين وامتهانهم لكرامته، ولعل الحسين وجد نفسه في سعة من الخروج على أولئك الظالمين، والإمام عليه السلام لا يجد لخروجه عذر الحسين في الانتقام لنفسه وأهله وخاصته مما أصابه من حيف وظلم وتنكيل، فإن تكليف الإمام عليه السلام الركون لما يراه من مصلحة أو القعود والتربص دون الخروج وإعلان الثورة.

وإذا ما وقفنا على تصريح الحسين بن علي ويحيى بن عبد الله من أنهما خرجا بإذن من الإمام عليه السلام علمنا - إن صح الخبر - أن خروجهما كان مشروعاً وأنه من مقتضيات الظروف التي كان يطارد الهاشميون فيها وينكل بهم وتمتهن كرامتهم، فقدر روى الاصفهاني عن إبراهيم بن إسحاق القطان قال: سمعت الحسين بن علي ويحيى بن عبد الله يقولان (ما خرجنا حتى شاورنا أهل بيتنا، وشاورنا موسى بن جعفر فأمرنا بالخروج).

كان الحسين بن علي قد أخذ البيعة للرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله وكانت بيعته هكذا: (أبايعكم على كتاب الله وسنة رسول الله، وعلى أن يطاع الله ولا يعصى، وأدعوكم إلى الرضا من آل محمد، وعلى أن نعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، والعدل في الرعية، والقسم بالسوية، وعلى أن تقيموا معنا وتجاهدوا عدونا، فإن نحن وفينا لكم وفيتم لنا، وإن نحن لم نف لكم فلا بيعة لنا عليكم).

كان موسى بن جعفر عليه السلام قد نعاه في مجلس الهادي العباسي بعد أن جاؤوا بالرؤوس فسأل الهادي العباسي الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: هذا رأس الحسين؟

قال عليه السلام: نعم إنا لله وإنا إليه راجعون، مضى والله مسلماً صالحاً قواماً آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، ما كان في أهل بيته مثله... فلم يجيبوه بشيء[٥].

كان جواب الإمام موسى بن جعفر عليه السلام تحدياً للعباسيين وتأبيناً للثائر الشهيد.. الحسين بن علي.. قتيل فخ.

كانت المأساة الكربلائية تتكرر صورها في معركة فخ.. فتشابه اسمي شهيديهما أضفى قدسية أخرى على مشاهد المعركة.. ونقل الرؤوس من فخ الواقعة قرب مكة إلى بغداد عاصمة العباسيين، وكان موسى الهادي قد مثل دور يزيد بأبشع صوره.. فنفاقه بان على تعاطيه مع الحدث، حيث وبخ أولئك الذين يحملون الرؤوس وأبعدهم عن العطاء وبكى حين شاهد رؤوس الشهداء قد أدخلت عليه، وقال: كأنكم أتيتموني بأهل الترك والديلم ولا تعلمون أنهم أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لكن مشاهد النفاق تتكشف بتصرف مثير حين نكل بكل من لم يشارك في قتل الحسين بن علي، وعاقب أحد قواده العسكريين المعروف بدر التركي الذي امتنع عن القتال بحجة ما فعاقبه أن جعله سائساً ـ مشرفاً على خيوله وقائماً بشؤونها ـ، ولم تدفن الأجساد حتى بقيت ثلاثاً على أرض فخ فأكلتهما السباع، وعاثت بها وحوش الفلوات.. وما أشبه الأمس الأموي باليوم العباسي... وما أشبه اليوم بالبارحة حيث تقتل المئات من شيعة الحسين على أيدي الطيش الأموي ونفاق بني العباس.. فإلى الله المشتكى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ■

(١) مقاتل الطالبيين، أبي الفرج الاصفهاني، ٣٧٢-٣٧٣.
(٢) نفس المصدر، ٣٧٣-٣٧٥.
(٣) نفس المصدر.
(٤) نفس المصدر، ٣٧٧.

قصيدة:

العباس بن علي(ع)*

• السيد محمد جمال الهاشمي

قصدَ الفرات وقلبه متلهّبُ ... والموج في شطآنه متوثّبُ
والجيش يرقب شاطئيه بيقظةٍ ... منها الكواكب في السما تتعجبُ
وبنو الحسين وصحبه في حالةٍ ... يبكي لها حتى العدو ويندبُ
قد أثّر العطش المذيب بها فلا ... تلقى سوى أشباحها تتقلبُ
وهنالك الطفل الرضيع وأمه ... صرعا وفي الأحشاء جمرٌ ملهبُ
فأثارت الصور الرهيبة نخوةً ... من فارس منه المواقف ترهبُ
واتى أبو الفضل الحسين ودمعه ... لغةٌ عن العزم المصمم تعربُ
يبغي النزال لكي يخفف ثورة ... في روحه منها الجوارح تتعبُ
فالحرب أفنت كل من يهواه من ... صنو ومن خلّ له يتحببُ
وقضت على جيش الحسين فلم تدع ... إلاّه قرماً في المعسكر يرقبُ
فقتالهم فرض يحتمه الإبا ... فيه يؤدي بعض ما يتوجبُ

* * * * *

أذِن الحسين له فراح كأنه ... نسر يحلّق أو هزبر يغضبُ
حتى إذا أمتلك الفرات بسيفه ... والجيش راح عن الشريعة يهربُ
خاض الخضم وقلبه متلهبٌ ... من حرّه ولسانه متخشّبُ

* منتقاة من ديوان السيد محمد جمال الهاشمي (مع النبي وآله).

لكنه ما بل منه لسانه ... بل عاد وهو من الظما متشعّبُ
ملأ الذنوب وعاد يزحف قاصداً ... أن تستقي منه العقيلة زينبُ
أن تستقي منه سكينة فالظما ... قد هدّها فلها وجود متعبُ
أن تستقي الأطفال منه فإنها ... فوق التراب من الظما تتذبذبُ
حاطت به الأعداء وهو يردّها ... بحسامه فبه يجدّ ويلعبُ
لف الكتائب بالكتائب هادراً ... كالسيل عن مجراه لا يتنكبُ
بطل له الأبطال تخشع في الوغى ... فله حسام كالمنية مرعبُ
فأشار للغدر أبن سعدٍ قائلاً: ... لأبن الطّفيل: إليك هذا المنصبُ
فأنساب يستر بالنخيل ظلاله ... وبكفّه للفتك سيفٌ مقضبُ

* * * * *

جذّ اليمين فبزّها فإذا به ... بيساره يلقى الجيوش ويضربُ
وعلاهُ نذلٌ بالعمود مهشماً ... رأساً له ينمى الجلال وينسبُ
وأصاب سهم جوده فإذا ملا ... وجه الثرى أمواهه تتسربُ
وأبتز آخر بالحسام يساره ... فغدا كالليث بُزّ منه المخلبُ
ورمى بسهم البغي آخر عينه ... فخبت كما في الجوّ يخبو الكوكبُ
وهناك طاح على الصعيد منادياً: ... أدرك أخاك فإن حيني يقربُ
فأنقض كالصقر الحسين ودمعه ... من حزنه فوق الكريمة يسكبُ
يبكي أخاه مؤبناً وبقلبه ... ما لا يسجّل بالحروف ويكتبُ
أ أخي غبت وشخصك حاضر ... في خاطري هيهات عنه يغيّبُ
أ أخي مات العيش بعدك حيث لا ... معنى لعيشٍ بعد موتك يُعجبُ
أنا أنت في كل الموارد فأنتظر ... اجلي فمنّا سوف يجري الموكبُ

ثورة الإمام الحسين(ع)
الحتمية والخصوصية

• طالب علي الشرقي

ينابيع التاريخ مليء بالمفارقات، منها الإيجابي ومنها السلبي، من ذلك وصول الذين حاربوا الإسلام والمسلمين إلى قيادة الدولة المسلمة، ولم يكن ذلك مألوفاً وفق السياقات الصحيحة والمعايير العادلة، ولكن: هناك رأي يذهب إلى أن الأمر لم يأت عفواً أو صدفة بل جاء نتيجة تدبير... وكان اختيار معاوية بن أبي سفيان لقيادة (الشام والأردن وفلسطين وحمص) بكل ثرواتها وجندها وعمقها الحربي جزءاً مهما في ذلك التدبير.

وعلى الرغم من كل الاحتياطات التي أخذت لمنع وصول الحق إلى نصابه وتولي أولي الأمر الذين نصبهم الله تبارك وتعالى أمور الأمة المسلمة فإن المياه فارقت مجاريها، وإن الناس قد حاق بهم الضيم، ودفعهم الجور إلى الانتفاضة والوقوف بوجه السلطة الحاكمة، وبدلاً من إسراع المنتفعين لنجدة الحاكم استغل الطامعون الفتنة، وزادوا النار حطباً علهم يصلون إلى أهدافهم... إلا أن الثوار فوتوا عليهم الفرصة ومالوا إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يطلبون منه تولي زمام الأمور، بل أجبروه على ذلك، فكان لابد للأعداء والطامعين من أن يلجؤوا إلى سلاحهم المدخر بتمرد جبهة الشام وعدم البيعة للإمام علي عليه السلام،

وكان وراء ذلك معاوية بن أبي سفيان ومروان بن الحكم.

ونكث بعض الطامعين بيعة الإمام عليه السلام وألبوا عليه العامة بحجة الثأر للخليفة المقتول ظلماً عثمان بن عفان، وقادت (أم المؤمنين) جانباً من المغفلين والحاقدين فخاضوا في دماء المسلمين، وحين قطع ذيل الباطل في معركة البصرة (وقعة الجمل) نهض رأسه في صفين، وكان ما كان.. حتى نجحوا في اغتيال الإمام عليه السلام بيد الغدر واللؤم الشيطان الرجيم ابن ملجم.

وجاءت فترة خلافة الإمام الحسن بن علي عليه السلام فكانت فترة مخاض لولادة الردة، وكان الخطر الأعظم يكمن في الأسلوب الذي غلف المرحلة وكيف استطاع معاوية وأعوانه شراء الذمم وتجريد الإمام عليه السلام من أسباب الدفاع عن دماء الموالين والحفاظ على دوام المسيرة، مما اضطره عليه السلام إلى تكتيف معاوية بشروط صلح مؤقت يحفظ به ما تبقى من أنوار الرسالة ولكن الغدر والحيلة مزقت تلك الوثيقة، وصار معاوية بن أبي سفيان يلقب بأمير المؤمنين! ولم يكتف بذلك بل أمعن في الوصول إلى الأهداف غير المعلنة والتي لم تتكشف إلا بفرض البيعة ليزيد ابنه على المسلمين، تلك البيعة التي شجعها أصحاب المصالح والأطماع وعلى رأسهم المغيرة بن شعبة الذي قال لأصحابه: (وضعت رجل معاوية في غرز غيٍّ لا يزال فيه إلى يوم القيامة).

لقد كان يزيد امتداداً لأبيه وجده وجدته هند، وكان سلوكه ومعتقده يؤكد نقاء الصفات الوراثية فيه.

إن هذا النموذج الذي يسميه الأغبياء (أمير المؤمنين) قال عنه السيوطي: (إن أهل المدينة خلعوه لأنه أسرف في المعاصي)، ونقل أن رجلاً ذكر يزيد عند الخليفة الأموي عمر بن

عبد العزيز ونعته بأمير المؤمنين، فقال عمر: تقول أمير المؤمنين؟! وأمر به فضرب عشرين سوطاً. وفي مجال المقارنة بين الحسين عليه السلام ويزيد بن معاوية يقول الأديب الكبير عباس محمود العقاد: (ومن أعجب عجائب المناقضة التي تمت في كل شيء بن الحسين ويزيد، أن يزيد لم يختص بمزية محمودة تقابل نظائرها من مزايا الحسين حتى في تلك الخصال التي تأتي بها مصادفة).

وإذا رجعنا إلى الفترة التي تولى فيها معاوية حكم الشام لوجدنا أن الصبغة الإسلامية والمظاهر الدينية كانت موجودة سواء على الدولة أو في أوساط المجتمع، وكان معاوية يقيم الفرائض ويتبجح بكتابته للرسول صلى الله عليه وآله وسلم - علماً بأنه لم يكتب آية قرآنية واحدة بل كان يكتب في الأمور المالية - ولذا فإن الذين لا يتفقون مع نهج معاوية وعلى رأسهم الإمام الحسين عليه السلام لم يحاولوا التفكير في التغيير في تلك الظروف لأنهم سوف لا يلقون التأييد المطلق من أناس غابت أو غيبت عنهم الحقيقة وعاشوا في أجواء الرياء من جهة والترهيب والترغيب من جهة أخرى.

إن معاوية في مجمل سيرته قد زرع في طريق المسلمين وبأدوات إسلامية ما أتعب المسلمين وختمها بأن سلط عليهم معول الهدم والمروق عن الدين ابنه يزيد، وأوصاه بأن يحسب للحسين عليه السلام وليس لأحد غير الحسين أكثر من حساب لأنه رأس الإيمان...

إن الخط العام والنهج الجديد الذي تبلور في بدء حكم يزيد بداية الجهد بالهدم الذي يهدد أسس العقيدة وركائز الرسالة المحمدية، وذلك بتفشي الآثام ورخص الذمم والكذب على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، والاستهانة بالمحرمات.

ومن هنا تأتي حتمية الثورة في ذلك الوقت وليس في وقت غيره:

أولاً: لأن الأمور وصلت إلى حد التردي بما ينذر بعدم القدرة على الإصلاح مستقبلاً، فإنه لم يكن مجرد كون يزيد رجلاً ضالاً لا يرجى له صلاح ولا يرجى منه إصلاح، فإن ذلك لا يشكل إلا جزءاً من الخطر الحقيقي على أمة الإسلام الذي يدبره أعداء الإسلام والحاقدون على محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم من مكائد وضلالات وكان الإمام الحسين عليه السلام ينظر إلى ذلك بعين الإمامة لا كما يراه الآخرون أنه عدم رضا عن نظام أو حاكم...

ثانياً: إصرار يزيد وبطانته على إرغام الإمام الحسين عليه السلام على مبايعة يزيد والاعتراف بشرعية الحكم، وإلا فإن التصفية الجسدية هي البديل. يؤكد ذلك إرسال يزيد من يغتال الحسين عليه السلام ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة عند خروجه من المدينة إلى مكة بسبب رفضه لتلك البيعة، وذلك الرفض الذي يعني أن مثل الحسين عليه السلام لا يمكن أن يبايع مثل يزيد - كما قال الإمام الحسين عليه السلام - لأن يزيد جاهلي العقيدة ولا يفقه من دنياه إلا معاشرة شعراء المجون ومجالس الشرب وتربية الكلاب والقرود، وليس للإسلام وجود في كيانه.

ثالثاً: وجود الناصر المؤيد للإمام

الحسين عليه السلام وخاصة أهل الكوفة ودعواتهم المكثفة والمتكررة له بالخروج إليهم وإعلان الثورة على البغاة.

رابعاً: أن الإمام الحسين عليه السلام قد وجد نفسه في وضع لا يسمح بالتردد أو تغيير المسار، لقد أرادوا منه الخضوع والتراجع، وهذا يعني خضوع وانقياد الأمة المسلمة كلها للظالمين، ثم أن الحسين عليه السلام لم يجد مرشحاً غيره للقيام بالثورة في ذلك الظرف فهو عند المسلمين كافة أرفع قدراً وأجل منزلة من الجميع لاستقامته وتقواه وصدق إيمانه، وقربه من رسول الله صلى الله عليه وآله فليس على الأرض ابن بنت نبي غيره وأنه ابن أمير المؤمنين عليه السلام حقاً وابن فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين وهو الإمام بنص النبي صلى الله عليه وآله وعلى أخيه الإمام الحسن عليه السلام وهما سيدا شباب أهل الجنة.

على أن الحسين عليه السلام لا ينطلق من هذا المعنى بل له رأيه الذي لخصه بقوله عليه السلام: (إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي... فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق)، فالإمام عليه السلام بقوله هذا قد ارتفع عن الامتيازات الدنيوية وقدم ما انعقد عليه إيمانه ومعتقده.

ثم إن الإمام الحسين عليه السلام كان يدرك تماماً أن المجتمع الذي خضع طويلاً لتأثير السياسة الأموية لا يمكن أن يصلحه الكلام. إن الكلمة لا يمكن أن تؤثر شيئاً في النفس الميتة والقلب الخائر والضمير المخدر، وكان لابد لهذا المجتمع المتخاذل من مثال يهزه هزاً عنيفاً وليس أقل من أن يحمل السيف ويثور فيضرب لتلك الجماهير المثل والقدوة في مواجهة الظالمين.

وهنا تتجسد الخصوصية التي تنحصر في شخص الإمام الحسين عليه السلام وهل غير الحسين عليه السلام ألصق بالحق في وقته؟

فعلى الرغم من كثرة من أشار عليه بعدم الخروج إلى الكوفة لما عرف عن أهلها من عدم الالتزام وضعف الطاعة إلا أنه قد عقد العزم على المسير وبأعلى درجات الاستعداد، فقد اصطحب معه الولد والأخ والأقربين والمحبين والموالين والأطفال والنساء ليسجل للبشرية الموقف الأمثل للثائر الذي لا يقف في طريقه عائق ويقطع الطريق على المترددين الذين يتذرعون بالحجج والذرائع التي تقعدهم عن أداء الواجب.

إن الدماء الطاهرة التي سفكت على ثرى كربلاء في العاشر من المحرم سنة (٦١هـ) قد روت شجرة الكرامة وأحيت روح العدالة وأمدت الرسالة بدم جديد حار يديم جذوة الشريعة ويحقق قول النبي صلى الله عليه وآله: (حسين مني وأنا من حسين) وكشف المتسترين بالدين وقوضت دعائم دولة أبناء الطلقاء.

سيدي أبا عبد الله: إن كثيراً من الأباة نهضوا وكرموا على قدر نهضاتهم، وخمد أوار ثوراتهم بعد حين إلا أن عطاءك بقي يتوالد على مر السنين فسلام عليك سيدي وعلى الأحرار الذين استشهدوا بين يديك، وسيبقى يومك رمزاً للتضحية والفداء ودرساً لكل الأحرار في كل زمان ومكان ■

الإمام الحسين(ع).. ثائراً ؟!

• الحاج فلاح العلي

مقدمة:

ينابيع لم تتعرض حركة في التاريخ للأخذ والرد والدفع والجذب كالتي تعرضت له حركة الإمام الحسين عليه السلام، وقد اتسمت هذه التجاذبات بسمات مختلفة سلباً وإيجاباً، إذ أن كلاً من المعارضين وبعض المؤيدين يرى هذه الحركة من منظاره وزاويته، مما أدى إلى النظر القاصر وغير الدقيق لهذه الحركة ولقائدها العظيم الإمام الحسين عليه السلام، ولسنا بصدد التقييم لهذه الحركة وأثرها في مسيرة التاريخ، فقد أصبح شبه إجماع لدى المفكرين والعلماء ومن مختلف التيارات الإسلامية وغير الإسلامية على أهمية هذه الحركة الإصلاحية ودورها في تغيير مسيرة التاريخ، ولكن موضوعنا هو: تسليط الضوء على

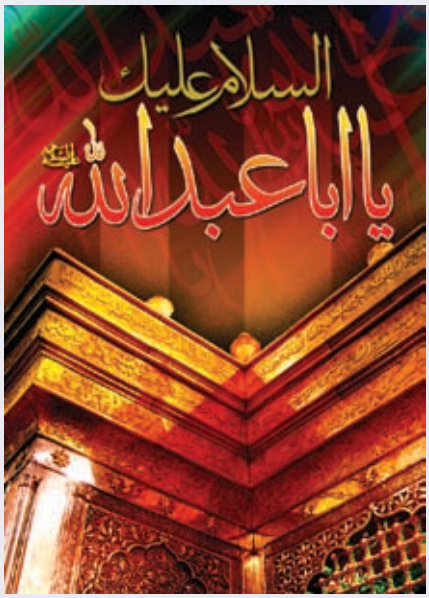

النظرة القاصرة وغير الدقيقة لأولئك الذين يعتقدون بأهمية هذه الحركة ودورها في إصلاح المجتمع ولكنهم يصفون هذه النهضة العملاقة وقائدها بأوصاف ونعوت هزيلة وقاصرة لا ترقى إلى المستوى الحقيق لهذه الحركة.

نقرأ ونسمع كثيراً من هنا وهناك من ينعت (واقعة كربلاء) باسم الثورة وأن الإمام الحسين عليه السلام ثائرا، وكأن هذه التسمية (ثورة الحسين) تضفي عظمة لواقعة الطف، ولا ندري من أين استدل هؤلاء على هذه التسمية؟ ومن هو أول من نعتها بهذه الصفة !! ولا ندري لماذا الإصرار على تحجيم الإمام الحسين عليه السلام بهذا الإطار الضيق ونعته بـ(الثائر)؟ وعده واحدا من الثوار - أو سيدهم كما يقولون- كلينين، أو جيفارا، أو غاندي، أو عمر المختار أو عبد الكريم قاسم، و غيرهم؟ ومحاولة تقويض هذا الصرح الشامخ لهذه النهضة العملاقة ونعتها بـ(الثورة)؟ كالثورة الفرنسية، أو الثورة البلشفية، أو الثورة العربية كما يسمونها؟ مما يؤدي إلى إدخال الإمام الحسين عليه السلام وما قام به في مزايدات أو انتقادات البعض لأسلوب الثورة أو توقيتها أو عدد أنصارها الذي أدى بهم إلى الانتحار- كما يقولون-، وعدم حساب نسب النجاح، وعدم سماعه نصائح الناصحين وهكذا وهكذا، مما يدفعنا إلى الدخول في نقاشات طويلة، ليس مع المعاندين والمخالفين فحسب، بل ومع بعض الموالين أيضا.

أغلب الظن إن أكثر الذين يعتبرون الإمام الحسين عليه السلام ثائرا، يتحركون بدافع الطيبة وعدم التدقيق في الأمر، أو يعتبرون أن هذه التسميات هي لإبراز مكانة الإمام الحسين عليه السلام ومدحاله، أو أنهم لا يفرقون بين (الثورة) وبين ما قام به الإمام الحسين عليه السلام، فاختلطت عليهم الأمور ولم يميزوا بينهما، في الوقت الذي لا ينطبق على جوهر تحرك الإمام الحسين عليه السلام أي من صفات الثورة والثورات المألوفة وان تشابهت في بعض المظاهر، كما سيمر علينا.

ويظهر أن هذه التسمية حديثة عهد، وليست قديمة من خلال استقراء وقت ظهور هذه التسمية، إذ أن تأثر بعض المثقفين من المسلمين وغيرهم، بالأسماء والشعارات البراقة للثورة الفرنسية، والثورة البلشفية، وغيرها، وكذلك تمجيد بعض الشعوب لثوارهم جعل هؤلاء المثقفين يعتقدون أن الإمام الحسين عليه السلام هو أولى بهذه التسميات من غيره، مما دفعهم إلى نعته بمصطلحات عصرية، وكأنهم اكتشفوا شيئا كان مغفولاً عنه.

وفيما يلي محاولة لتسليط الضوء على بعض جوانب هذا الموضوع، ليتبين لنا حقيقية ما قام به الإمام الحسين عليه السلام وما قدمه للإسلام العظيم، من خلال موقعه الذي منحه الله إياه، كإمام معصوم مفروض الطاعة.

صفات الثورة والثوار:

في قراءة سريعة لمثقفي هذا المنحى (الثوري) نجد أن تعريف الثورة وصفاتها وكيفية حركتها وانبثاقها لا تمت بأي صلة لملحمة كربلاء. فسنسلط الضوء على أهم محورين من محاور الفكر الثوروي:

الأول: رفض إصلاح الواقع.

حيث نقرأ ما نصه: (إن الفكر الثوري

لا يرفض الواقع الفاسد فحسب وإنما يرفض الاقتناع بالأفكار الداعية لمجرد إصلاحه)[1]. ومعلوم لدينا أن من بيانات الإمام الحسين عليه السلام: (واني لم اخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وإنما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي...)[2].

أي انه عليه السلام خرج للإصلاح في امة جده رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن رأى انحراف مسيرة الإسلام العظيم عن النهج الذي أراده الله لعباده وشيد أسسه رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يرفض الإمام عليه السلام الفكر الإسلامي وإنما أراد إصلاح الانحراف الحاصل في فهمه وتفسيره، إذ لم يرفض التنزيل وإنما رفض التأويل الذي توهموه، أي أنه عليه السلام لم يرفض الإسلام كمبدأ وإنما رفض الفهم الخاطئ له، الذي أنتج سلوك عملي منحرف يشوه صورته الحقيقية، فأراد إصلاحه.. بينما دعاة الثورية يقولون عن الثورة: (التغيير الجذري للواقع)[3]. ويرفضون فكرة الإصلاح للواقع، كما فعلت الشيوعية في محاربة الكنيسة وكل ما يتعلق بها، بما في ذلك الإيمان بالغيب والمغيبات - ولسنا في صدد الدفاع عن الكنيسة وأفكارها -.

أي أن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن ينحى منحى الفكر الثوري كما يؤمن به دعاة الثورة.

الثاني: استقطاب الأنصار.

ويعتبر هذا من الأمور المهمة والملحة في أبجديات الثوار والثورات، حيث نقرأ: (إن أولى المهام الملحة على أعضاء التنظيم النواة هو نشر الأفكار الثورية الجديدة هذا الانتشار يخلق بالضرورة حالة جدل حولها مما يخلق المناخ المناسب لبداية استقطاب الأنصار وتحديد أسس البناء التنظيمي القادر على تجسيدها والممارسة على أساسها لتغيير الواقع الفاسد جذرياً)[4].

ونركز هنا على عبارة: (استقطاب الأنصار)، فهل كانت لهجة الإمام الحسين عليه السلام التي تبناها، فيها شيء من ذلك؟ أو كان الإمام يمني أصحابه بمكاسب سيحصلون عليها إن هم أيدوه أو ناصروه؟ وقبل استعراض بعض بيانات الإمام الحسين عليه السلام، نقول:

نعم، قد يتوهم البعض أن بعض كلام الإمام الحسين عليه السلام، هو طلب للنصرة، و(استقطاب للأنصار)، كقوله: (إلا من ناصر ينصرنا) أو غير ذلك، ولإيضاح هذا الأمر، يجب أن نعلم أن الإمام عليه السلام هو امتداد الرسالة الطبيعي، فهو إمام معصوم مفروض الطاعة من الله، ودوره هو تكملة مسيرة النبي صلى الله عليه وآله في تبليغ الرسالة والمحافظة عليها ورد الشبهات عنها، تماما كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وآله إلا أن النبي كان يهبط عليه الوحي والإمام معلم من ذي علم - أي من النبي صلى الله عليه وآله - (أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر وأنا ماض إليه)، فما يقوله الإمام ليس بدافع جمع الأنصار لينتصر، وإنما لإلقاء الحجة على الناس، كما فعل النبي صلى الله عليه وآله وكما فعل الأنبياء من قبل في خطابهم لقومهم (إنما أنت منذر)[5] (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر)[6] (إن عليك إلا البلاغ)[7] (قل يا أيها الناس، إنما أنا لكم نذير مبين)[8] (وادع إلى ربك انك لعلى هدى مستقيم)[9]، وهكذا فيما ورد عن مهمة الأنبياء تجاه العباد، كان كذلك خطاب الإمام عليه السلام.

والآن نستعرض بعض تصريحات الإمام عليه السلام عند خروجه من المدينة متجها

نحو العراق:

١- (...من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح)[١٠].

٢- عندما طلبوا منه عدم الخروج وأخبروه بأنهم سمعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (يقتل الحسين بأرض بابل)، فرد عليهم الإمام عليه السلام: (فلا بد لي إذن من مصرعي... ومضى)[١١].

٣- قوله للفرزدق عند خروجه:(لو لم أعجل لأخذت) وقوله:(لا أراهم إلا قاتلي)[١٢].

فهل بعد هذه التصريحات بقي شيء لعملية (استقطاب الأنصار) من معنى؟.. نعم انه عرض شيئاً مثالياً، ينبثق من كونه إماماً، انه عرض عليهم الشهادة (أي الموت - بمعايير المادة -).. وهذه من المثل العليا التي لا علاقة لها بدعاة الثورات من صلة، في تغيير حكم أو الحصول على مكاسب دنيوية آنية أو مستقبلية، من مناصب وجاه وغير ذلك، وكذلك فهو عليه السلام لم يرفع شعار الإسلام في الحروب والغزوات (النصر أو الشهادة)، وإنما كان يلوح لأصحابه وبتصريحات علنية متكررة انه ذاهب للشهادة، كقوله عليه السلام: (خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة)[١٣]، وقوله: (كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات)[١٤]، (هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا)[١٥]، وأمثال هذه الأقوال الكثير، كما سيمر علينا، وما انفك الإمام يصارح أصحابه وأهل بيته منذ خروجه من المدينة، إلى ليلة العاشر من المحرم، بأن لا عودة بعد هذا الخروج، بل انه الموت المؤكد. وأراد الإمام عليه السلام بذلك أن يغربل أصحابه ويمحصهم، وفعلا حدث ما أراد، فكان أصحابه ينقصون كل يوم حتى تبقى منهم الكوكبة الخالدة والصفوة المنقاة (فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خير من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني خيرا)[١٦].

فأين (استقطاب الأنصار)؟! فهل ما قام به الإمام يستقطب الأنصار حقا؟!.. أم ينفرهم؟!. هذه قراءة سريعة لأبجديات الثورة والثوار.

من هنا كانت البداية:

إن استعراضا لبعض الروايات الواردة سيتبين لنا من خلالها ان قضية الامام الحسين عليه السلام قضية عظمى قد أولتها السماء اهتماماً بالغاً، من قبل أن يولد الأمام عليه السلام، بل هناك روايات تؤكد أن قضية الحسين عليه السلام عرضت على جميع الأنبياء، وبكوا عليه، ولكن سنكتفي ببعض الروايات المروية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فنقرأ مثلاً:

١- عن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج من عندنا ذات ليلة فغاب عنا طويلاً ثم جاءنا وهو أشعث أغبر ويده مضمومة، فقلت له: يا رسول الله، مالي أراك أشعثاً مغبراً؟ فقال: (أسري بي في هذه الليلة إلى موضع من العراق يقال له: كربلاء، فأريت فيه مصرع الحسين ابني وجماعة من ولدي وأهل بيتي، فلم أزل القط منه دماءهم فها هي في يدي)، وبسطها فقال: (خذيه واحتفظي به)، فأخذته فإذا هو شبه تراب أحمر، فوضعته في قارورة وشددت رأسها واحتفظت بها، فلما خرج الحسين عليه السلام متوجها نحو العراق كنت أخرج القارورة في كل يوم وليلة فأشمها وانظر إليها ثم ابكي لمصابه فلما كان يوم العاشر من المحرم - وهو اليوم

الذي قتل فيه ـ أخرجتها في أول النهار وهي بحالها ثم عدت إليها آخر النهار فإذا هي دم عبيط، فصحت في بيتي وكظمت غيظي مخافة أن يسمع أعداؤهم بالمدينة فيسرعوا بالشماتة، فلم أزل حافظة للوقت واليوم حتى جاء الناعي ينعاه، فحقق ما رأيت[١٧].

٢ـ في مسند الإمام الرضا عليه السلام: عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: (حدثتني أسماء بنت عميس قالت: (...فجاء النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا أسماء هاتي ابني ـ ويعني الحسين عند ولادته ـ فدفعته إليه في خرقة بيضاء، فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ووضعه في حجره وبكى، قالت أسماء: فداك أبي وأمي مم بكاؤك؟ قال: من ابني هذا، قلت: إنه ولد الساعة؟ قال: يا أسماء تقتله الفئة الباغية من بعدي، لا أنالهم الله شفاعتي...)[١٨].

٣ـ روى الأوزاعي، عن عبد الله بن شداد، عن أم الفضل، ... في حديث طويل: (...قالت: فدخلت به يوماً ـ بالحسين لما ولدته فاطمة ـ على النبي صلى الله عليه وآله فوضعته في حجره، ثم حانت مني التفاتة فإذا عينا رسول الله تهرقان بالدموع، فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، مالك؟ قال: أتاني جبرائيل فاخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا...) إلى آخر الحديث[١٩].

٤ـ روى الضحاك، عن أبي مخارق عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: (بينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم جالس والحسين عليه السلام في حجره إذ هملت عيناه بالدموع، فقلت يا رسول الله أراك تبكي جعلت فداك؟ قال: (جاءني جبرائيل عليه السلام فعزاني بابني الحسين، واخبرني أن طائفة من أمتي ستقتله، لا أنالهم الله شفاعتي)[٢٠].

نفهم من هذه الروايات المتقدمة ومن غيرها أن الرسول الأكرم كان يعدّ ولده الحسين عليه السلام لأمر مهم، وكذلك يلقي الحجة على الأمة لأن الحسين سيكون شهيدها وقتيلها، أي كان يثقف على استشهاد الحسين عليه السلام، ويلعن الأمة التي ستنفذ هذه الجريمة الفاجعة، التي أبكت وتبكي ألأنبياء والملائكة وسكان الجنان، بل يهتز لها عرش الرحمن ـ كما في بعض الروايات ـ ويلعن ألأمة التي تخذله ولا تنصره. فلو كان النبي يعلم أن ولده الحسين عليه السلام ثائرا، وانه سيقوم بثورة لشجع ولده الحسين عليه السلام على القيام بها، ولركز النبي صلى الله عليه وآله على تعليم الحسين عليه السلام أساليب الثورة وكيفية اختيار موقعها ووقتها وعناصرها التي تضمن النصر المؤكد.. وكذلك لتباهى النبي بما سيقوم به ولده، لا أن يبكي كلما وقعت عيناه على الحسين عليه السلام، ويندبه كلما رآه، وكذلك ما قام به الأئمة الأطهار عليهم السلام من إقامة مأتم العزاء على الإمام والتأكيد على شيعتهم لأقامتها، فلو كان جدهم الحسين عليه السلام ثائراً لأمروا بإقامة الاحتفالات والمهرجانات، التي تمجد الثورة وقائدها ـ كما يحصل الآن في ذكرى قيام أي الثورة ـ لا أن يعقدوا مجالس العزاء ويبكوا ويشجعوا على البكاء والتباكي على الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه.

الرحلة من الحجاز إلى العراق:

من المناسب هنا أن نستعرض جملة من كلمات وخطب الإمام الحسين عليه السلام حين عزم على الخروج إلى العراق وفي الطريق

وحتى وقت استشهاده، فنقرأ ما يلي:

١ـ (إني لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر. فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين)[٢١].

٢ـ وفي الطريق إلى العراق وبينما كان ركب الحسين عليه السلام يسير إلى كربلاء أخذت الإمام الحسين عليه السلام غفوة، ثم انتبه وهو يردد: (إنا لله وإنا إليه راجعون) فبادره ابنه علي الأكبر قائلاً: (فديتك يا ابن رسول الله، لم استرجعت؟) فقال الحسين عليه السلام: (سمعت هاتفاً يقول: القوم يسيرون والمنايا تسير معهم)[٢٢]... إلى آخر الرواية.

٣ـ وهذا شيخ بني عكرمة يقال له (عمر بن لوذان)، ينصح الإمام الحسين عليه السلام بعدم الخروج، فيرد الإمام عليه، بقوله: (يا عبد الله، لا يخفى علي الرأي ولكن الله تعالى لا يغلب على أمره) ثم يقول: (والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي...)[٢٣].

٤ـ قال الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية بعد أن عرض على الحسين عليه السلام عدم الخروج إلى العراق: (لقد جاءني رسول الله بعدما فارقتك وقال لي: لقد شاء الله أن يراك قتيلا، فاسترجع ابن الحنفية، ثم قال: إذا كان الأمر كما تقول، فما معنى حملك للنساء وأنت تخرج لهذه الغاية، فقال عليه السلام: لقد شاء الله أن يراهن سبايا)[٢٤].

٥ـ قال الإمام الحسين عليه السلام: (ما أولهني

إلى أسلافي، اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء)[٢٥].

٦- حديث الإمام مع أصحابه في ليلة العاشر من المحرم، واضح وجلي (أن القوم يريدونني)[٢٦] (هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا).

فهل سمعتم يوماً أو قرأتم أن قائداً لثورة يقول لأتباعه أتركوني وحيداً واذهبوا؟!.

خطابه(ع) لقاتليه:

أما كلام الإمام عليه السلام مع أعدائه الذين جاءوا لمقاتلته، فليس من منطق الثوار، ولا من سلوكياتهم تماماً، فنقرأ:

(أما بعد. فانسبوني، فانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم فعاتبوها، وانظروا: هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألست ابن بنت نبيكم صلى الله عليه وآله وابن وصيه وابن عمه، وأول المؤمنين بالله، والمصدق لرسوله بما جاء به من عند ربه؟ أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي، أو ليس جعفر الشهيد الطيار عمي؟ أولم يبلغكم قول مستفيض فيكم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي ولأخي: (هذان سيدا شباب أهل الجنة، فان صدقتموني بما أقول - وهو الحق - فوالله ما تعمدت كذبا منذ علمت أن الله يمقت عليه (أهله)، وان كذبتموني فان فيكم من إذا سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد ألخدري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، يخبرونكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟)، ثم قال: (فان كنتم في شك من هذا، أفتشكون أني ابن بنت نبيكم؟ فوالله مابين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم، ويحكم أتطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص جراحة؟) فأخذوا لا يكلمونه[٢٧]. أو قوله عليه السلام (أيها الناس: إذا كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمن من الأرض)[٢٨].

فهل يفهم من هذا الكلام، ان قائله جاء ليقوم بثورة؟ بالتاكيد لا، وانما جاء ليذكرهم بمكانته وحرمته (فانسبوني..)، وكيف انهم وصلوا الى اسفل سافلين، لعلمه بما عزموا عليه من قتله وسبي عياله.

إيضاح لابد منه:

إن بعض سطحيي التفكير يعتبرون الإسلام اشتراكياً، أو ديمقراطياً، أو وحدوياً، أو رأسمالياً، أو ثورياً، أو غير ذلك من المسميات العصرية، ويستدلون على ذلك بقصص وروايات من هنا وهناك، كل حسب نظريته التي يطرحها، فالذي يعتبر الإسلام اشتراكياً يروي قصص العدالة والمساواة التي مارسها رموز الإسلام، أو يفسر بعض الآيات والأحاديث الشريفة حسب هواه، وكذلك الذي يعتبره ديمقراطياً يستدل على ذلك ببعض القصص والروايات الدالة على ما أراد... وهكذا الوحدويون والرأسماليون والثوريون، كل يرى الإسلام من منظاره ومن زاويته، والحقيقة هي غير ذلك... فإن الإسلام ليس اشتراكياً، ولا رأسمالياً، ولا ديمقراطياً، ولا دكتاتورياً، ولا غير ذلك... الإسلام هو دين الله الخاتم إلى الناس كافة،

الديـن الذي أنزله الله لعبـاده ليخرجهم من الظلمـات إلى النـور، دين واحـد لا يتجزأ اسـمه (الإسـلام) (ومن يبتغي غير الإسلام ديناً فلـن يقبل منـه وهـو في الآخـرة من الخاسرين)[٢٩].

نعم قـد يكـون هنـاك تطابـق لبعض الصور في الفكر الشيوعي أو الاشتراكي أو الرأسمالي أو غيرها، ولكن ليس معناه أن ننعت الإسلام بهذه الأطر الضيقة ونطلق عليه مسـمياتنا الضئيلة الهزيلة. فالإسـلام هو الإسلام لا غير.

وكذلك النبيﷺ، نبي مرسل من الله، اختـاره الله ليبلغ للبشـرية رسـالته الخاتمة (الإسـلام)، فلم يكن النبـي ثائراً أو قائداً حربيـاً أو معلماً للأخلاق أو منظماً لشـؤون الأسـرة والمجتمـع أو عالماً فـي الاقتصاد والتدبير أو إمام الاشتراكيين ـ كما يحلو لبعضهـم أن يسـمونه ـ كنايـة عـن عدالته المثالية أو غير ذلـك من الصفات والنعوت التـي يوصف بهـا العظمـاء والعباقـرة، لم يكن النبيﷺ أحد هؤلاء، ولكنه (رسول الله وخاتـم النبييـن)[٣٠]، الـذي جـاء بخير الدنيا والآخرة للبشـرية جمعاء. فلا يليق أن نطلق على النبيﷺ تسـمية: مفكر عظيم، أو خطيب مفوه، فهو المختار من الله، أيده وسـدده وعصمه من الزلـل من قبل أن يبعثه ـ كمـا نعتقد نحن الأمامية ـ (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)[٣١].

نعـم علـم رسـول اللهﷺ البشـرية كل أنـواع العلوم والسـلوك النافع للبشـر وحـذر مـن الانحرافات التي سـتحصل في حيـاة النـاس (إنمـا بعثـت لأتمـم مكارم الأخـلاق)[٣٢]، (شـاهداً ومبشـراً ونذيـراً وداعيـاً إلى الله بإذنه وسـراجاً منيـرا)[٣٣].

فتصرف النبيﷺ ليس لأنه مصلح اجتماعي أو سياسي أو اقتصادي ـ وإن أصلح المجتمع اجتماعيـاً وسياسـياً واقتصاديـاً ـ ولكـن تصرفه وسـلوكه، سـلوك نبي مرسل من الله تعالـى... فـإذا عرفنـا ذلك وآمنـا به... عرفنا سـلوك الأمام الحسينعليه السلام بأنه نابع مـن كونه إماماً معصوماً من الخطأ والزلل مختاراً من قبل الله، ليكون حاملاً وحامياً للرسـالة بعـد النبـيﷺ وأبيـه وأخيهعليهما السلام، وسـلوكه هو سلوك الإمام المسدد المؤيد مـن الله تعالى، وليس لـه أن يجتهد اجتهاداً شخصياً كي يقوم بثورة أو غير ذلك.

الإمام والقدر الإلهي:

فـإذا كان هناك تقديـر إلهي، يقضي باسـتمرار الديـن الخاتـم إلى يـوم القيامة (ليظهره على الدين كلـه)، وان هذا الدين لا يمكـن أن يسـتمر وفق مـا أنزله الله إلا بحصـول هزة عنيفة مسـتمرة ـ باسـتمرار الزمـان ـ فـي ضميـر ووجـدان هـذه الأمة كي يسـتنهض كوامن الخيـر في عقولها وعواطفهـا ليدلها في كل حين إلى سـبيل الهـدى والحـق، وليجعلـه جـذوة متوقـدة مضيئة تنيـر الدرب للسـالكين مع وجود الكثير من الدروب المظلمة المنحرفة عما أراد الله، كما حصل في الديانات السابقة من تحريف وتزييف. فكان لابد من شـيء يمتلك هذه القوة الهائلة المسـتمرة لحصول هذه الهزة القوية... وبما أن إراقة الدماء أمر مسـتعظم من قبل جميع الأديان والشـرائع السـماوية والأرضيـة، وان سـفكها يترك أثرا في حياة الإنسان ونفسيته، وأن هكذا هزة عنيفة لا يمكـن حصولها إلا بالدماء، فلابد إذن مـن دماء تتميز عن غيرها لتبقى

ردود أفعالها مستمرة جيلا بعد جيل. فقدر الله الحكيم العليم أن يكون الرسول الأكرم ﷺ الذي بذل حياته ومهجته في سبيل الدعوة إلى هذه الرسالة، قدر الله أن يراق دم يوازي دم رسول الله ﷺ حرمة وقدسية، لاستمرار هذه الرسالة إلى يوم القيامة، ليكون مشعلا تستضيء به الأجيال، فكان دم الحسين عليه السلام الذي هو دم رسول الله ﷺ: (حسين مني وأنا من حسين)[٣٤] واحد خلفائه المكلفين بحمل الرسالة من بعده، فشاء الله أن يكون كذلك وفقا لما اختارت الأمة من السبل المنحرفة من بعد الرسول الأكرم ﷺ، وليس من جبر على إراقة هذه الدماء الزكية، إذ أن انحراف الأمة عن المسيرة التي أرادها الله لعباده وانقلابها من بعد الرسول ﷺ، سيصل في نهاية الأمر إلى قتل الحسين عليه السلام كما قتل أبوه أمير المؤمنين وأخوه الإمام الحسن عليهما السلام من قبل.

(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً، وسيجزي الله الشاكرين)[٣٥] ويفهم من الآية، أن الانقلاب على الرسالة والرسول حاصل لا محالة. وبما أن الشاكرين هم الأقلية (وقليل من عبادي الشكور)[٣٦]، فإن المؤمنين حقاً هم الأقلية، تماما بعكس الأكثرية الذين انقلبوا بعد رسول الله ﷺ وهم المنحرفون عن الرسالة الحقة، وإذا كانت المسيرة انحرفت بعد النبي ﷺ، وأدى انحرافها إلى ما أدى من اضطهاد للأقلية المؤمنة واغتصاب للحقوق وسفك للدماء ونهب للأموال العامة والخاصة، والنبي ﷺ بالأمس القريب كان معهم ويذكرون ويتذكرون أقواله وأفعاله، فكيف سيكون حال الرسالة بعد كذا قرن من الزمان؟

من هنا نعرف المسؤولية الكبرى الملقاة على عاتق الأمام الحسين عليه السلام ليقوم بنهضة مستمرة في ضمير هذه الأمة كي تكسبها مداداً يفجر فيها الطاقات في كل جيل وفي كل مكان ليعود بها إلى الإسلام الحقيقي دون تزييف أو تحريف مهما كثرت الاتجاهات والانحرافات الحاصلة بمرور الأزمان، فأصبحت نهضة الإمام الحسين عليه السلام منهلاً دائماً تأخذ منه الأجيال وتستقي من عذب مائه كلما أحست بالجفاف والعطش نتيجة ما ترى من سراب يحسبه الظمآن ماء في غيره من السبل.

صحيح أن نهضة الإمام الحسين عليه السلام كانت سبباً وحافزاً لكثير من الثورات التي أعقبتها، وبتعبير آخر إن الثورات استمدت مادتها وقوتها من نهضة الإمام الحسين عليه السلام، وان الثوار تعلموا من الإمام الحسين عليه السلام كيفية النهوض بوجه الطغاة، فالإمام ملهم ومعلم الثوار ونهضته مدرسة للثورات والثائرين، إلا انه ليس من الثوار ونهضته ليست من الثورات.

فكما أن النجوم والكواكب علامات هداية وأنوار تضيء عالم الدنيا، فإن السماء التي تضمها ليست نجما. وكما أن البحار والأنهار تأخذ ماءها من المزن النازلة من السماء، إلا أن هذه المزن ليست نهراً ولا بحراً، وكذلك الإمام الحسين عليه السلام بمثابة السماء الحاضنة للنجوم، أو المزن المانحة مادة البحار والأنهار إلا أنها ليست منها.

فكما لا يليق أن نطلق على النبي ﷺ تسمية مفكر عظيم أو قائد فذ أو نطلق

على الأمام أمير المؤمنين عليه السلام فيلسوف أو عبقري، لأنهم اكبر وأعظم من هذا الوصف، كونهم مختارين من الله، معصومين، مسددين، مؤيدين، قد أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. فالإمام الحسين عليه السلام اكبر وأعظم من أن نسميه أو ننعته (ثائراً) وما قام به أسمى واجل من أن نسميه (ثورة).

فكما اختار الله سبحانه وتعالى من بين كل البشر محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين، وليبلغ الرسالة الخاتمة، كذلك اختار الله أوصياءه (الأئمة الأطهار عليهم السلام)، ليكملوا مسيرة النبي في المحافظة على هذه الرسالة وإيضاح ما اشتبه على الناس، وليكونوا حجج الله على خلقه، بعد النبي صلى الله عليه وآله. واختار الله الإمام الحسين عليه السلام ليقوم بمهمة التضحية العظيمة، ليقدم نفسه وأهل بيته وأصحابه قرابين على مذبح الشهادة، لتكون دماؤهم وقوداً لديمومة بقاء الإسلام ■

---

(١) صحيفة الانتفاضة ـ آفاق (حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح).
(٢) مقتل العوالم:٥٤، مقتل الخوارزمي:١٨٨:١ فصل ٩.
(٣) صحيفة الانتفاضة (المصدر السابق).
(٤) نفس المصدر.
(٥) سورة الرعد آية: ٧.
(٦) سورة الغاشية آية:٢١.
(٧) سورة الشورى آية:٤٨.
(٨) سورة الحج آية:٤٩.
(٩) سورة الحج: ٦٧.
(١٠) كامل الزيارات:١٥٧، دلائل الإمامة:١٨٨.
(١١) ابن كثير:ج٨ص١٧٦.
(١٢) إعلام الورى بأعلام الهدى (للطبرسي) ص٤٤٥.
(١٣) كشف الغمة ٢:٢٣٩.
(١٤) المصدر السابق.
(١٥) إعلام الورى ص٤٥٥.
(١٦) المصدر السابق.
(١٧) إرشاد المفيد ٢: ١٣٠، كشف الغمة ٢: ٨.
(١٨) عيون أخبار الرضا ٢: ٢٥ ضمن حديث ٥.
(١٩) إرشاد المفيد ٢: ١٢٩ دلائل الإمامة:٧٢، مستدرك الحاكم ٣: ١٧٦، دلائل النبوة للبيهقي ٦: ٤٦٨، البداية والنهاية:٦: ٢٣٠، مقتل الخوارزمي: ١: ١٥٨.
(٢٠) إرشاد المفيد ٢: ١٣٠.
(٢١) مقتل العوالم:٥٤، مقتل الخوارزمي:١٨٨:١ فصل ٩.
(٢٢) إعلام الورى، أعيان الشيعة ٨: ٢٠٦-٢٠٧.
(٢٣) إعلام الورى ص٤٤٨.
(٢٤) بحار الأنوار:ج٤٤ص٣٦٧.
(٢٥) نفس المصدر.
(٢٦) بحار النوار ج٤٤ص٢٩٨.
(٢٧) إعلام الورى ص٤٥٨-٤٥٩.
(٢٨) نفس المصدر.
(٢٩) سورة آل عمران آية:٨٥.
(٣٠) سورة الأحزاب آية:٤١.
(٣١) سورة النجم آية: ٣.
(٣٢) بحار الأنوار ج: ١٦ ص: ٢١٠.
(٣٣) سورة الأحزاب آية:٤٥.
(٣٤) كامل الزيارات:٥٢ و٥٣، إرشاد المفيد ٢: ١٢٧، المصنف لأبن أبي شيبة ١٢.
(٣٥) سورة آل عمران آية:١٤٤.
(٣٦) سورة سبأ آية: ١٣.

الشيخ محمد نصّار.. ونصّارياته

• د. كريم جبر الزبيدي

ينابيع للشعر الشعبي منزلة خاصة ووقع مؤثر في نفوس الناس، فهو المعبر عن آلامهم وأفراحهم ولسان حال حياتهم اليومية التي يعيشونها بما تحمله من حلو ومر ينعكس في هذا النوع من الشعر ولعل الكثير يؤيدني حينما أقول أن الشعر الشعبي لا يقل أهمية عن الشعر الفصيح، فقد وظف الشعراء الشعبيون كلماتهم لخدمة قضية معينة، وحققوا فيها نجاحاً باهراً حتى ألفتها المسامع وترنمت بها الحناجر.

ومن هذا المنطلق حلّق الشعراء الشعبيون في فضاء كربلاء، حيث الحسين عليه السلام وأصحابه، حيث صوت الحق المدوي، فأنشدوا وملؤوا الدنيا بقصائدهم الخالدة التي حوت صوراً متنوعة تعكس حالات البطولة والحماسة والحزن والألم.

وكان للشيخ محمد نصّار حصة من هذا الفضاء، حيث أخذت ملحمته (النصاريات) موقعاً متميزاً في خارطة الشعر الشعبي الحسيني، فقد أطبقت شهرتها الآفاق فأحبّها الناس واستوعبوا مفرداتها، لذا أصبح لزاماً على الخطيب أن يحفظ منها ما استطاع لأنها (ملح المآتم).

وبالرغم من لهجتها العراقية القديمة، فقد حافظت على موقعها ليس

في العراق فحسب، بل في دول الخليج ولبنان، وأحسب أن هذا الانتشار جاء نتيجة لخلوص الشاعر وصفاء نيته في قصد مواساة أهل البيت عليهم السلام.

ولابد لنا ونحن نعرض للنصاريات أن نطل على حياة الشيخ محمد نصار، نستقرأ فيها جوانب من حياته وسيرته.

هو الشيخ محمد بن الشيخ علي بن إبراهيم بن محمد بن نصار الشيباني اللملومي[1]، لم يتمكن متتبعو السيرة والمؤرخون من تعيين سنة ولادته، إلا أنه ولد في قرية (لملوم)، التي كانت على شاطئ الفرات، اندرست في حدود (١٢٢٠هـ) وتفرق أهلها في البلاد لذهاب الماء عنهم بانتقال مجرى الفرات عنها، سكن معظم أهاليها قرية الشنافية[2] وكان والد الشيخ محمد قد انتقل إليها وتوفي فيها، والظاهر أن الشيخ محمد انتقل إلى النجف بعد وفاة أبيه.

سيرته:

حدث عنه الشيخ علي كاشف الغطاء قائلاً: (كان فاضلاً كاملاً أديباً لبيباً شاعراً ماهراً حسن المعاشرة صافي الطوية صادق النية،... كان رحمه الله من أخص أحبابي حين مهاجرتي من كربلاء أيام والدي وتوقفي (مكثي) في النجف لتحصيل العلم وقد كان يتلو لي أغلب ما كان ينظمه في القريض ولكني كنت في شغل عن كتابته وثبته في الدفاتر)[3].

أما الشيخ محمد السماوي فيقول: (كان أديباً فاضلاً ظريفاً خفيف الروح رقيق الحاشية كثير الدعابة إلى تقى وديانة وتمسك بالشرع جداً وكان ينظم شعراً بلسان أهل العصر (الدارجة) فائقاً إلى ماله من نظم القريض الرائق)[4].

في حين يذكره الشيخ محمد هادي الأميني فيقول: (من مشاهير الشعراء وفرسان القريض، نبغ في اللغة الدارجة وكان عالماً فاضلاً)[5]، كما نص على شاعريته وعلمه آغا بزرك الطهراني[6].

ولعل الشيخ جعفر محبوبة قد قربه إلى الأذهان أكثر بقوله: (له ذكر خالد وسمعة باقية ببقاء المنبر الحسيني، نبغ في النظم باللغة الدارجة (الحسكة) وبلغ

فيها شأواً لم يدركه فيه أحد، بل جاوز في إبداعه الحد فكان من المجيدين فيها، المحسنين الموفقين ولا يزال شعره غضاً جديداً رغم مرور الليالي والأيام، وتفنن الشعراء المعاصرين والسالفين في فنون هذا النظام، وقد امتاز رحمه الله بنظمه غالباً ينظم نفس الرواية والخبر، الواردة في المقام على أن له يداً طولى في النظم في اللغة الفصحى، ذكره السيد في التكملة فقال: (فاضل أديب... نظم واقعة الطف بذلك اللسان وهو الدائر على لسان الراثين، وكان هذا الشيخ من الموفقين لهذه الخدمة العظيمة لأهل البيت عليهم السلام فإنه لا ينعقد اليوم مجلس العزاء الحسيني إلا ويقرأ فيه من شعره فيقول الراثي: (قال ابن نصار!!)[٧].

وفـــاته:

توفي في جمادى الأولى سنة (١٢٩٢هـ/ ١٨٩٣م) ودفن بالصحن الحيدري عند الرأس وقريب من قبر السيد حيدر الحلي عند مدخل الساباط من جهة الشمال[٨]، وقد بلغ الستين من عمره[٩].

(جرت له كرامة عند موته جديرة بمقامه وتفانيه في خدمة مواليه فقد حدث غير واحد من فضلائنا الأعلام أنه كان مصطفياً العلامة الشيخ كاظم الحكيم لولائه وإخائه مختصاً به غاية الاختصاص حتى مرض الشيخ محمد مرض الوفاة فلازمه المذكور ولما اشتد به الحال طلب من الشيخ كاظم أن يكون هو المتولي لشؤونه عند احتضاره، ولما احتضر وجهه المذكور نحو القبلة وأجرى سائر السنن الخاصة بهذه الحال ـ أعاننا الله عليها ـ إلا أنه كلما مد رجلي المترجم له قبضهما، فعل الشيخ كاظم ذلك مراراً حتى توفي رضي الله عنه وهما مقبوضتان ولكن الشيخ كاظم كان مستغرباً جداً أن يموت صديقه على هذه الحالة وكتمه في نفسه ولم يطلع أحداً على ذلك حتى كان اليوم الثاني لفاتحته، رأى المترجم له أحد أخوانه في عالم الرؤيا، فطلب منه أن يذهب إلى الشيخ كاظم ويعاتبه على إصراره على مدّ رجليه مع مشاهدته امتناعي عن مدهما لأن سيد الشهداء (روحي فداه) حينما جاء مع أمه وأبيه وأخيه صلوات الله عليهم كان مجلسه عند رجلي فلم أستطع مدهما تأدباً واحتراماً فلما انتبه الرجل جاء إلى الشيخ كاظم فأخبره فالتفت حينئذ إلى السر في ذلك وزال استغرابه، قلت: وأنها لكرامة دلت عليها الآثار وشواهد الوجدان)[١٠].

ملحمة النصاريات:

يقول الأستاذ علي الخاقاني في معرض وصفه للنصّاريات: (وأن ملحمته المعروفة بـ(النصاريات) استوعبت وصف حادثة الطف استيعاباً جميلاً ضمنها كثيراً من الوصف للشجاعة والقتال، وفيها خيال رائع وأسلوب محكم يهتز السامع لها مهما تكررت رواياتها، وبذلك خلدت في نفوس الخطباء والسامعين في آن واحد فكم أثرت بمشاعر الجماهير فأثارتها. وقلبت من أذهان العلماء والجهلاء فأرهفتها، وقد اعتبرها كتاب العصر من أروع

الملاحم الشعرية الخالدة)[11].

وكلمة الملحمة (تعني الموقعة العظيمة القتل في الحرب، وذلك مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لحمة الثوب بالسدى)[12]، أما في الشعر فالملحمة هي (كناية عن عمل شعري طويل يتألف من أناشيد عديدة نظمت في وصف حرب من الحروب ووصف جيوشها وأبطالها والأمكنة التي دارت فيها)[13].

أطلق الباحثون في أوزان الشعر الشعبي اسم الشيخ محمد نصار على وزن من تلك الأوزان، فسمي بـ(الوزن النصاري)، تخليداً واعتزازاً به وهذا الوزن هو من مشتقات بحر الطويل وعدد مقاطعه (٨) بثلاثة أجزاء فهو (مفاعيلن مفاعيلن فعولن) وللحفظ قربته بقولي (ينصاري اشحلاتك من ننظمك)، وهو مشتق من بحر الهزج، ولقد اشتبه من قال إن النصاري (أو الأبوذية التي هي نفس وزن النصاري) هو وزن الوافر عند شعراء الفصحى، علماً أن الدكتور مصطفى جمال الدين اعتبر الوافر والهزج بحراً واحداً[14].

والنصاريات عبارة عن مجموعة كبيرة من المقاطع الشعرية الثنائية (الدوبيت)، ويقفل العجز من البيت الثاني بقافية الراء الساكنة.

وقد نجح الشاعر بالرغم من بساطة المفردات الشعبية التي استخدمها في تصوير الواقعة وتقريبها للذهن ابتدأ الشاعر، بداية تقليدية حيث خروج الإمام

الحسين عليه السلام من مدينة جده قائلاً:

سار حسين وأمسى الحرم مغبر
أويلي والمدينة صفت تصفر

وقد ضمنها صوراً عديدة كالبسالة والإقدام المعبرة عن الشجاعة، إضافة لإدخاله العواطف حيث الأب وابنه، والأم وولدها، والأخت مع أخيها.

على أن شاعرنا لم يتقيد بالسيرة تقيداً كاملاً، فالمعروف أن علياً الأكبر عليه السلام كان أول من برز من الأسرة، والعباس عليه السلام كان آخر من بقي مع الحسين عليه السلام، إلا أنه رحمه الله قدم مصرع العباس عليه السلام على مصرع الأكبر عليه السلام.

ولابد لنا ونحن نتكلم عن النصاريات، أخذ نماذج منها:

الأنموذج الأول:

يحاجي النفس يا نفسي تهونين
كل الناس تغده فدوة لحسين
ألف وسفه يخوية مالك امعين
تظل بعدي يبو اسكينة امحير

وهو حوار بين العباس عليه السلام ونفسه، وهنا يعتمد الشاعر على قول العباس عليه السلام:

يا نفس من بعد الحسين هوني
وبعده لا كنت أو تكوني
هذا حسين وارد المنون
وتشربين بارد المعين

إنها أروع صورة من صور الإيثار.

الأنموذج الثاني:

سدر والكون شابح زان وسيوف
نشاب ونبل واسهام واحتوف
ما والله رجف كلبه امن الخوف
ولا وجهه من اشراقه تغير

بطولة علي الأكبر عليه السلام لا حدود لها، حيث الحرب مستعرة، والموت يصيب المقاتلين كما يصب المطر الأرض إلا أن علياً عليه السلام لم يفزع ولم يتغير وجهه خوفاً مما يلاقيه.

الأنموذج الثالث:

رد واعياله من العطش يومن
وصاح ابصوت للتوديع كومن
مثل سرب القطا كامن يحومن
تطيح اعليه وحدتهن وتعثر

لا أبالغ إذا قلت أن هذا البيت عبر بالفعل عن وداع الإمام عليه السلام مع عائلته، حيث قدم الإمام عليه السلام ورأى عياله في حالة عطش شديد بحيث لا يستطيعون التكلم فكانت لغة المحادثة: الإيماء، ثم شبه حالة النساء والأطفال بحالة السرب من طيور القطا التي تجتمع حول كبيرها ■

---

(١) الخاقاني، شعراء الغري، ٣٢٢/٣.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الحصون المنيعة، ١٨٠/٥.
(٤) الطليعة، ص٢١٨.
(٥) معجم رجال الفكر والأدب، ص٢١٢.
(٦) الذريعة، ٣١/٩.
(٧) ماضي النجف وحاضرها، ٤٧٤/٣.
(٨) الخاقاني، شعراء الغري، ٣٢٥/٣.
(٩) وهذا التاريخ يمكننا من تقريب سنة مولده، فيمكن أن تكون سنة ١٢٣٢هـ.
(١٠) محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، ٤٧٣/٣.
(١١) شعراء الغري، ٣٢٥/٣.
(١٢) معلوف، المنجد في اللغة، ص٧١٧.
(١٣) المصدر السابق.
(١٤) ينظر: البحث في كتابنا الموسوم استقراء في أوزان الشعر الشعبي العراقي، ص١١٢.

قراءة في..

دائرة المعارف الحسينية

• أحمد سلمان آل طعمة
كلية الطب/ جامعة كربلاء

ينابيع في نظرة فاحصة لتراثنا الإسلامي الزاخر بالعطاء الفكري الثر، نجد أن ما ألّف وصنف حول سير العظماء الأفذاذ كم هائل لاسيما أولئك الذين لديهم تغييرات جذرية للمجتمع الإسلامي على جميع الأصعدة، فنرى الأقلام قد تناولت شخصياتهم بكل تفاصيلها وما أحدثوه من ثورات وتغييرات في المجتمع لعل القارئ يستفيد منها كدروس وعبر تنفعه في حياته.

إن ما أحدثه الإمام الحسين عليه السلام وثورته المباركة ضد الظلم والظالمين تأتي في طليعة ما كتب عن الثورات في خضم التاريخ الإسلامي الحافل بالمتغيرات عبر العصور ابتداءً من بزوغ شمس الإسلام على يد سيد الكائنات نبينا الكريم صلى الله عليه وآله ومروراً بعصر الرسالة والعصور التي تلته إلى يوم الناس هذا.

فالحسين عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته من الدنيا وأبو الأحرار والشهداء، قد شاءت الإرادة الإلهية أن يسجل الرقم الأول والأخير في نصرة الحق والوقوف بوجه الظلم، وصار يومه يوم عاشوراء يوماً لا مثيل له في

التاريخ منذ أن خلق الله تبارك وتعالى آدم عليه السلام إلى يوم القيامة، ويتمنى كل الأحرار والناهضين في العالم والمؤمنين الصادقين أن لو كانوا مع الحسين عليه السلام وشهدوا واقعة كربلاء لينصروه ولينصروا مبادئه بكل ما يملكون، ليظفروا بالعز والكرامة والخلود وهم يرددون (يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً).

إذن، فالسائرون في ركب الإمام الحسين عليه السلام موجودون في كل زمان ومكان يتسابقون لنصرة سيد الشهداء عليه السلام لينالوا رضا الله تبارك وتعالى.

ومن بين أولئك المخلصين ـ في عصرنا الحاضر ـ الذين انخرطوا في سلك التأليف عن الإمام الحسين عليه السلام وثورته المباركة، وجندوا طاقاتهم لنصرته، سماحة الحجة الشيخ محمد صادق الكرباسي دامت بركاته، ليقوم بجهد متميز وعمل دؤوب ليجمع كل ما تناثر عن الإمام الحسين عليه السلام في موسوعة تعد من أكبر الموسوعات في عصرنا الحاضر وهي المسماة بـ(دائرة المعارف الحسينية) لتكون نفحة من نفحات الإمام عليه السلام لمن سنحت له الفرصة لأن يسلك هذا المسلك للتأليف عن أبي الأحرار عليه السلام، ونحن في هذه العجالة نعرف القارئ الكريم بهذه الموسوعة الجديرة بالاهتمام وصاحبها المفضال الشيخ الكرباسي عسى أن نكون قد وقفنا على إطلالة من إطلالات التراث الحسيني الذي ملأ الخافقين بشذاه العطر.

فالاسم الرسمي للموسوعة باللغة العربية هو (دائرة المعارف الحسينية)، وهي لا تشابه مثيلاتها من دوائر المعارف الإسلامية الأخرى اللاتي صدرت عن أشخاص آخرين، لأنها لم تتخذ المنهج الألفبائي في ترتيب المواد، بل قسمت المعلومات على أبواب وفصول مختلفة، كل باب يرجع إلى علم معين، كما سنبين ذلك لاحقاً.

وهي تصدر عن المركز الحسيني للدراسات في لندن بالمملكة المتحدة والذي أسسه سماحة الشيخ الكرباسي دام عزه.

أما مؤلفها فهو سماحة الحجة الشيخ محمد صادق بن الشيخ محمد بن الشيخ أبي تراب الكرباسي الحائري. من أسرة علمية وفقهية لها باع طويل في حقل التأليف والتدريس في مدينة كربلاء المقدسة وحوزتها الشريفة منذ عقود طويلة.

ولد الشيخ محمد صادق الكرباسي في كربلاء المقدسة بجوار مرقد أبي عبد الله الحسين عليه السلام في الخامس من شهر ذي الحجة الحرام سنة (١٣٦٦هـ) الموافق ١٩٤٧/١٠/٢٠م في بيت العلم والتقى، حيث نشأ وترعرع منذ نعومة أظفاره على مقربة من منهل العلم والفضيلة وبين الأدباء والعلماء.

فبدأ بدراسته التقليدية ثم التحق بالحوزة العلمية في كربلاء المقدسة في بواكير حياته، فقرأ على جملة من أعلامها أمثال: الشيخ جعفر الرشتي (ت١٣٩٧هـ)، والشيخ محمد الشاهرودي (ت١٤٠٩هـ)، ووالده الشيخ محمد الكرباسي (ت١٣٩٩هـ)، والشيخ يوسف

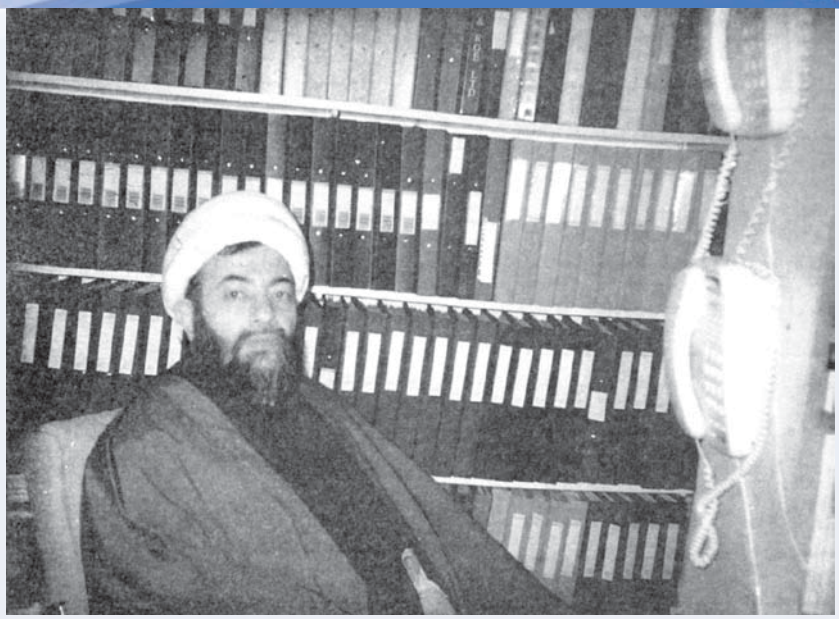

العلامة الشيخ محمد صادق الكرباسي صاحب موسوعة المعارف الحسينية

البياري (ت١٣٩٨هـ)، والشيخ محمد رضا الاصفهاني (ت١٣٩٣هـ)، والسيد محمد الشيرازي (ت١٤٢٢هـ)، وغيرهم، ثم حضر لفترة قصيرة في النجف الأشرف على يد السيد الخوئي قدس سره (ت١٤١٣هـ) والسيد الخميني قدس سره (ت١٤٠٩هـ).

ثم بدأ يمارس التدريس والتأليف وإدارة بعض الجوانب الاجتماعية والدينية حتى هاجر من العراق في ظروف صعبة فحل إيران ليحضر بعض الدروس العلمية في مدينة طهران على بعض الأعلام من بينهم: السيد أحمد الخوانساري (ت١٤٠٥هـ) والسيد أبو الحسن الرفيعي (ت١٣٩٦هـ)، والشيخ باقر الأشتياني (ت١٤٠٤هـ).

ومن ثم حل مدينة قم المقدسة فحضر على جملة من أعلامها كالسيد محمد رضا الكلبايكاني (ت١١٤هـ) والشيخ كاظم التبريزي (ت١٤١٧هـ) والشيخ هاشم الآملي (ت١٤١٣هـ) وغيرهم.

وبعدها رحل إلى بيروت وسوريا ليرأس الحوزة العلمية الزينبية التي أسسها المرحوم الشهيد السيد حسن الشيرازي قدس سره، حتى استقر أخيراً في لندن ليقوم بإنشاء المركز الحسيني للدراسات وتأليف موسوعته الضخمة.

وموسوعته (دائرة المعارف الحسينية) تعد اليوم واحدة من أضخم الموسوعات التي تناولت الإمام الحسين عليه السلام.

نشأت فكرة تأليف الموسوعة عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ولكن الإنبثاقة الأولى كانت يوم ١١ محرم ١٤٠٨هـ الموافق ١٥ أيلول ١٩٨٧م، إثر تجلي عظمة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام في حادثة وقعت

يوم عاشوراء في لندن، هزت مشاعر المؤلف، فعاهد نفسه أن يبرز عظمة هذا الإمام الشهيد بشكل يليق بساحته المقدسة، وقد ذكر المؤلف هذه الحادثة في الجزء الأول من الموسوعة، وأرخها نفسه بقصيدة يقول في آخرها:

يا إلهي بشقيقي زينب اجعل
وبها تاريخها: رغد المذاد

أما منهجه في تصنيف الموسوعة، فهي تشتمل على ستين باباً من أبواب المعرفة قسمت حسب مناحي العلوم والفنون، وهي متعددة المعارف والأبواب والفصول، إلا أنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالإمام الحسين عليه السلام شخصاً وقضية، فالأبواب على سبيل المثال جاءت كالتالي: التشريع، الأدب، التاريخ الرؤيا، السياسة، الخطباء...الخ، قاربت أجزاؤها الستمائة مجلد، كل مجلد لا تقل صفحاته عن (٤٠٠) صفحة ولا تزيد عن (٨٠٠) صفحة.

وكل باب أو فصل رئيسي يتألف من مقدمة ضافية عن ذلك العلم الذي خصص له ذلك الباب أو الفصل، ومن ثم يدخل بالموضوع مقسماً إياه إلى فصول، وينتهي بخاتمة تنهي ذلك الباب أو الفصل.

يسخّر المؤلف إمكاناته العلمية وما يمتلكه من معارف ليبسطها في طي صفحات الموسوعة، وهو يستعين في بعض الأحيان بذوي الاختصاص في شتى العلوم والفنون، وهو غالباً يبتعد عن الألفاظ الغامضة والمصطلحات المعقدة.

والموسوعة قد تستعين بالخرائط والصور والجداول والوثائق أحياناً، لتقرب المعنى المطلوب إلى ذهن القارئ والباحث، وهذا الأسلوب يعتبر من الأساليب العلمية الأكاديمية الحديثة في بسط المادة العلمية للقارئ والدارس والاستعانة بوسائل الإيضاح.

ومن يقرأ أجزاء الموسوعة يجدها أنها تحاول عدم استخدام المفردات الدخيلة على العربية، وتسعى إلى وضع مفردة جديدة بدلاً عن الدخيلة مستخدمة في ذلك الباب الذي امتازت به هذه اللغة، فهي تميل إلى تجديد وتوليد الألفاظ وفقاً لقوانين علم الصرف والقواعد المستخدمة فيه.

امتازت الموسوعة بكثرة الهوامش الموجودة في طياتها والتي تعتبر مصدراً من مصادر التوثيق، وفيها الكثير من المعلومات إضافة إلى تراجم الشخصيات والمدن، وذلك بغية التسهيل على القارئ للوصول إلى غايته، كل من يطالع أجزاء الموسوعة يرى أن الفهرسة قد ألحقت بكل جزء من أجزائها فتزيد ذلك الجزء رونقاً وبهجة، حيث طرقت كل أبواب التصنيف المعرفي مما يسهل كثيراً على القارئ استخراج أي اسم أو بلد أو مكان من الكتاب نفسه.

فنرى فهرساً لأسماء الأعلام وآخر للمؤلفين وآخر للبلدان والمراقد والمساجد والمصادر، وتصل في بعض الأحيان إلى عشرة فهارس أو يزيد على هذا العدد في أحيان كثيرة.

إن المصادر التي طرقتها واستقت منها هذه الموسوعة المعلومات، لم تقتصر على طائفة أو فئة دون أخرى بل

تعدت إلى جميع الطوائف بل وحتى الأديان الأخرى، إذ أن موسوعة الحسين عليه السلام تعني موسوعة رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام وكل ما يرتبط بالإسلام من قريب أو بعيد، لذا نرى أن المؤلف قد تناول الكثير من النصوص التي ترتبط بالمواضيع المختلفة مستقات من مصادر الأديان الأخرى، إضافة إلى الاستعانة بالوثائق الخطية والمصورات التي غالباً ما يشير إليها المؤلف بالهامش، لذا نجد أن الموسوعة قد ازدادت في أجزائها، ولم تقف عند هذا الحد في تقديرنا بل قد تتعداه إلى أكثر منه.

ذكرنا فيما سبق أن الموسوعة تضم ستين باباً تقريباً، من بين تلك الأبواب: السيرة الحسينية، ديوان الإمام الحسين عليه السلام، الحسين والتشريع الإسلامي، الرؤيا مشاهدات وتأويل، تاريخ المراقد، المدخل إلى الشعر الحسيني، الدواوين حسب القرون (ديوان القرن الأول، ديوان القرن الثاني،...الخ)، معجم الشعراء الناظمين في الحسين عليه السلام، معجم المصنفات الحسينية، معجم خطباء المنبر الحسيني، ديوان الأبوذية، ديوان الموال، ديوان الزهيري، ديوان السريع، الصحيفة الحسينية، الحسين في القرآن الكريم، معجم الأنصار الهاشميين، وغيرها من الأبواب الكثيرة، وكل باب يحتوي على أجزاء عديدة، قد طبع منها ما يزيد على الثلاثين جزءاً، أغلبها الأجزاء الأولى من تلك الأبواب.

ومن خلال عرضنا السابق للموسوعة وأجزائها، نهيب بهذا العمل الجبار ومؤلفه المفضال الشيخ الكرباسي ونعتبره ثورة في عالم المعلومات حول الإمام الحسين عليه السلام، وفي الوقت نفسه نعقد الآمال أن يستفيد منه الباحثون والمحققون في أعمالهم الموسوعية، إضافة إلى عقد الآمال بأن توضع هذه الموسوعة على أقراص مدمجة (CD) ليتيسر الاستفادة منها إلكترونياً، وأملنا أن تقوم جهات مختصة بأن تترجم هذا العمل إلى لغات حية ليطلع العالم على سيرة سيد الشهداء وسبط نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله.

كما نتمنى أن يؤسس مركز معلوماتي عن الإمام الحسين عليه السلام، يضم مكتبة ضخمة ووسائل إيضاح وأشرطة تسجيل وغير ذلك للاستفادة منها، وأن توضع في متناول الجميع إضافة لوجودها على شبكة المعلومات العالمية (الانترنت) لعلنا نساهم في ذلك بوضع لبنة من لبنات ما يسمى بالعولمة بمميزاتها الإيجابية والتي تضع الفرد المسلم ضمن دائرة المعرفة العالمية لنشر ديننا الإسلامي الحنيف وتراث أهل البيت عليهم السلام وما ذلك على الله بعزيز.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ■

(١) دائرة المعارف الحسينية، الشيخ محمد صادق الكرباسي، بيروت، ٢٠٠٠م.
(٢) الزنبقة في التقاريض المنمقة، نخبة من الباحثين، جمع الشيخ الكرباسي، بيروت بيوت، ٢٠٠٢م.
(٣) عشائر كربلاء وأسرها، سلمان هادي آل طعمة، بيروت، ١٩٩٧م.
(٤) العين الباصرة في المطبوع من الدائرة، الشيخ محمد صالح الكرباسي، بيروت، ٢٠٠٣م.
(٥) مجلة المرشد، لصاحبها الشيخ حسين الفاضلي، دمشق، ٢٠٠٣م.

خصائص القصيدة الحسينية في لامية هاشم الكعبي

« مدخل وتحليل »

• د. حسن الخاقاني
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

مدخل:

ينابيع امتازت القصيدة الحسينية، عبر مسيرتها الطويلة بجملة من الخصائص التي أفردتها عن سواها من الشعر، سواء بصورته العامة أم ما كان منه يقارب السبيل نفسه، برغم أنها قد التقت عند الخصائص العامة المعروفة للشعر، ولعل من أبرز تلك الخصائص احتفاظها بصدق العاطفة الموجهة نحو الموضوع، والصادرة من قبل أناس عبروا في قصائدهم عن صدق إيمانهم بقضيتهم، وهي قضية متجددة بتجدد الأزمان والدول، تستثار في كل يوم من جديد بالعاطفة المشبوبة نفسها، مقترنة بدرجة الصدق نفسه، مطلقة لا تكاد تتغير مهما تغير بها الزمان والموقف.

أما من ناحية الموضوع فهو يحتفظ بوحدته غالباً، بمحور غالب، هو قضية مقتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه في واقعة الطف بكربلاء المقدسة وما جر ذلك من تبعات، ولكن التنويع كان يجري على مستوى الخطاب، فهو متجدد، متغير، يحتار فيه الشاعر غالباً، جانباً ما من جوانب تلك الواقعة المتشعبة في آثارها، يفرغ فيه عاطفته، ويعرض فيه قضيته من وجهة نظره، وخاص رأيه، فإن التقى مع غيره

في الاتجاه العام، فقد احتفظ لنفسه بما يميزها، وهذا ما جعل القصيدة الحسينية ثرية في تعبيرها، متنوعة في صيغ عرضها، فأعطاها هذا غنى داخلياً على مستوى العناصر والتركيب، وتأثيراً قوياً على مستوى التلقي والاستجابة منذ البواكير الأولى لتلك الواقعة، فهذه الرباب بنت امرئ القيس بن عدي الكلبي زوج الإمام الحسين عليه السلام وقد رافقته في المعركة تقول فيه:

إن الذي كان نوراً يستضاء به
بكربلاء قتيل غير مدفون
سبط النبي جزاك الله صالحة
عنا، وجنبت خسران الموازين
قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذ به
وكنت تصحبنا بالرحم والدين
من لليتامى ومن للسائلين ومن
يعنى، ويأوي إليه كل مسكين
والله لا أبتغي صهراً بصهركم
حتى أغيب بين الرمس والطين

فهذه المرأة المفجوعة بزوجها، قد قرنت التعبير عن مصيبتها تلك بمصيبة الدين وأهله بفقد الحسين عليه السلام، وهو ما يجري بصورة أوضح لدى شاعر آخر هو خالد بن غفران وقد أتوا برأس الحسين عليه السلام إلى دمشق:

جاؤوا برأسك يا بن بنت محمد
متزملاً بدمائه تزميلا
وكأنما بك يا بن بنت محمد
قتلوا جهاراً عامدين رسولاً
قتلوك عطشاناً ولم يترقبوا
في قتلك التأويل والتنزيلا
ويكبرون بأن قتلت وإنما
قتلوا بك التكبير والتهليلا

ويؤكد أبو دهبل الجمحي هذه المفارقة الظالمة ببيان موقف بني أمية بقوله:

تبيت سكارى من أمية نوّماً
وبالطف قتلى ما ينام حميمها

وما أفسد الإسلام إلا عصابة
تأمر نوكاها ودام نعيمها
فصارت قناة الدين في كف ظالم
إذا اعوج منها جانب لا يقيمها

وفوق هذا فقد احتفظ الشاعر بقدرته الإبداعية في الابتكار والتجديد، فللشاعر الحسيني أن يتخيل المواقف، ما وقع منها ولم يقع، ويجري الحوار بين الشخصيات فيقوى لديه الأسلوب القصصي، وسوى ذلك من الإمكانات والتقنيات التي نرى بها حاجة إلى البحث والتفصيل بما قد لا يستوعبه هذا العرض الموجز، ولعلنا نجد بعض ذلك في لامية الحاج هاشم الكعبي الآتي عرضها وبحثها.

الشاعر:

هو الحاج هاشم بن الحاج حردان الكعبي الدورقي، ولد ونشأ في (الدورق) مسكن عشائر كعب في الأهواز، ثم سكن كربلاء والنجف، توفي في سنة (١٢٣١هـ).

والكعبي نسبة إلى قبيلة كعب العربية التي تسكن الأهواز ونواحيها، من فحول الشعراء وفي طليعتهم، نظم في رثاء أهل البيت عليهم السلام فأكثر وأبدع وأجاد، واحتج وأحسن وأتقن، وشعره من الطبقة الممتازة.

قال الشيخ آغابزرك الطهراني: (الحاج هاشم بن حردان بن إسماعيل الكعبي الدورقي من العلماء الفضلاء والشعراء المشاهير، هاجر من الدورق إلى كربلاء فحضر على علمائها عدة سنين وصار من أهل الفضل والعلم البارزين وبرع في الشعر وفنون الأدب حتى عد في مصاف شيوخه والمشاهير من أعلامه، وله ديوان كبير ومعظم شعره في رثاء أهل البيت عليهم السلام، ولاسيما مراثي سيد الشهداء عليه السلام، وشعره رقيق منسجم.

لقد مضى على وفاة الشاعر زمن طويل وشعره يعاد ويكرر في محافل سيد الشهداء عليه السلام، ويحفظه المئات من رجال المنبر الحسيني وهو مقبول مستملح، بل نجد الكثير يطلب تلاوته وتكراره وكأن عليه مسحة قبول.

طبع ديوانه وأعيد طبعه والطلب يتزايد عليه.

القصيدة:

أما طلل يا سعد هذا فتسأل
نزال فهذي الدار إن كنت تنزلُ
هي الدار لا شوقي إليها وان خلت
يحلّ ولا عن ساكنيها يحولُ
قفوا بي على أطلالها علّنا نرى
سميعاً فنشكو أو مجيباً فنسألُ
لي الله كم تلحوا اللواحي وتعذل
وكم ابتدي عذراً وكم أتنصلُ
يريدون بي مستبدلاً عن أحبتي
أحالوا لعمري في الهوى وتمحلوا
أبعد نوى الهادين من آل هاشم
يروقك غزلان وتصبيك غزّلُ
بهاليل أمثال البدور زواهر
وليل الوغى مستحلك اللون أليلُ

ولا يومهم وابن النبي بكربلا
وأخرى على خوف تلوذ بجنبه

وللنقع في جو السماكين قسطل
وأخرى تفدّيه وأخرى تقبّل

يكرّ فتنحوا نحوه هاشمية
وجاءت لشمر زينب ابنة فاطم

فوارس أمثال الضراغم ترقل
تعنّفه عن أمره وتعذّل

فوارس من عليا قريش وهاشم
أيا شمر هذا حجة الله في الورى

لهم سالف في المجد يروى وينقل
أعد نظراً يا شمر إن كنت تعقل

فوارس إذ نادى الصريخ ترى لهم
أعد نظراً ويلٌ لامك إنها

مكاناً بمستن الوغى ليس يجهل
إذ الويل لا يجدي ولا العذر يقبل

إلى أن ثووا تحت العجاج تلفهم
أيا شمر لا تعجل على أبن محمدٍ

ثياب علا منها رماح وأنصل
فذو ترة في مثله ليس يعجل

فظلّ وحيداً واحد العصر في الوغى
ومرة يحزّ النحر غير مراقب

يضراه فيها سمهري ومنصل
من الله لا يخشى ولًا يتوجل

وشد على قلب الكتيبة مهره
وراحت له الأيام سوداً كأنما

فراحت ثباً مثل المهى تتجفل
تجلببها قطعٌ من الليل اليل

فديتك كم من مشكل لك في الوغى
وأضحى كتاب الله من اجل فقده

ألا كل معنى من معانيك مشكل
يحن له فرقانه والمفصل

فتلك منايا أم أمان تنالها
لم انس لا والله زينب إذ دعت

وذاك حريق أم رحيق معسل
بواحدها والدمع كالمزن مسبل

إلى أن أتاه في الحشى سهم مارق
وراحت تنادي جدها حين لم تجد

فخرّ فقل في يذبل خر يذبل
كفيلا فيحمى أو حمياً فيكفل

وزلزلت الأرضون وارتجت السما
أيا جدنا هذا الحبيب على الثرى

وكادت له أفلاكها تتعطل
طريحاً يخلّى عارياً لا يغسل

واقبل نحو المحصنات حصانه
يخلّى بأرض الطف شلواً ورأسه

يحنّ ومن عظم المصيبة يعول
إلى الشام فوق الرمح يهدى ويحمل

فأقبلن ربات الحجال وللأسى
لتبك المعالي يومها بعد يومه

تفاصيل لا يحصي لهنّ مفصّل
إذا ما بغى باغ وأعضل معضل

فواحدة تحنو عليه تضمه
وبيض الظبى والسمر تدمى صدورها

وأخرى عليه بالرداء تظلل
وخيل الوغى تحفى وبالهام تنعل

وأخرى بفيض النحر تصبغ شعرها
ومنقبة تتلى وذكر يرتل

وأخرى لما قد نالها ليس تعقل
ومكرمة تبنى ومجد يؤثل

وليلة مسكين تحمل قوته
إليه سراراً والظلام مجلل
بكاء العذارى الفاقدات كفيلها
عشية جد الخطب والخطب مهول
متى نبصر النصر الإلهي مشرقاً
بأنواره تكسى الربى وتجلل
يروم سلّواً فارغ القلب مثله
وذلك خطب دونه الصعب يسهل
حرام على قلبي العزا بعد فقدكم
وفرط الجوى فيه المباح المحلل
ولولا الذي أرجوه من اخذ ثاركم
فاعلق آمالي به وأعلل
لمت على ما كان من فوت نصركم
آسىً وجوىً والموت في ذاك أمثل
ولي سيئات قد عرفت مكانها
فظهري منها احدب الظهر مثقل
ومالي فيها من يد غير إنني
عليكم بها بعد الإله أعوّل
فسمعاً بني المختار نظم بديعة
يذل لها بشر ويخضع جرول
تجاري كميتاً كالكميت ولم يكن
بها أخطل إذ ليس في الشعر أخطل
فإن تمنحوا حسن القبول فأنكم
وما عنكم أن تطردوا متحول
عليكم سلام الله ما لاح بارقٌ
وما ناح قمري وما هبّ شمأل

التحليل:

تختزل لامية الحاج هاشم الكعبي وقفة الأطلال بمطلعها فتحيله إلى وقوف في الدار التي أحبها وأحب أهلها، ويحكم الاستفهام التقريري في الشطر الأول الإجابة التي تساوي بين الطلل والدار فتوحدهما، فكأن الدار هي التي قد أصبحت طللاً بعد زوال أهلها، ولا قيمة لها إلا لقيمة أهلها الذين أصابهم (النوى) فتحملوا عنها غير راغبين حين أنشبت يد المنون بهم حمر أظافرها، وهو ما تعدو إليه القصيدة سريعاً فلا يكاد الأمر يأخذ من الشاعر إلا بضعة أبيات في المقدمة تعبر عن الحب والكشف عن بعض صفات أهل البيت عليهم السلام، حتى يلج في صلب المصيبة العظمة التي حلت بآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ممثلة في مقتل خير أهل الأرض وسيد شباب أهل الجنة أبي الأحرار السبط الشهيد الإمام الحسين عليه السلام وجمع خير من أهل بيته وصحبه الكرام، وقد وصفهم مجملاً في البيت:

بَهاليل أمثال البدور زواهر
وليل الوغى مستحلك الليل أليل

لكن الواقعة سرعان ما تحزم أمرها، وتتبدل البدور الزواهر لون الغبرة الساطعة (القسطل) التي تعلو جو السماكين فتسابق الخيل ومن على صهواتها من أبناء هاشم، ولكن ما أسرع ما يتوقف زخم هذا الاندفاع البطولي الذي يأخذ ثلاثة أبيات حسب، لتسكن عجاجة البطولة والفداء، وليفرد من بينها أبو الأحرار الإمام الحسين عليه السلام في البيت الثالث عشر، وليسجل البيتان الآخران مجمل بطولته، ولكن البيت السادس عشر يمهد لوقع المصيبة التي هي الغاية الرئيسية من بناء القصيدة

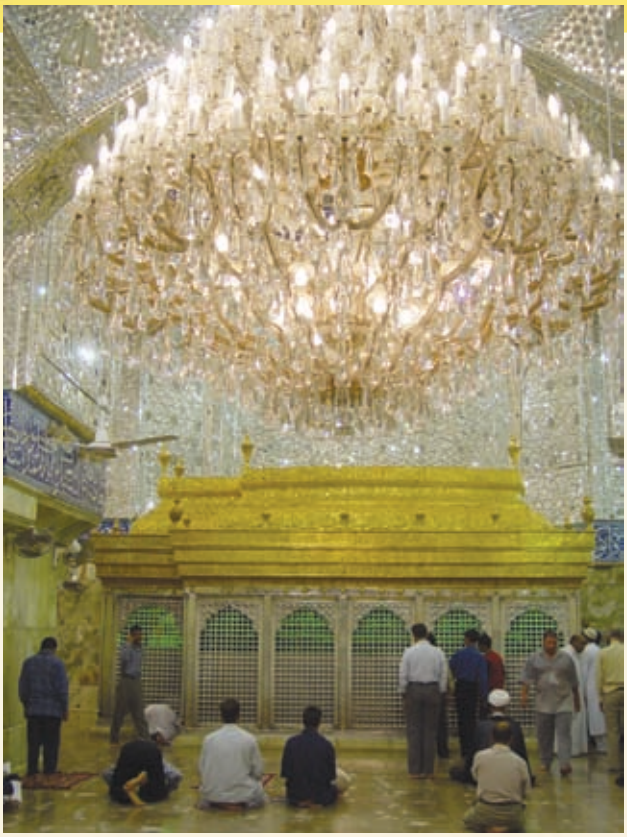

بصورتها التامة، فجعلت المحاور الأخرى مساعدات للغرض الرئيس حتى يأتي مصرع الإمام الحسين في البيت السابع عشر لينتقل تركيز النص إلى ما جرى بعد هذا الحدث الجلل، إذ يرصد حركة موارة تجوب أنحاء النص فتعبر عن حركة مناظرة جرت في أرض الواقعة قامت بها نسوة البيت الهاشمي بعد فقد الولي وبقائهن غريبات وحيدات في أرض الطف بين أعداء آل الرسول ﷺ وقاتلي سبطه الشريف، وأول مظاهر تلك الحركة العنيفة في البيت:

وتزلزلت الأرضون وارتجت السما
وكادت لـه أفلاكها تتعـطل

فهي حركة قوية شاملة باستعمال صيغة الجمع (الأرضون) تردفها حركة السماء وأفلاكها.

تبدأ حركة النسوة من مثير خارجي هو حركة الحصان في الفعل (أقبل) وهو يقبل نحو المخيم لتناظره في الفعل وتعاكسه في الاتجاه حركة أخرى هي حركة النسوة التي تبدأ في الفعل (أقبل) المعلل بإلغاء السببية والمتصل بنون النسوة، وهو ما يحدث تفاوتاً في الاتجاه وقوة في الاندفاع.

إن حركة النسوة المجللات بالخفر وبالأسى حركة عظيمة يعجز النص عن الإحاطة بتفصيلاتها فيلجأ إلى الإجمال

والاعتراف بالعجز في الشطر: تفاصيل لا يحصي لهن مفصل، لكنه مع ذلك لا يلبث أن يرصد بعضاً من تلك الحركة التي تظهر عاطفة إنسانية نادرة المثيل بما تظهره النسوة من أفعال العطف والحنو واللوذ بجانب الجسد الصريع، وهو ما تكفلت به الأبيات (٢١-٢٣) ليقدم فيها صورة سردية دقيقة في تفصيلها، عظيمة الوقع في أثر العاطفة التي تثيرها.

ومثلما أفردت القصيدة الإمام الحسين عليه السلام من بين بني هاشم في واقعة كربلاء حتى ظل وحيداً، تعمد الشاعر إلى بناء حركة مناظرة وذلك بإفراده السيدة زينب بنت الإمام علي عليها السلام وعقيلة البيت الهاشمي في البيت (٢٤) لتدخل مع شمر في حوار خال من الخضوع والذلة، التي يمكن أن يفرضها مثل هذا الموقف، وتجلله الحجة والرزانة والحكمة في موقف هو أشد ما يمكن أن يجري على امرأة وهي تشهد أخاها - بعد أن قتل أهل بيته وصحبه - وبنزعه الأخير، فيما يلوح سيف العدو متربصاً به ليحتز منه الوريد أمام أنظار نسوة مفجوعة وأطفال مرعوبة، ففي كلام السيدة زينب عليها السلام تذكير للقاتل بأن القتيل الذي بين يديه إنما هو حجة الله على خلقه، وإنما هو يقتل به الدين الذي ارتضاه الله لخلقه، وهذا ما يفتح الباب لرصد الآثار التي جرها هذا المقتل بعد إجراء الفعل في البيت (٢٨) إذ ترصد الأبيات اللاحقة تلك الآثار بدءاً من البيت (٢٩) فقد تغير الزمان حتى صار كالحاً أسود.

ينقل البيت (٣١) مصدر الحكي في النص من ضمير الغائب الذي يرصد ويروي إلى ضمير المتكلم الذي ينطق بلسان الشاعر معبراً فيه عن عاطفته ورأيه في الذي جرى فيحدث تداخل في الزمنين الحاضر والماضي باستذكار مجرى الأحداث ثانية، ثم يستعيد نداء السيدة زينب عليها السلام الموجه إلى جدها الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله، ولكن صوت الشاعر يعود إلى البروز ثانية في البيت (٣٥) الذي يبدو في ظاهره امتداداً للنداء السابق، لكنه يعود في حقيقة أمره إلى الشاعر نفسه الذي يجعله مقدمة، بعد خمسة أبيات، للختام الذي يمهد له بالاستفهام الذي يفيد التمني، وربما الاستبطاء أيضاً في البيت (٤٠) وفيه تأكيد على مصدر الحكي في النص الذي يظهر فيه صوت الشاعر صريحاً، معبراً عن أغراضه ومنها التمسك بالحزن المقيم، ثم التعلل بإمكان أخذ الثأر مع إمام منتظر وإن لم يظهر صراحة في النص، ثم الولوج إلى ما اعتادت عليه القصيدة الحسينية من ختام بطلب المغفرة بعد الاعتراف بالذنب، وبالشفاعة بالنبي وآله صلى الله عليه وآله فيتجه الخطاب إليهم مباشرة وبه تنتهي القصيدة.

المظاهر الفنية في القصيدة:

إن فحص النص من جهة مكوناته الفنية يظهر انحساراً كبيراً لحجم تلك المكونات واقتصارها على ما هو متداول معروف. فمن ناحية البناء تستجيب القصيدة إلى طبيعة البناء التقليدي للقصيدة العربية، وما امتازت به القصيدة الحسينية فضلاً عنها، فالوقفة

الطللية تسجل حضورها برغم اقتصارها على المطلع، وتوظيفها جزئياً من أجل الدخول في الغرض ولا يأخذ المديح من القصيدة إلا جزءاً يسيراً إذ كان الشعر يغذّ السير باتجاه غايته الأولى وهي تسجيل وقع المصيبة، ومحاولة رسم صورة مؤثرة لها وهو ما أخذ القسم الأكبر.

لعل أبرز سمة في القصيدة اتخاذها الطابع السردي الذي وُظّف توظيفاً ناجحاً في إنشاء حركة الشخصيات التي جسدت المصيبة، ولاسيما أن الشاعر قد اختار لذلك رمز العاطفة الإنسانية المشبوبة وهو العنصر النسائي فكانت الأبيات (١٩-٢٨) هي التي رسمت هذه الصورة وقد حققت فيها نجاحاً باهراً في قوة التأثير العاطفي العنيف، وهو ما جعلها تتردد على ألسنة القراء ليتفاعل معها المتلقون بانفعال مماثل، وقد عبر الخيال عن قدرته في الابتكار والخلق في إجراء هذه الحركة اللافتة التي تعد عماد القصيدة وموضع الإبداع فيها.

وعلى مستوى الصنعة الفنية نجد الاستعمالات البلاغية تقتصر على بعض الجناسات الواضحة المنتشرة على مدى القصيدة ومنها:

(نزال - تتزل)، (يحل - يحول)، (تلحو اللواحي)، (أحالوا - تمحلوا)، (غزلان - غزّل)، (تنحو - نحوه)، (وحيداً - واحد العصر)، (مشكل - مشكل)، (حريق - رحيق)، (يذيل - يذبل)، (المحصنات - حصانه)، (تفاصيل - مفصل)، (الليل - اليل)، (جدها - تجد)، (يحمي - حمياً)، (المضل - معضل)، (كميتاً - كالكميت)، (أخطل - أخطل)، (لاح - ناح)...

ولعل كثرة الجناس بأنواعه المختلفة تأتي من سهولة انسياب الألفاظ وتداعيها في ذهن الشاعر وإمكان التحكم فيها بحسب الرغبة والإمكان، وذلك أمر يسير على الشعراء من ذوي الصنعة، فليس الأمر مناط مهارة وإبداع إنما هي مهارة الصنعة حسب.

أما الطباق فقد قل عن الجناس كثيراً ويمكن أن نذكر منه:

(ابتدي - اتتصل)، (تحفى - تنعل)، كما أن بيتاً كاملاً قد احتوى الطباق بين شطريه وهو قوله:

بها ليل أمثال البدور زواهر
وليل الوغى مستحلك اللون أليل

هذا فضلاً عن بعض التقنيات الجزئية الأخرى التي لا يسع المقام فحصها.

لقد استعمل الشاعر بعض التوريات على عادة شعراء العصر في حب الإثارة وجذب انتباه الأذهان إلى حسن الختام فذكر في الأبيات الثلاثة الأخيرة أسماء بعض كبار الشعراء وهم: بشر وجرول (أي الخطيئة)، والكميت، والأخطل، وليست التورية في الفن البلاغي بشيء إذ هي لا تعدو أن تكون مداعبة فكرية سرعان ما تتكشف أمرها فهي لا تضيف إلى دلالة النص شيئاً ذا بال، كما لا تعطي فنيته أثراً مهماً، وإنما الأمر والتعويل على حسن التشبيه، وبراعة الاستعارة، ولطف الكناية، وهي أمور لا يحسن الإتيان بها إلا الشعراء من ذوي المواهب الفذة والقدرات الخارقة، وأولئك نزر يسير في تاريخ الأدب والفنون ■

المنبر الحسيني

أدوار متعددة وأهداف عظيمة

• حيدر نزار السيد سلمان
كاتب وصحفي

ينابيع شكل المنبر الحسيني والخطابة الحسينية الوسيلة الإعلامية الأكثر تأثيراً في نشر مظلومية أهل بيت النبوة عليهم أفضل الصلاة والسلام وفضح الطغاة الموتورين من أعداء الرسالة المحمدية الأصيلة سواء الممثلين بني أمية أو غيرهم ممن شاركوا في سفك وإهراق دماء أهل البيت عليهم السلام ومن معهم من المؤمنين وكذلك المنظرين الداعمين لارتكاب أكبر جريمة وأبشعها في تاريخ البشرية.

ابتدأ المنبر الحسيني بالسرد التاريخي لملحمة الطف في كربلاء حيث غطى تفاصيل الحدث الأعظم مقدماً صورة واقعية تستلهم المبادئ والقيم السامية لمصيبة أهل البيت عليهم السلام من سمو ذات وقوة مبدأ وشجاعة وفداء وطرح فكري مزج بين تدفق الدم الحسيني الطاهر والفكر الخلاق النابع من حقيقة الإسلام وأصالته ثم تطور الخطاب بتدرج تاريخي متواصل ومنطقي متلائماً مع روح العصر الذي عاشه الخطيب الحسيني وأتباع أهل البيت عليهم السلام إذ لم يعد ما حدث في كربلاء إلا المنطلق والأساس لسرد حوادث الظلم والاضطهاد الذي تعرض له الشيعة على يد

الحكام المتعاقبين في أكثر من مكان وفي كل زمان معبراً عن الصمود والقدرة على الحفاظ على العقيدة المحمدية الأصيلة وحب الأئمة الأطهار عليهم السلام وقوة الروح الشيعية المتوهجة تألقاً وليس هذا فحسب بل شمل الخطاب الحسيني نشر مكارم الأخلاق والفضائل والمثل العليا المستمدة أصلاً من أخلاق أهل البيت عليهم السلام ومدرسة النبوة الخالدة في الوقت الذي سعى بكل قوة إلى طرح التشيع إلى كل العالم بأديانه ومذاهبه وأعراقه بما يتصف به من انسجام مع العصر وتوافقه مع العقل وتسامحه واعتداله ودعوته للسلام وتمجيده قيم الفروسية والنبل والإيثار والفداء والتوق إلى الحرية وكل ذلك قد تجسد واقعاً في أرض كربلاء يوم العاشر من محرم.

بالإضافة إلى هذا فقد أصبح المنبر الحسيني وسيلة شائعة للنقد والمحاسبة سواء للحكام أو الأفراد وهذا يأتي تصريحاً أو تلميحاً ويبدو أن زيادة الجور والظلم المسلط على أتباع أهل البيت عليهم السلام قد جعل رسالة الخطيب أكثر حيوية وصعوبة في نفس الوقت والحقيقة إن الكثير من الخطباء يلجؤون إلى التلميح والنقد الخفي في مثل هذه الحالات في محاولة للتخفيف عن مدى العسف والبطش تأسياً بأبي الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.

مرّ المنبر الحسيني بأدوار متعددة متخذاً لنفسه أساليب متنوعة لتحقيق التواصل وربط الناس بواقعة كربلاء فهو منذ بدايته برعاية خاصة من الأئمة الأطهار عليهم السلام جاء لإحياء الذكرى العظيمة والتذكير بأبطال كربلاء والدعوة الإصلاحية التي تصدى لها أبو عبد الله عليه السلام يوم قدم نفسه الزكية قرباناً لنصرة دين جده والحفاظ على أصالته بعيداً عن شوائب الداخلين إلى الإسلام طمعاً وخوفاً وحقداً وتملقاً ونفاقاً، فالخطيب الحسيني وقف منذ

البداية ليفرق بين ما جاء به محمدﷺ من رسالة وما أراده المنافقون.

وبعد هذه المرحلة التي رعاها الأئمة الأطهار عليهم السلام أخذ المنبر وشعائره ينتشر بين محبي أهل البيت عليهم السلام حيث يقيمونه إحياء لهذه الشعيرة حتى وصل في هذا الزمان إلى أبعد نقطة في العالم فذكرى الحسين عليه السلام يوم عاشوراء تحيا وتخلد في كل الكون وحسب ما يشير أمير المنبر الحسيني الشيخ الدكتور أحمد الوائلي فإن هذا يعد وسيلة حضارية أكثر تأثيراً بالجمهور وتواصلاً معه ففي المجلس الحسيني وتأسياً مع مصيبة أبي عبد الله الحسين عليه السلام يتجالس الفقير والغني، العامل البسيط والجندي والضابط والمهندس والمحامي والطبيب والمعلم وعالم الدين وغيرهم.

ومثلما شهد المنبر الحسيني تطورات مستمرة فقد شهد ظهور عدد من الخطباء المهمين الذين امتلكوا قدرة التأثير القوي بالحضور ولعل الخطيب الكبير السيد صالح الحلي يعطي دليلاً على هذا التأثير فقد كان الحلي الذي عاش وبرع في العقد الأول من القرن العشرين من أكثر الخطباء حضوراً من قبل الجمهور وتأثيراً فيهم لما امتلكه من بلاغة ودليل وحجة وقوة شخصية ويمكن الاطلاع على ما كتبه المؤرخ النجفي الأستاذ جعفر الخليلي في الجزء الأول من كتابه الموسوعي (هكذا عرفتهم) فهو يشير إلى ما أحدثه السيد صالح الحلي من تأثير.

وقد حاول عدد من المصلحين في مدرسة النجف الدينية تحقيق نوع من الإصلاح والتطوير للمنبر والخطابة الحسينية بما يزيل ما لحقه من شوائب وزيادات ودخول أشخاص طارئين إلى ميدان الخطابة وقد بدأ المشروع الذي أخذته جمعية منتدى النشر على عاتقها بإنشاء معهد خاص لتخريج الخطباء الحسينيين الذين يحملون إضافة إلى الدراسة الحوزوية ثقافة تاريخية وعصرية تساعدهم في نقل واقعة كربلاء والتخاطب مع الجمهور لكن هذا المشروع الذي واجه الكثير من المصاعب قد تجسد بشكل أفضل وأكثر حداثة عند تأسيس كلية الفقه عام (١٩٥٧م) من قبل نفس الجمعية ومن رئيسها الشيخ الجليل محمد رضا المظفر حيث شكلت كلية الفقه منجماً لتخريج خطباء متنورين لم تكن مهمة دورهم الخطابي والإرشادي تنحصر على العراق فقط بل امتدت لتشمل كل العالم الإسلامي، وبالفعل فقد استطاع هؤلاء من تكوين جيل من الخطباء الذين أحدثوا تقدماً وتطوراً في الخطابة الحسينية سار على نهجهم فيما بعد أغلب الخطباء الذين مازالوا يقومون بواجب نشر مصيبة أهل البيت عليهم السلام وأخلاقهم وفضائلهم ويعيدون إحياء الشعائر الحسينية.

واجه الخطباء خلال حكم البعث ابتداءً من عام (١٩٦٨م) حملة واسعة ونشطة وشرسة لإيقافهم وصدهم ومارس البعثيون أقصى أساليب القمع لمنع إقامة المجالس الحسينية وإحياء ذكرى الإمام الحسين عليه السلام وفي مرات أخرى حاولوا إيجاد تأثير ودور لهم في الخطابة الحسينية إلا أن كل محاولاتهم وأساليبهم لم تحقق النجاح فقد

أراد الله أن يبقي ذكرى الحسين عليه السلام خالدة بل كان شديد الانتقام ممن حارب شعائره ووقف ضدها والحقيقة فقد شهدت هذه الفترة التاريخية أشد الفترات حرجاً وضيقاً على شيعة أهل البيت عليهم السلام من جهة وعلى المنبر الحسيني من جهة أخرى ومثلما حدث في أكثر أيام العثمانيين عندما منعوا أقامة الشعائر الحسينية حيث اضطر المحبون إلى إقامتها سراً فقد اضطر الناس في زمن البعث إلى إحياء شعائر عاشوراء سراً في الغرف الداخلية وفي السراديب أو في الأزقة والدروب الضيقة على الرغم من كل الممانعات والمطاردات والقمع والقتل والإعدام وبالفعل فقد ذهب نتيجة لهذا الإصرار على إقامة الشعائر الكثير من قوافل الشهداء سواء من أصحاب المجالس الحسينية أو من الحضور أو من الخطباء الحسينيين والشعراء ولعل زرقات الأبر التي كان تحقن لعدد من الخطباء وتحيلهم إلى شهداء دليل على ذلك ومما يمكن ذكره في هذا المجال ما حصل للشاعر الحسيني الشاب علي الرماحي الذي كتب قصائد حب للحسين وأهله عليهم السلام بدمه فهو قد خاطب إمامه متوسلاً إليه أن يلحقه في قافلته وقدم أروع الشعر الحسيني الذي مازال يردده شيعة أهل البيت عليهم السلام نظراً لروعته وقوته ومداليله وعمقه وما يتصف به من موسيقى شعرية استطاعت أن تخترق القلوب والأرواح المحبة للحسين عليه السلام وتزيدها تحدياً وصبراً وتمسكاً بالأخلاق والمثل العليا.

على الرغم من التحديات الصعبة التي واجهتها الخطابة الحسينية في زمن البعثيين إلا أنها لم تتوقف واستمرت في إيقاد جذوة الحب والروح الحسينية ولم يستطع الجلادون ومن عاونهم من كسر منبر الحسين الشهيد عليه السلام لكن الله الذي أبى إلا أن يستمر نور الحسين عليه السلام متقداً لا ينطفئ قد قصم ظهورهم ■

من أدب السبي

واقعة الطف أنموذجاً

• د. حافظ المنصوري
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع لعلي لا أكون مبالغاً إذا قلت إن أحداً من الدارسين - على حد علمي - لم يتطرق إلى دراسة هذا اللون من الشعر، على الرغم من وجود نماذج تؤكد هذا النموذج الأدبي، بل إن هناك أحداثاً تاريخية قد أثرت بمعطياتها مفردات هذا اللون الأدبي. ولا أريد هنا في هذا المقال المقتضب أن استعرض حوادث التاريخ وأفتش في بطون الكتب عما قاله الشعراء بخصوص حوادث السبي والسبايا، ولكني أريد أن أقصر كلامي على ما قيل في وصف سبايا حادثة الطف في كربلاء وأخذهم عائلة الحسين عليه السلام بطل معركة الطف أسارى بعد قتله من لدن طائفة ضالة لم ترع حقاً له ولا حرمة مع علمها أنه ابن بنت النبي المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأنه لا يوجد على وجه الأرض ابن بنت نبي غيره.

ولم يقف هذا التهور والظلم عند قتل الحسين عليه السلام بل تخطاه إلى أفراد عائلته، أبنائه وبناته وزوجاته وغيرهم الذين رافقوه في تلك المعركة، وكان بمقدوره عليه السلام أن يتركهم في مدينتهم مدينة جدهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأن ينجيهم

من عنف آل أمية، ولكنه كان يعلم أن الله شاء أن يراهم سبايا، وهي حكمة إلهية ربما كان الهدف منها هو التدليل على تعنت آل أمية ووقوفهم ضد الإسلام ومحاولتهم محو هذا الدين القويم، وذلك لأنهم لم يكتفوا بقتل الحسين عليه السلام الثائر ضد فسادهم بل طالت أياديهم من رافق الحسين عليه السلام وعياله من نساء وأطفال وغيرهم.

وفي هذا الأمر برهان على فقدان آل أمية للجانب الإنساني كذلك... وفيه كذلك إقامة البرهان والدليل على قدرة العقيلة زينب عليها السلام على إدارة الموقف وقدرتها إلى الرد على يزيد وفضحه من خلال خطبتها المشهورة التي جادت بها في مجلس يزيد وكذا الحال في برهنة الإمام زين العابدين عليه السلام على عصمته وإمامته من خلال ما أورده من أدلة وبراهين في خطبته التي رد بها على يزيد وأتباعه.

لقد قصر الشعراء في الحديث عن هذه الظاهرة اللافتة للنظر، إذ أخذت النساء والأطفال سبايا من كربلاء إلى الكوفة ومن ثم إلى دمشق ليمثلوا أمام طاغية عصرهم (يزيد) أخذوا في منظر كئيب يثير الحزن والبكاء من جراء المعاملة اللاإنسانية التي كانت تلقاها بنات الرسالة، فضلاً عن طول الطريق ووعورته، أقول لقد قصر الشعراء في وصف هذا المشهد الرهيب المثير للشجن والحزن، ولم يستطيعوا في شعرهم أن يصلوا إلى مستوى الحدث وما يستحق من اهتمام ولهم عذرهم فربما كان السبب هو خوفهم من سطوة النظام الجائر آنذاك كما هو الحال في عصور الظلم كلها تلك التي تكتم الأفواه بل تقطع الألسن حين ينبري أحد للتعبير عن موقف ظلم يراه.

ومهما يكن فإن بعض الشعراء قد وصفوا حادث السبي في أوقات وسنوات لاحقة معتمدين على ما ذكرته كتب التاريخ والأخبار التي أسهبت في الكلام عن حادثة الطف وما جرى على العترة النبوية المسبية. ومن هؤلاء الشعراء (أبو الفتح كشاجم) (ت ٣٦٠هـ) الذي ذكر سبايا رسول اللهﷺ في حادثة الطف في قصيدة رثى بها آل الرسولﷺ يقول:

وسيق نسوانه طلاح وأحـ
ـسن أن تهادى بهم طلائحه[1]
وهن يمنعن بالوعيد من النـ
ـوح والملأ الأعلى نوائحه

وهو يوضح حالة النسوان التي كانت عليها من الإعياء والتعب والجهد حيث سارت بهن الركائب من الطف إلى الكوفة ثم إلى الشام فضلاً عن سوء المعاملة التي كن يلقينها من حادي الركب إذ كان يمنعهن من النوح والبكاء على الفقيد العظيم الذي خلفن جسده في كربلاء تتناوشه العسلان في الوقت الذي كانت ملائكة السماء تبكي لمصرعه، وهذه ظلامة. وللجوهري الجرجاني (ت ٣٨٠هـ) قصيدة في رثاء الحسينعليه السلام تطرق فيها إلى ذكر السبايا فيقول:

وأوقروا صهوات الخيل من إحَن
على أساراهم فعل الفراعين
مصعدين على أقتاب أرجلهم
محمولة بين مضروب ومطعون
أطفال فاطمة الزهراء قد فطموا
من الثدي بأنياب الثعابين

فهو يصف سوء المعاملة التي كان يلقاها الأسارى هذه المعاملة التي أوجلت صهوات الخيل من كثرة الإحَن وهم في فعلهم هذا يشبهون آل فرعون فالأسارى بين مضروب ومطعون وعلى الرغم من هذه الحال لا يلقون إلا سوء المعاملة إذ فطموا الأطفال من أثداء أمهاتهم.

ولابن حماد العبدي البصري (المتوفى أواخر القرن الرابع الهجري) قصيدة يرثي بها الإمام الحسينعليه السلام السبط الشهيد ويذكر فيها الأسارى معدداً بعض الأسماء كزينب الكبرى وفاطمة الصغرى والإمام زين العابدين عليهم السلام يقول:

الله ما صنعت فينا يدِ البين
كم من حشا أقرحت منا ومن عين
وزينب في بنات الطهر لاطمة
والدمع في حدها قد خد خدين
تدعوه يا واحداً قد كنت آمله
حتى استبدت به دوني يد البين
انظر إليّ أخي قبل الفراق لقد
أذكى فراقك في قلبي فراقين
انظر إلى فاطم الصغرى أخي ترها
لليتم والسبي قد خصت بذلين
إذا دنت منك ظل الرجس يضربها
فتتقي الضرب منها بالذراعين
وتستغيث وتدعو: عمتا تلفت
روحي لرزأين في قلبي عظيمين
ضرب على الجسد البالي وفي كبدي
للثكل ضرب فما أقوى لضربين
انظر علياً أسيراً لا نظير له
قد قيدوه على رغم بقيدين
وارحمتا يا أخي من بعد فقدك بل
وارحمتا للأسيرين اليتيمين

وأروع ما في الأبيات أنها تتحدث عن (فاطمة الصغرى) ابنة الحسين الشهيد

التي نالها ذلان: ذل السبي وذل اليتم.

وهي في هذه الحالة المؤلمة ينالها الرجس بالسوط ضارباً وليس لها ما تتقي به الضرب إلا ذراعاها مستغيثة بعمتها زينب عليها السلام شاكية شدة مصيبتها وليس أهون من حالها حال أخيها السجاد عليه السلام الذي قيد بقيدين على الرغم من مرضه.

يذكرنا الشاعر ببأس هؤلاء الظالمين وظلمهم الذين لم يرعوا ذمة ولا دين، إذ يعاملون السجاد عليه السلام إمام الزمان بعد استشهاد أبيه عليه السلام هذه المعاملة القاسية.

وللعبدي البصري أيضاً قصيدة أخرى في رثاء الحسين عليه السلام يتطرق فيها لذكر السبايا ويصف حالهن ويرسم صورة ناطقة تنطق بالألم والحزن، مبتدئة منذ أقبل الجواد ينبئ بمقتل الإمام الحسين عليه السلام وهو مخزي والسرج عليه ملوي إلى أن حمل رأس الحسين عليه السلام على الرمح، وبين البداية والنهاية مفردات تطفح باللوعة والألم فهناك البكاء، وهتك الأقراط، وإبراز الشعور، والخروج من الخدور وشيوع الأصوات بين الأعداء، وترك الحجاب، وحاشا لبنات الرسالة أن يتركن الحجاب ويكشفن الصدور، إنها تخيلات شاعر أراد أن يضفي على الموقف قدراً من الجلال معذورا يقول:

آه إذ أقبل الجواد على النسـ
ـوان ينعاه بالصهيل عفيرا
فتبادرن بالعويل وهتكـ
ـن الأقراط بارزات الشعورا
وتبادرن مسرعات من الخدـ
ـور ومن قبل مسبلات الستورا
ولطمن الخدود من ألم الثكل
وغادرن بالنيـاح الخدورا
وبدا صوتهن بين عداهن
وعفن الحجاب والتخفيرا
ثم لما رأين رأس الحسين
فوق رمح حكى الهلال المنيرا
صحن بالذل أيها الناس لم نسـ
ـبَ ولم نأت في الأنام نكيرا

ولعل الشريف (ت ٤٠٦هـ) أكثر لوعة وحسرة لتلك السبايا حين يصورها وهن نسل النبي صلى الله عليه وآله على تلك المطايا وهي منقادة ـ أي السبايا ـ لآل أمية بعد أن كانت عزيزة صعبة القياد، يقول:

نسل النبي على صعاب مطيها
ودم النبي على رؤوس صعادها
والهفتاه لعصبة علوية
تبعت أمية بعد عز قيادها

وهو أكثر وضوحاً في رسم الصورة التي كانت عليها السبايا حين حُدي بها على نوق مهزولة، وهو يطلب من

حاديها أن يقف قليلاً ولو مدة ما يلاث الإزار أي دورانه مرتين، يقول:

قد قلت للركب الطلاح كأنهم
ربد النسور على ذرى أطوادها
يجدو بعوج كالحني إطاعة
معتاصها فطغى على منقادها
حتى تخيل من هباب رقابها
أعناقها في السير من أعدادها[٢]
قف بي ولو لوث الإزار فإنما
هي مهجة علق الجوى بفؤادها

ويطالعنا ـ رحمه الله ـ بصورة أخرى تقطر لوعة وحزناً لما فيها من مشاهد تحز الضمير وتدمي القلب، فهو بعد أن يصور حالة الحسين الشهيد عليه السلام ينقل لنا هذه الصور الناطقة لحالة السبايا يقول:

والسبايا على النجائب تستا
ق وقد نالت الجيوب الذيولُ
من قلوب يدمى بها ناظر الوجـ
ـد ومن أدمع مراها الهمول
قد سلبن القناع عن كل وجه
فيه للصون من قناع بديل
وتنقبن بالأنامل وللدمـ
ـع على كل ذي نقاب دليل
وتشاكين والشكاة بكاء
وتنادين والنداء عويل
لا يغب الحادي العنيف ولا يفـ
ـتر عن رنة العديل العديل

هي صورة تدمي القلب حين يرى الرائي بنات الرسالة ذوات الخدور وقد سلب القناع منهن فأخذن ينتقبن بالأنامل ولكن الأنامل لا تحجب تلك الدموع الهادرة على الخدود، ولم يكن الحادي ليرأف بهن بل كان عنيفاً في المسير.

هذه نماذج من أدب السبي شعراً، اجتهدت في استخراجها من بطون القصائد التي رثا فيها أصحابها شهيد كربلاء الحسين السبط عليه السلام وهي نماذج بمكن أن يقال عنها:

١ـ إنها لم تكن قصائد مستقلة تحدثت عن حادثة السبي بل جاءت هذه النماذج بين طيات القصائد التي رثي بها الحسين عليه السلام ولذا فإنها تنقصها الاستقلالية.

٢ـ إن هذه النماذج تغلب على أكثرها صفة التقريرية والمباشرة والواقعية ولذا فهي تكاد تخلو من الخيال الخصب الذي ينقل القارئ إلى عالم بعيد عن عالم الواقع إلا في قليل منها ولذا فهي غفل من الصورة الفنية الموجبة، وأصحابها مصورون فوتوغرافيون.

٣ـ ووجدتها أن لغتها لم ترق في الأغلب إلى اللغة الشعرية المشحونة بالإيحاء والطاقة الدلالية المعبرة عن الموقف الهائل فهي لغة أقرب إلى الواقعية منها إلى الإيحاء.

٤ـ التقط شعراؤها نماذجهم بلغة واقعية أمينة تغلب عليها الرتابة ولم يكن لديهم ألوان خلابة ليرتشوا بها صورهم إلا في نماذج قليلة.

أتمنى أن يسعدني الحظ في العثور على نماذج شعرية أخرى ليكون لي فيها رأي ثان ■

---

(١) طلاح: مفردها (طلح) وهو الهزيل والمعيا من السفر.
(٢) الهباب: السرعة.
(٣) الأعداد: جمع (عد)، الماء الجاري.

قصيدة:

أبا التضحيات

• السيد سلمان هادي آل طعمة

تجدّد ذكراك الورى وتعيدُ ... ومجدك إذ يبلى الزمان جديدُ
ألمَّ بي الخطب الدفين وهاجني ... وأوجع قلبي في رثاك نشيدُ
ويومك يا سبط النبي مخلّدٌ ... متى قيل نثر أو أجد قصيدُ
وأصحابك الصرعى على الأرض جثم ... وكم فاض منهم بالدماء وريدُ
فتباً لأعداء الحسين أما دروا؟ ... يخوضون نيراناً لهن وقودُ
وتباً لهم إذ أنكروا دين أحمد ... وبان لهم بعد الرشاد جحودُ
وسلوا لهم بيض الصفاح وجرّدوا ... حساماً له هام الرجال عمودُ
مصاب، وما أدهاه تبكي له السما ... وحنّت له بالمعصرات رعودُ
فيا لهف نفسي للحسين وأهله ... بهم حكم الوغد الذميم يزيدُ
أبا التضحيات الغر، يا فخر هاشم ... أبى أن يعيش الذل وهو سعيدُ
فثار بوجه الظلم يحدوه بأسه ... بعزم كمتن السيف راح يذودُ
وأشهر بيض المشرفيات والقنا ... بوجه العدا، والزاكيات شهودُ
وهز بوجه الشرك راية أحمد ... ترفّ بدين المصطفى وتشيدُ
إلى أن هوى كالليث وهو مخضب ... ومن حوله جيش الطغات حسودُ
أأنسى حسيناً والمنايا تحفه ... وللدين يهدي نفسه ويجودُ؟
أأنسى أبي الضيم ملقى على الثرى ... قَضى وهو وضاء الجبين مجيدُ؟
وما العمر إلا أن تعيش مخلداً ... ومجد بأعقاب الممات تليدُ

مع أنطوان بارا

في كتابه (الحسين في الفكر المسيحي)

«عرض وتوجيه»

• حسين جهاد الحساني
مركز الأمير لإحياء التراث الإسلامي
في مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة

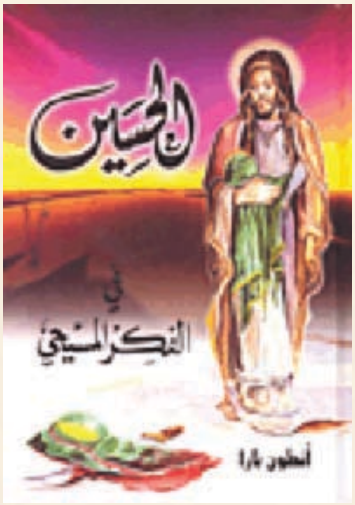

ينابيع في مثل هذا الوقت من العام الماضي، وبالضبط عند شهر محرم الحرام لسنة (١٤٢٧هـ) استوقفني الأخ العزيز حيدر الجد مدير تحرير مجلة (ينابيع) في كتابة موضوع أو مقالة عن سيد الشهداء أبي الأحرار الحسين بن علي عليهما السلام، ففكرت في حينها أن أظهر ما بجعبتي وأن أجمع ما يدور في خاطري لمجموعة من الأفكار كان جلها يتمحور حول الاستشراق والمستشرقين ونظرياتهم في ثورة الحسين عليه السلام وملحمته الطفية... لذا فقد استجمعت ما استجمعته

من تلك الأفكار للخروج بموضوع صغير حجمه ثر بمعانية ألا وهو (نهضة الحسين عند المستشرقين).

وفي هذه السنة (١٤٢٨هـ) وقبل هذا الشهر بقليل أعاد عليّ الأستاذ حيدر استذكاره السنوي لرفد المجلة بموضوع آخر مماثل له ليستوحي من أفكارهم ونظرياتهم ما يمكننا الوقوف على أثر هذه النهضة في نفوسهم وانعكاسها على معتقداتهم وآرائهم، وبينما نحن نتداول الأمر إذ وجهت الأنظار والأذهان نحو ما اعتقده إنسان غير مسلم وصرح به وكتبه بيراع صادق مؤمن بالحقائق التي توصل إليها بقلبه وضميره، ذلك هو الكاتب (أنطوان بارا) في مؤلفه (الحسين في الفكر المسيحي)، فشدني إليه واستهواني نحوه لكي أعيش مع المؤلف والكتاب وفقراته التي ترى الإمام الحسين عليه السلام فوق الاعتبارات الضيقة وفوق نطاق الجغرافية... تراه حاضراً في الضمير الإنسان الحي والوجدان المتيقظ... لذا فقد كان لزاماً علينا أن نعرف بالكاتب ونتعرض للكتاب وأهم المعطيات الرئيسية التي رافقت الكتاب.

من هو المؤلف:

هو الكاتب السوري المسيحي أنطون [أنطوان] بارا، من مواليد سوريا عام (١٩٤٣م)، درس في بداية حياته في مدرسة الأسقفية في بيروت، حتى أكمل دراسته البكالوريوس باختصاص المنهاج العربي والفرنسي.

بعد حصوله على شهادة البكالوريوس بدأ العمل بمشواره الأدبي والصحفي إذ أعد الكثير من الدراسات في الأدب والتاريخ، ونشر العديد من المقالات في أغلب الصحف العربية.

إثر هذه المقالات والموضوعات المنشورة في تلك الصحف، عمل محرراً في جريدة (القبس) الكويتية وذلك عام (١٩٦٦م) وبشكل متواصل، وتدرج في مسؤولياته الصحفية فأصبح بعدها مديراً لجريدة (شبكة الحوادث) النصف شهرية.

توجه في بعض سنواته نحو الإذاعة، إذ أعد الكثير من البرامج الإذاعية لإذاعات الدول العربية...

حصل على عضوية الإتحاد العالمي لكتاب الخيال العلمي، وصار عضواً في اتحاد الكتاب العرب... له مؤلفات عدة، طبعت جلها وهي: (عشرة أيام ساخنة)، (الأسياد)، (الأحلام تموت أولاً)، (دخان فوق دسمان) وهي رواية من أدب الاحتلال العراقي للكويت عام (١٩٩٠م)، (الحسين في الفكر المسيحي)، ويستعد حالياً لتكملة كتاب الجديد (زينب... صخرة أكملت مسيرة)،...

أما في حياته العائلية، فهو متزوج وله أربعة أبناء، ثلاثة منهم أولاد والأخرى بنت...

يعتبر نفسه شيعياً وإن كان مسيحياً، وله مقولته المشهورة والتي كتبت وعلقت على اللافتات وهي: (الإسلام بدؤه محمدي واستمراره حسيني)...

مع منهج أهل البيت[٤] وتوجيهاتهم:

يعود اهتمام المؤلف بالدين الإسلامي

إلى مراحل الدراسة الابتدائية، إذ طلب منه الحضور لدرس (الدين الإسلامي)، وبعد موافقة مدرسته على الحضور ومن خلال هذا التواجد في الدرس طلب منه بعض المفتشين التربويين قراءة الحمد والكرسي، ومن هذا الموقف بدأ يتشرب بمبادئ الدين الإسلامي وولع به، وعند كبره عشق أهل البيت عليهم السلام بملحمة الحسين عليه السلام بعد القراءة المستفيضة عنها.

وقد تأثر تأثراً جلياً بالرائعة الفكرية والتي جاد بها الزمان ولم ير مثلها ألا وهي رائعة (نهج البلاغة)، ففيها ـ وكما يشير إلى ذلك في أحد لقاءاته ـ كل شيء من فكر آل البيت عليهم السلام منهجاً وفكراً وعلماً، فضلاً عن ملحمة الحسين عليه السلام والتي كان لها الأثر الواضح في التعريف بمنهجهم وتوجيهاتهم بالنسبة له... لذا فإن أهل البيت عليهم السلام يمثلون له القدوة والتضحية الرفيعة والأخلاقيات الدينية الأساسية...

المؤلف.. مع الحسين[٤]:

لا ريب ـ وكما أسلفنا ـ أن ملحمة الإمام الحسين عليه السلام كانت المؤثر الوحيد في حياة المؤلف فقد أولى لها اهتماماً بالغاً لما أعطته من مؤثرات ومحفزات بطبيعة هذا الدين.

لذا فقد كانت كلماته المشهورة (لو كان الحسين عليه السلام منا لنشرنا له في كل أرض راية ولأقمنا له في كل أرض منبراً ولدعونا الناس إلى المسيحية باسم الحسين) متأثراً بمقولة قسيس عاصر وقت استشهاد الإمام الحسين عليه السلام لهذا فقد عد الحسين عليه السلام رمزاً مقدساً وعظيماً، إذ أنه تأثر بأقوال الإمام الحسين عليه السلام وخاصة يوم المنازلة الكبرى وبالخصوص صرخته يوم عاشوراء (أما من مغيث يغيثنا، أما من ناصر ينصرنا) حيث إن هذه الكلمات تمثل له حجم الجحود البشري للمبعوثين من الله، وتصور انسياق الناس وراء مصالحهم الشخصية وإهمالهم للمبادئ والقيم التي جاءت بها الأديان.

وبعد الدراسة المعمقة لشخصية الإمام الحسين عليه السلام توصل إلى تعريف خاص له وهو (ضمير الأديان) ولولاه لاندرست كل الأديان السماوية، فالإسلام بدؤه محمدي واستمراره حسيني، وزينب هي صرخة أكملت مسيرة الجهاد والمحافظة على الدين.

لهذا فقد أراد الله أن يحفظ هذا الدين الوليد فأرسل الحسين عليه السلام إلى جده صلى الله عليه وآله بقماشة شهيد دون الأنبياء، فكان المنعطف كربلاء فلو لم يقم الحسين عليه السلام بثورته لما تبقى شيء من التوحيد أساساً، ولأصبح الدين الإسلامي الجديد مرتبطاً بممارسات السلاطين الذين على المجتمع القبول بهم والرضوخ لجورهم واضطهادهم مهما حدث باعتبارهم (ولاة

الأمر).

وقد اعتقد المؤلف بأن الحسين عليه السلام كان مسيّراً في هذا الاتجاه لأن له وظيفة إلهية محددة، كما كان للأنبياء ذلك.. فمن هذه الرؤية وغيرها كانت علاقته بالحسين عليه السلام وبمبادئ ثورته، ومعطيات الدين الإسلامي الحنيف...

قصته مع تأليف الكتاب:

لم يكن يعرف شيئاً عن الحسين عليه السلام ولم يكن يتصور أنه يتعرض في يوم من الأيام لشخصية كشخصية الإمام الحسين عليه السلام، مع كثرة مطالعاته العامة لهذه الشخصية ودراسته للدين الإسلامي خلال سنواته الدراسية، بيد أن القدر لعب لعبته مستغلاً فيه نقطة بيضاء مسكونة في غرفة من غرف ذلك الضمير الحي الذي كان يحمله منذ الولادة، فنشطت تلك النقطة وتبلورت حينما التقى المرجع الديني السيد محمد مهدي الشيرازي قبل أكثر من خمسة وثلاثين عاماً في (بنيد القار) في الكويت، إذ أهداه السيد بعض الكتب الخاصة عن شخصية الحسين عليه السلام ونهضته الثورية مما أثار اهتمامه وانجذبت نفسه لتلك الملحمة، ووجد فيها ملحمة فريدة من نوعها، وبدأ يفكر بصوت خفي كيف أنها لم تجد أو تلاقي اهتماماً على مستوى المفكرين المسلمين.

فالمسلم غير الشيعي قد يرى أنها مجرد حادثة تاريخية لاعتبارات لا ترتبط بالقضية التي يحملها أو الوجهة العامة للمجتمع الذي يعيش فيه، أما المسلم الشيعي فلعله ينظر إليها بنظرة تغلب عليها العاطفة فاتجه إلى ما كتبه المستشرقون فلم يجد كتاباً احتوى رؤياه الخاصة لهذه الملحمة، وما وجده يدخل في فلك النظرة المادية التي أغفلت جوانب الثورة الروحية والاجتماعية... وبالفعل بدأ في وضع اللبنات الأولى لبحثه خائفاً متردداً في أن يقع في مزلق من مزالق الذين سبقوه، إلا أن السيد الشيرازي شجعه على ذلك وحثه على الدخول في هذا المشروع الوحدوي قائلاً له: (لا... سيكون الله معك ببركة الحسين عليه السلام).

ومن تلك الكلمات ازداد حرصه على إكمال مشروعه هذا وأصبح يقرأ الكتاب تلو الكتاب عن قضية أبي الشهداء عليه السلام، حتى أصبحت الرؤى واضحة لديه فانغمس في تأليف الكتاب وغاص في أعماق الأفكار وحاول الإحاطة بمختلف جزئياته آتياً على كثير من الشرح والتوضيح والتحليل لمختلف الأبعاد والزوايا...

وما أن فرغ منه حتى أرسله إلى المرجع الشيرازي، فقرأه وأعجب به فقال له: (اطبعه فوراً)، فكتب له السيد الشيرازي مقدمة الكتاب، وتكفل بطبعه المرحوم (باقر خريبط) رئيس تحرير مجلة (صوت الخليج)، فخرج إلى النور بطبعته الأولى، فابتدأه السيد الشيرازي بشراء عشرين نسخة منه تشجيعاً له ولعمله الجاد هذا.

وبفضل الله وبركة الحسين عليه السلام طبع الكتاب عشرين طبعة لحد الآن تتراءى للمؤلف رؤىً جديدة في كل طبعة له...

الحسين في الفكر المسيحي:

بعد هذه المقدمة عن المؤلِف والمؤلَف، نضع النقاط على الحروف في بقعة لا

يحدها مكان وبرهة لا يدانيها زمان تلك البقعة التي دارت فيها المعركة إذ أنها أعظم وأفضل مما يتصوره البعض من أنها حادثة تاريخية تنطوي في صفحات التاريخ شأنها شأن الوقائع الأخرى... إنها كربلاء... والحسين عليه السلام... من هذه الواقعة استوحى (أنطوان) كتابه هذا فأخذ ينسج في ظلمات هذا التاريخ الظلوم ليقدم الدليل تلو الدليل وفي رغبة جامحة لديه ليثبت ما أهملته اليد المسلمة من حقيقة وليقول للعالم إنني مسلم مسيحي شيعي... وإليك عزيزي القارئ عرض لأهم فصول كتابه عسانا نوفق في إيصال ما أراده للمطالع الفطن...

مقدمة... الثورة:

ابتدأها... بثورة فجرها الحسين عليه السلام في أعماق الصدور المؤمنة والضمائر الحرة... حكاية الحرية الموؤودة بسكين الظلم في كل زمان ومكان وجد بها حاكم ظالم غشوم، لا يقيم وزناً لحرية إنسان... من هذا المنطلق جعل هذه الثورة قضية للأحرار تحت أي لواء انضووا، وخلف أية عقيدة كانت... فجعل من هذه الكلمة عنواناً لكل طبعاته التالية، إذ عد هذه الثورة هي خلاصات ونتائج أفكار وأفعال وتحركات رافع لوائها ومفجرها الحسين عليه السلام...

ثورة... وملحمة:

في فصله الأول كما نسميه نحن، أعطى لهذه الثورة صفحة أعلى حيث سماها بـ(الملحمة) إذ يقول:لم تحظ ملحمة إنسانية في التاريخين، القديم والحديث، بمثل ما حظيت ملحمة الاستشهاد في كربلاء، من إعجاب ودرس وتعاطف، فقد كانت حركة على مستوى الحدث الوجداني الأكبر لأمة الإسلام...

فأصبحت من خلال هذه الملحمة هزة وأية هزة زلزلت أركان الأمة من أقصاها إلى أدناها... وقد أشار إلى معنى الثورة والملحمة معاً، إذ أنها تشترك مع لفظة الثورة من حيث اللفظة وتختلف معها من حيث أن تقاس بها، ولعل اللفظ يحدد بحدود إلا أن ثورة الحسين عليه السلام لا يحدها لفظ معين، وذلك بقوله: كانت ثورة بمعناه اللفظي، ولم تكن كذلك بمبناها القياسي، إذ كانت أكبر من أن تستوعب في معنى لفظي ذي أبعاد محدودة، وأعظم من أن تقاس بمقياس بشري...

وجعل المؤلف هذه الثورة... الملحمة هي الأولى في التاريخ الإسلامي وتاريخ الأديان، لهذا كانت وستبقى خالدة أبد الدهور وتبقى رائدة لأنها مهدت لروح ثورية جياشة تكون بحد ذاتها ممهداً لكل ثورة تقوم على أساس هذه الملحمة إذ يقول: (أولى) لأنها في إطارها الديني هي أول ثورة سجلت في تاريخ الإسلام، وفي تاريخ الأديان السماوية الأخرى، على مستوى المبادئ والقيم العقائدية.

وكانت هذه الملحمة (وحيدة) لأنها استحوذت على ضمائر المسلمين فيما خلفته من آثار عقائدية ضخمة، وأنها صحوة للضمائر الخاوية وهزة انتحارية لها وقعها على نفوس الأجيال...

وكانت (خالدة) لأنها إنسانية أولاً وآخراً انبثقت عن الإنسان وعادت إليه،

وهي خالدة لأنها أخلاقية، سنت دستوراً جديداً أضاء للأمة الإسلامية درب نضالها على مختلف الأصعدة...

فداء الحسين في الفكر المسيحي:

ابتدأ العنوان بتساؤلات في تحديد ماهية ثورة الحسين عليه السلام من حيث أنها محصورة لعقيدة معينة أو لجهة معينة ما... إذ يقول: وبمعنى أدق هل نرضى بحصر استشهاد الحسين عليه السلام بأرض كربلاء إذا ما رغبنا بوضعها في مكانها حيث جرت أحداثها... وكذلك نخص بها أمة الإسلام... لهذه التساؤلات وغيرها حصرها المؤلف في استلزام هذه الماهية إذ حددها باسمها وهي: هل هي ثورة أرض؟ أم هي انتفاضة على الحكم؟ أم حركة تقويمية دينية... أم خطأ في الحركة والتوقيت... أم قضية خذلان بعد وثوق؟

بدأ عرضه لهذه الآراء والرد عليها، وتوصل إلى أن هذه الثورة هي بماهيتها ذات استمرارية خالدة، فكل مكان يقف عليه ثائر هنا وهناك، هو كربلاء، وكل طعنة سيف في عاشوراء، هي طعنة لمفاسد الحكم في أي وقت... وكل نقطة دم أريقت فداء للحق، استمرت تعلن فداءها في رغبة الإنسان الغامرة في الاستشهاد في سبيل مبادئه... ويقول:

مادامت قد تحددت ماهية ثورة الحسين عليه السلام بهذه الأطر... أفلا يجدر اعتبار الحسين، شهيداً للإسلام والمسيحية واليهودية، ولكل الأديان والعقائد الإنسانية الأخرى...؟ فكانت الإجابة بـ نعم...

من هذه الإجابة بدأ المؤلف يعرض المقارنة بين المسيحية المتمثلة بعيسى المسيح، والإسلام المتمثلة بحسين الإسلام، وتلك المماثلة كانت من حيث الولادة، والاضطهاد والتشريد والعطش والإهانة والإنكار والتبشير بالشهادة... ثم يرى في نهاية هذا الفصل قوله: فبداهة القول أن أي فكر إنساني يطلع على السيرة العطرة لسيد الشهداء لابد وأن تتحرك في وجدانه نوازع الحب لهذا الشهيد المثالي، كما تحركت شبيهة هذه النوازع في قلبي كل من رسول القيصر والراهب...

ثورة الحب الإلهي:

في هذا الفصل يعرض المؤلف آراء

بعض المستشرقين والعرب وجعلهم مغرضين إذ دأبوا على الوقوع في خطأ جسيم في كل مرة يتصدون فيها للكتابة عن ملحمة كربلاء، إذ يقول بعضهم أن ثورة الحسين كانت عاطفية مرتجلة الغرض منها إحراج الذين خذلوه خاصة وبني أمية عامة، ويرد البعض الآخر حركة الحسين إلى رغبته في إثارة المؤيدين والرافضين على السواء، وحللها آخرون بأنها ثورة أخلاقية وحصرها آخرون في إطار رغبة الاستيلاء على الحكم... الخ.

بعدها تعرض المؤلف إلى الرد على هذه الأقاويل الخالية من الرؤية المتبصرة التي ترد مؤشرات الأحداث إلى منابعها، وتربط النهايات بالبدايات، لما وقعوا فيما وقعوا فيه من مغالطات وتجنٍّ على الحقيقة تجلت في رؤية الأحداث والحقائق من وجهة نظر تفصيلية مادية ضيقة وربط النتائج بالأسباب بكيفية تقليدية...

ثم قام راداً على بعض المشككين بهذه الواقعة من خلال استبعادهم لفكرة مجيء عيسى عليه السلام إلى كربلاء، إذ أنهم أشاروا إلى أن عيسى لم يخرج من فلسطين طيلة حياته، وأنه من غير المعقول أن يكون قد وصل إلى كربلاء في العراق، لذا فقد كان رده عليهم عنيفاً بالأدلة والبراهين العقلية والنقلية واصلاً إلى نتيجة مفادها، أن الطبائع البشرية قد جبلت على تقديس الشهداء وحبهم بوحي من فطرته الإنسانية... فكيف بالشهداء الذين تسبق شهادتهم شهادة نظائرهم ممن سيأتون لإتمام ما بدؤوه؟ على حسب ما يعتقده من شهادة المسيح عليه السلام.

ثم أردف هذا الفصل بفصول أخرى استوحى من بعض أقوال وخطب الحسين عليه السلام عناوين لها، منها كيف أن الحسين عليه السلام استوحى مقتله من خلال خطبته المشهورة (... خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة...) وفي فصل آخر أخذ المعجزات التي أعقبت الشهادة، ما هي إلا غضبة الخالق من عقوق خلقه الذي انتهى إلى قتل شهيده... ثم أشار في فصل آخر إلى حكمة الشهادتين شهادة عيسى عليه السلام وشهادة الحسين عليه السلام داعماً آراءه بأدلة من الطرفين المسيحية والإسلامية...

ثم أردف هذا الفصل بفصل آخر يوضح معجزات الشهادة في ضمير الإسلام وذلك من خلال دور العقيلة زينب عليها السلام ومواقفها ضد الحكم اليزيدي وما لها من وقع في ضمير الإنسانية في وقتها ولحد الآن، ثم دخل المؤلف إلى سليلة بيت النبوة ليعرف عنها وعن مواقفها الثرة وما لها من أثر في إسقاط الحكم الأموي بشخصية يزيد اللعين.

ثم تنفس المؤلف ثانية ليعود للثورة وليضع أهم الأسباب البعيدة والقريبة لها، إذ كان من أهم الأسباب البعيدة لها جذورها التاريخية والتي بدأت منذ عهد (عبد مناف)، ثم إلى قريش، فالهاشميون والأمويون من أرومة واحدة، إلا أنهم يختلفون عن بعضهم بالأخلاق والمثل، واعتبر ذلك من الأسباب التي دعت إلى الثورة حسب وجهة نظره.

ثم استعرض حياة الحسين عليه السلام تحت

سلطة معاوية ذاكراً فيها أهم المواقف التاريخية بين الحسين عليه السلام ومعاوية، وما كان للحسين عليه السلام من مواقف جادة ضد هذا اللعين الأفاك... بعدها جاء عهد يزيد الممتلئ بالفسق والفجور تاركاً وراءه الدين الإسلامي بوحدانيته، وذلك ما أشار إليه السيد جعفر الحلي إذ يقول:

لئن جرت لفظة التوحيد في فمه
فسيفه بسوى التوحيد ما فتكا
قد أصبح الدين منه يشتكي سقماً
وما إلى أحد غير الحسين شكا

ثم استطرد في الحديث عن خروج الحسين عليه السلام وكيفية توجهه إلى الواقعة، بعدها عقب أهم الأقوال والمواقف مع أصحابه وأهل بيته في طريقه إلى الموقع وفي اثناء الواقعة... بعدها استعرض مقتل الشهيد عليه السلام يوم عاشوراء من حين صلاته بأصحابه إلى ساعة استشهاده، وكذلك عرض عام لأهم مواقف أهل بيته وأصحابه في الميدان...

ثم عاد ثالثة ليثبت تنبأ المسيح عليه السلام بالحسين عليه السلام وذلك عن طريق لعن المسيح عليه السلام قاتلي الحسين وأمر بني إسرائيل بلعنهم، وقال: من أدرك أيامه فليقاتل معه، فإنه شهيد مع الأنبياء مقبلاً غير مدبر، وكأني أنظر إلى بقعته، وما من نبي إلا وزارها، وقال إنك لبقعة كثيرة الخير، فيك يدفن القمر الزاهر...

وفي الختام توصل المؤلف إلى أن الشخصية هي محصلة التربية في عهد الطفولة الغضة، حيث الفتى بمكوناته النفسية يشبه الأسفنجة الماصة التي تختزن في مسامها ما تمتصه، لتفرغه مجدداً متى عصرت...

فاعلم يا عزيزي القارئ: ما أجدر بثورة كثورة الحسين عليه السلام من أن توصف بالشمولية، فهي ثورة لكل إنسان فوق هذا الكوكب. ولعل كتاب الحسين في الفكر المسيحي وما خطه يراع هذا الكاتب المسيحي لهو أروع صورة للواقعة حلل فيه بشيء كبير من الصدق والإخلاص ملحمة كربلاء مستخلصاً من كل ذلك شمولية الثورة واتساعها، فضلاً عن تأكيداته على ضرورة التمسك بتعاليم الحسين عليه السلام والتوجه نحو منارة مثله، طمعاً في النجاة من الضلالة والضياع...

وأنا من هذا المنبر الحر إذ أوصي المسلمين بقراءة هذا الكتاب قراءة مستفيضة، فهو كتاب جديد في منطلقه، عميق في أبعاده، هادف في مضامينه الفكرية، فريد في بابه، وقد أثار جدلاً في الأوساط الثقافية والفكرية نظراً لما احتواه من موضوعية وطرح جديدين...

ولنختم بحثنا هذا بقول الأستاذ (كرم قنصل) في مجلة (الكلمة) السورية عام (١٩٧٩م) إذ يقول:

(ولأول مرة اكتشفت إمكانية إيجاد لغة ملائمة لبحث يغوص في موضوع ديني تاريخي، لغة لا يملها الفك ويحتار في وصفها الذوق الرفيع، لما ملكته من رشاقة وغنة وإيقاع سهل ممتنع، يجمع بين إيقاع لغات الصحافة والأدب والبحث الجاد، كأنها جعلت من سطور الكتاب سمفونية رائعة، فيها من كل لون قبس، ومن كل عطر أريج، ومن كل صوت نغمة...

والحمد لله رب العالمين ■

فلسفة الثورة الحسينية وثقافة عاشوراء المستمدة

• د. مشكور العوادي
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

ينابيع (قل هذه سبيلي) فلسفة قد خطها الحسين عليه السلام في الطفوف، جسدها شهادة نجيه المسفوح، أنموذجاً مبصراً على المدى يثور، مقتدياً بجده وآله الأطهار عليهم السلام...، وهكذا ثقافة التأويل في العصور، بالأمس يحيى مخلصاً ورأسه القطيع، قد قرأ التنزيل والمسطور، وفي غد وبعده عاشورنا الفداء... بالمنقذ المنصور للسماء...

إن الثورة عملية تغيير شامل للأنماط الحياتية المعاشة ونقلها من حال كانت عليه إلى ما بعدها بغض النظر عن كون التغيير إيجابياً أو سلبياً، أما الثورة الإصلاحية فهي من نمط التغيير الإيجابي نحو الأفضل فقط، وتكون دائماً متوشحة بالدماء العزيزة التي تجري قرباناً وتضحية من أجل الإصلاح المطلوب.

والقول بالفلسفة لاستنباط الحكم التاريخية والأخلاقية والاجتماعية من خلال هذه الثورة التي لم تستغرق في نهايتها سوى ليلة وصبيحة يوم ولكن مداها التأثيري تطاول إلى ألف وأربعمئة سنة وهي يانعة تتجدد كل حين مع إضافات هذه العصور والدهور المتلاحقة، وهنا يقول المرحوم

العقـاد: (وتلك جريرة يوم واحد هو يوم كربلاء. فإذا بالدولـة العريضة تذهب فـي عمر رجل واحد مديـد الأيام، وإذا بالغالـب فـي يـوم كربلاء أخسـر من المغلوب إذا وضعـت الأعمار المنزوعة في الكفتين)[1].

وفلسـفة الثـورة الحسـينية من خط هـذه الثـورات الإصلاحيـة العملاقـة ذات الأثـر الخالد الـذي لا يمحى، لأنها لطلب الإصلاح في أمة الإسـلام بعد أن انحرفـت تعاليمـه على يـد المنافقين إذ جعلوا الخلافة ملكاً عضوضاً وحكموا أهواءهم فـي قيادة أمة أسـلمت قيادها لطواغيـت الكفر والفسـق أمثال يزيد وأترابـه من جـلاوزة الدولـة البيزنطية والرومانية كسرجون النصراني ورجاء بـن حيـوة اليهـودي وميسـون الكلبية ودسـائس القصـور الدمشـقية، إذ تعاضدت المؤامرة اليهودية والنصرانية كيـداً للدولـة الإسـلامية الفتيـة التي افتتحت تاريخها بقتل ابن بنت نبيهاﷺ، لذا جاءت زيارة الغدير ـ من هذا الباب ـ وهي تبين أن الظلمة والقتلة ليسوا واحداً وليسـوا من زمـن واحد فتقـول: (اللهم العن ظالمي الحسـين وقاتليه والمتابعين عدوه وناصريه والراضين بقتله وخاذليه لعناً وبيلاً...)[2].

وقـد بين الإمـام الحسـينعليه السلام بدءاً أسباب هذه الثورة لما حل بالمسلمين من ظلـم وجوع واضطهـاد وتحريف لدينهم واختـلاس لأموالهـم، فمثـلاً قولهعليه السلام ـ لمعسـكره حيـن قابـل جيـش الحـر الرياحي ـ بعـد أن حمد الله وأثنى عليه: (أيها الناس إن رسـول اللهﷺ قال: (من رأى سـلطاناً جائراً مستحلاً لحلال الله ناكثـاً لعهـد الله مخالفاً لسـنة رسـول اللهﷺ يعمـل فـي عبـاد الله بالإثـم والعدوان فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول كان حقـاً علـى الله أن يدخلـه مدخله) ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشـيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلـوا الحـدود واسـتأثروا بالفـيء وأحلـوا حـرام الله وحرمـوا حلاله وأنا أحـق من غيـري وقـد أتتنـي كتبكم ورسلكم ببيعتكم وإنكم لا تسلموني ولا تخذلونـي فإن أتممتم عليّ ببيعتكم

تصيبوا رشدكم...)[٣].

فإقامة التوحيد بالتضحية والفداء هو طريقه الأوحد في الحب الإلهي، وعندها نجد أن مسلك الإمام العاشورائي مسلك متفرد في حيثياته ومبتعد عن منطق العقل الدنيوي بلحاظ حمل العائلة كلها إلى موقع الجهاد والموت المؤكد هذا أولاً، وثانياً مقدرة الإمام عليه السلام على التخلص من الموقف على طول الخط من خلال مراحل الطريق ورسله ويأبى إلا أن يدخل أرض الغاضرية واحتدام موقعة الطفوف.

أما دوافع هذه الثورة فقد أعلن عنها الإمام الشهيد عليه السلام، نقتبس منها قوله: (إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد عليّ هذه أصبر حتى يحكم الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين)[٤].

إذن نداءات عاشوراء هي نفسها شعارات الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وهي نفسها شعارات الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ بوجه العتاة الظلمة الفاسقين، من هنا فإن فلسفة هذه الثورة تبحث على عدة أصعدة وهي الآتي:

الصعيد الأول (على المستوى العقائدي وترسيخ الثوابت الإسلامية):

لقد كانت شجرة الإسلام على وشك الذبول وارتخاء الجذور وتهاوي الأغصان نتيجة الضربات العشوائية لطغمة الشيطان وحزب المنافقين الذي تسنم الأمر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى كادت الأمة أن تعود إلى جاهليتها ونعراتها العصبية، فلم يجد الإمام الحسين عليه السلام بداً من سقيها بشاخب دمه الطاهر مع دماء الأهل والأصحاب الأبرار سقياً لإيناعها من جديد أصولاً وفروعاً...

أما علاقة هذا المستوى بفلسفة الثورة فإنها تكمن في كونه من أهم أهداف الثورة، لأن الإمام عليه السلام بألمعيته قد لاحظ خفوت الولاء العقائدي للأمة وتأثر الناس ببهارج الدنيا الباطلة وذلك بسبب طغمة الحكام الفاسدة التي حاولت القضاء على الإسلام عن طريق كثير من علمائه الذين أصبحوا من علماء السلاطين، فزينوا لحكام أمية ما زينوا.

الصعيد الثاني (على المستوى الثقافي):

بعد أن انتشرت المجاعة في المجتمع الإسلامي وسادت سوء الحال المعاشية نتيجة سوء تدبير الحكام الأمويين الذين كانوا لا يهمهم إلا السيطرة على رقاب الناس وتوزيع الثروات على بطائنهم وأذنابهم وعندها بلغ بأهل الكوفة إلى الخناق فكسدت الأسواق وتوقفت حركة التجارة، لذا خاطبوا الإمام الحسين عليه السلام وهو في الحجاز ليخلصهم بعد أن ضاقت سبل العيش عليهم، وبعد أن جاءهم نكثوا بيعته وخذلوه بعد أن أعطاهم الأمويون الأموال وأغدقوا عليهم وهم منعوهم أول مرة.

فلسفة الثورة في هذا الصعيد

انطلقت من إحساس الإمام عليه السلام العالي بمسؤوليته في توزيع الأفياء على الشعب على نحو عادل من دون اختزانها عند فئة دون أخرى، وهو ما عمله الأمويون بمشورة العقل اليهودي في بلاطهم وهو (رجاء بن حيوة) وهو من الذين دمروا الدولة الإسلامية من الداخل بعد اعتناقهم الإسلام زوراً وبهتاناً.

لذا أراد الإمام عليه السلام توزيع جبايات هذه الدولة وكانت أضخم جباية دولة في العالم على الشعب المسكين الذي لا يجد رغيف الخبز في بيت ماله الذي كان خاوياً في الولايات (بيوت الأموال) في حين تجتمع خزائن الأرض في العاصمة (دمشق) فقط بيد الطاغية، اللاهي يزيد الفاجر.

الصعيد الثالث (على المستوى التأثيري):

ونقصد به تخطيط الإمام عليه السلام أن تبقى حركته الثورية صادقة متجددة (مثالاً حياً لكل زمان ومكان)، وعلى عدة محاور:

الأول: محور الاستمرار الزينبي، أو محور المرأة المجاهدة، أي أن تبقى العقيلة الطاهرة عليها السلام رمزاً متواصلاً للجهاد الحسيني الثائر للحق في وجه الباطل على مر العصور، وقد تجلى ذلك بشموخ في خطبها عند طاغية العراق وقتذاك عبيد الله بن زياد وعند طاغية الشام يزيد.

الثاني: المحور الأسري، وهو يتصل بإبراز كوكبة من أهله إلى ساحة الوغى والشهادة لكي يحتسبهم عند الله، وكذا النساء وسبيهن ومسيرتهن الطويلة للشام مما يمثل بحق الحلقة الثانية من حلقات هذه الثورة، وهي ثورة المرأة المجاهدة، والأسرة المجاهدة من هاشميات رحل رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا ما حققه الإمام الحسين عليه السلام لأنه كان أساساً مشروع تضحية بالنفس والنفيس حتى وصلت تضحيته إلى رضيع لم يتجاوز من العمر بضعة أيام بل حتى ضحى بعائلة أخيه ـ أبناء الحسن عليه السلام ـ المخول بها.

الثالث: المحور الشعوري الأدبي، وهو يمثل مجموع الخطب الثائرة التي وجهها الإمام الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة في محافلهم واجتماعهم وعدم نصرتهم، عندما كانت الألسنة موجهة إلى صدور أهله وصحبه وعياله.

أما أثر القرآن في هذه الثورة فناصع جليل، لأن هذه الثورة تتفذلك في فحواها حول مفهوم الشهادة والتضحية المقرونتين بالإجلال في تبيان آيات القرآن، من ذلك قوله تعالى: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)[٥].

فإنهم قوم بايعوا الله في تجارة لن تبور فأعطوه الأنفس مقابل الجنان، وقد رضوا ببيعهم الذي بايعوا، فالحسين عليه السلام إماماً هو الحسين شهيداً، والحسين شهيداً هو أمة كاملة كما كان إبراهيم عليه السلام في قومه أمة، لذا فأثر الصوت الحسيني خالد لأنه بقوة صوت أمة كاملة ضحت بذاتها وأهلها وصحبها في سبيل أن تبقى كلمة الله

راسخة في الأرض بعد هبوب الرياح الأموية عليها مندفعة من جهات دنيوية وسياسية مختلفة، ومن هنا فقد جسد الحسين عليه السلام مفهوم الشهادة القرآنية تطبيقاً على أعلى مستويات الشهادة.

أما الدم الحسيني وفوارته الخالدة فهي متأتية من النجيع المقدس للإمام المفترض الطاعة وأهل بيته وصحبه، ولأنه كان ثمن التضحية والفداء عن نصاعة تعاليم الإسلام واشراقة وجهه التي غطاها رين الطغيان الأموي وزيف الأهواء المتسلطة على يد دسائس معاوية وأركان إدارته العاتية.

من هنا حمل هذا الدم الطاهر معجزته بلحاظ الخلود، ولا مشاحة من القول بهذه المعجزة التي تربو على كل معجزة استشهادية في التاريخ لأنه إمام مفترض الطاعة والإمام عدل القرآن (العدل: المكافئ) فإذا كان المداد القرآني بمثابة بحار جارية للإعجاز القرآني ولكن لا يمكن تجفيفها وإيقاف جريانها بيد الطواغيت لأنها لا نفاد لها لكنهم قدروا على سفك دماء جارية في جسد المكافئ للقرآن وهو الدم الحسيني (الذي تقدس بلحاظ كونه دم الإمام) وهو يعادل البحار

الجارية في المداد القرآني، وإمكان ملاحظة العلاقة بينهما في أن الدماء نوع من البحار ولكنها حيوية تمنح الحياة كما أن البحار تمنح الحياة لكائناتها (والله أعلم).

ولما كان أساس حركة الثورة الحسينية التوحيد بالفداء والشهادة فإن لها ارتكازاً سابقاً مشرفاً ولاحقاً مشرفاً، فسابقه ثورة النبي يحيى عليه السلام بوجه حكام الجليل اليهود العابثين بالزنى والفواحش مما استشرى في مجتمعاتهم، فأتاهم النبي لتطهيرهم من هذه الخلال المقيتة فانقلب عليه الناس وتآمروا مع الملك عن طريق بغي لقطع رأس هذا النبي الشريف فقام الملك بقتله إرضاءً لهذه البغي الدنسة[٦]، فكان شهيد الفضيلة بيد الرذيلة، لأنه أراد إصلاحاً في ثورته الأخلاقية وتمهيداً لمجيء المسيح عليه السلام من هنا يشترك الإمام الحسين عليه السلام مع هذا المصلح العظيم في ثورته إذ كانت دعوة الإمام للإصلاح الإسلامي العام وقد عتم عليه جلاوزة بني أمية الورثة غير الشرعيين لخلافة النبي الأعظم محمد المصطفى صلى الله عليه وآله، هذا من جهة ومن جهة أخرى تبشيره بطريق خفي بالمصلح الأعظم (الإمام المهدي المنتظر)، كما بشر يحيى عليه السلام بالنبي (عيسى) وهو من أولي العزم.

فالحسين عليه السلام إذن نواة مهدوية لو توافرت لها الظروف والعدد الكافي المنجح للثورة لكان هو المخلص العام للعالم لأنه لا يكتفي عندئذ بإصلاح وضع الشام فقط عن طريق إسقاط يزيد مثلاً ولكنه بلحاظ إمامته العامة وولايته التامة يقوم بنشر الإسلام وإظهاره على الدين كله ولكن شاء الله أن يؤجل هذه العملية لأسرار غيبية تختص بها حكمته إلى أجل غير مسمى.

إذن لاحقه المشرف هو الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) الذي نلحظ أن أهم ألقابه (الآخذ بذحول شهداء كربلاء) وليس بالمنظار الضيق (القبلي أو العصبي أو الفئوي أو المذهبي) أو غيرها لأن المهدي فوق هذه الاعتبارات بل الأخذ بثأر الحسين وهو ما يمكن في نشر العدل الإلهي على عموم الأرض وهذا ما جعلنا نقول بقدسية هذا الدم وموازاته للعدل الإلهي وللمداد القرآني، بلحاظ أن الأخذ بثأر هذا الدم هو دولة العدل الإلهي الكامل، لأنه سفك لاعتبارات شمولية مطلقة ولذلك كما أشارت الروايات (بكت عليه السماء وتغيرت الآفاق فقد أمطرت عليه السماء دماً وتفجرت الأرض دماً وكانت الرياح الهابة حمراء، وإخباراً عن نوح الجن على الإمام الحسين وغيرها)[٧].

وهذا ما يؤكد أن هذا الدم ليس محدوداً ببنية الجسد الحسيني فهو - إن جاز التعبير - دم كوني... ولما كان الإمام المهدي مصلحاً كونياً فيبقى الأثر الحسيني وهو الدم الحسيني يطالب ولا يهدأ بالثأر وثأره بطلب العدالة، فلا يهدأ إلا حين يأتي المهدي ويواسي هذا الدم بنشر العدل ولا حل له إلا هذا وذلك في علم الله وغيبه.

أما الثقافة العاشورية المستمدة من هذه الثورة فهي المائز الأكبر والتبيان الأبهر في تمييز الحق عن الباطل في جميع أوقات الدنيا وأصقاعها إذ يصلح الدم الحسيني أن يكون ميزاناً فارقاً، بين حزب الرحمن المفلحين وحزب الشيطان الخاسئين، لذا عملت هذه الثورة على ترسيخ مفهومات الفداء والتضحية والشهادة من أجل الحق وطلب الحرية في مجاهدة الباطل، ومن هنا فإن مقولة (كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء) معناها: الوقوف بوجه الطواغيت وسالبي الحريات والثروات أياً ما كانوا دون المداهنة أو المصالحة معهم وفي كل حين، فمجاهدتهم فرع من الجهاد الحسيني ومصداق حي من مدرسة الدم الحسيني الذي سفح على أديم كربلاء، ومن ذلك الأديم كانت دروس عاشوراء دروساً ضخمة وشاملة لكل الفئات العمرية، لأن العائلة التي برزت لجهاد الطغيان كانت منتقاة إلهياً من جميع الشرائح، شيوخاً ورجالاً ونساءً وأطفالاً، حتى تكون أمثلة لجميع مراحل الأعمار التي يمر بها الإنسان، أما كونها منتقاة إلهياً فمن باب (أن كل حدث بعين الله وعنايته) وعلى ذلك فلم تصل العقيلة زينب عليها السلام إلى أرض كربلاء إلا بالمشيئة الإلهية السابقة على خروجها، كما في بعض الروايات: لقول الإمام عليه السلام (شاء الله أن يراهن سبايا على أقتاب المطايا)[٨].

وعلى ما تقدم فإن إمامية الحسين عليه السلام بشهادته هي تقدمه في أمامية قافلة الشهداء نحو فجر النور الطالع لركوب سفينة النجاة ونور الحياة لاسيما وأن سفينة الحسين عليه السلام أوسع السفن وأسرعها وهي سفينة النجاة، أما كونها الأوسع فلأن الذي حملهم معه أكثر الناس من جميع العالم وهي تسير على بحار الفتن وتنقذ هؤلاء المظلومين من الأمواج الهائجة للفتن والبلايا وتوصلهم إلى ساحل الأمان، وهي الأسرع من باب أنها تشق عباب الفتن شقاً وتمخر الابتلاءات مخراً... فسفينة بهذه الاعتبارات كانت لأنه أبو الأحرار وعلى ذلك فطلب الحرية يسرع في النجاة كما كانت سفينة نوح عليه السلام منجاة للجنس البشري والحيواني ولكن أمواجها الماخرة هي أمواج الطوفان المائي، وليست الفتن الدنيوية والابتلاءات العقائدية... ومن هنا فسفن أئمة أهل البيت عليهم السلام أهم من سفينة نوح لأن الماء أهون خطراً من الابتلاء والفتن.

وبعد فقد أوقف الحسين عليه السلام الزحف والردة الجاهلية كما حطمها من قبل جده المصطفى صلى الله عليه وآله، فهو امتداد له ولرسالته، كي يبقى الذكر الإلهي مجسداً بشخوص الرسالة والنبوة والوصاية رغم أنوف أمية التي حاولت دثر الدين... وهذا المعنى هو ما استله الإمام زين العابدين عليه السلام في المدينة حينما سئل ذات يوم بعد واقعة عاشوراء: (من الغالب؟ فقال الإمام عليه السلام: إذا دخل وقت الصلاة فأذن وأقم، تعرف من الغالب).

فببقاء الصلاة بقي الدين... وبقي

الصبر والمصابرة على جهاد أعدائه، وهكذا فإن أهوال عاشوراء لم تقتصر على حر السيوف وطعن الأسنة بل عطش العطاشى وجوع البطون ورهبة الموقف والنيران المشتعلة في خيام النساء والأطفال... وتجسد هذا كله من معسكر اللئام الذين انتزعت منهم كل مظاهر الإنسانية بل مسخوا مسخاً لأنهم قتلوا في هذه العترة تقتيلاً...

وخلاصة ما تقدم: فإن فلسفة الثورة الحسينية، قد تأتت من تصديه لمؤامرة عالمية أسهمت فيها جميع طواغيت الأرض في ذلك الوقت، فمنهم من أسهم بالمال ومنهم بالدسيسة ومنهم بالرأي الفاسد ومنهم بالسيف وهم أداة التنفيذ، لذا فإن الأخذ بثأره على يد حفيده الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه يكون بنشر العدل عالمياً في الأرض كلها بعدما ملئت ظلماً وجوراً كما يقول الحديث وهذا مصداق للعدل الإلهي العظيم.

والحمد لله أولاً وآخراً ■

---

(١) أبو الشهداء الحسين بن علي، ص٢١٦.
(٢) ضياء الصالحين، ص١٦٤.
(٣) الكامل في التاريخ، ٣/٤٠٨-٤٠٩.
(٤) نقلاً عن: ثورة الحسين، محمد مهدي شمس الدين، ص١٣١-١٧٨.
(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.
(٦) ينظر: منبر الصدر، ص٥٠ وما بعدها، قطاف المسجد، دروس كربلائية، للخنيزي، ص١١٦-١٢٧.
(٧) ينظر: ترجمة الإمام الحسين(ص) من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ص٣٥٣، ص٣٥٤، ص٣٥٨، ص٣٥٩، ص٣٩٣.
(٨) أعيان الشيعة ١/٥٩٣، ومنبر الصدر، ص٧٧.
(٩) مقتل الحسين، المقرم، ص٣٧٠، وسائل الإمام عليه السلام هو إبراهيم بن طلحة.

أجوبة مسابقة العدد الرابع عشر وأسماء الفائزين

السؤال الأول: ب. أصفهان

السؤال الثاني: أ. بركة بنت ثعلبة الحبشية

السؤال الثالث: أ. سنة ١٤ هـ

السؤال الرابع: ب. العلامة الحلي

السؤال الخامس: أ. فيلسوف الشرق

السؤال السادس: أ. في الركن الجنوبي الشرقي

السؤال السابع: ب. الفضيل بن يسار

السؤال الثامن: ج. خمسة أشخاص

السؤال التاسع: أ. سورة الكوثر

الفائز بالجائزة الأولى: علي عامر أحمد/ النجف الأشرف.

الفائزة بالجائزة الثانية: ندى چخيم ياسين/ النجف ـ الكوفة.

الفائز بالجائزة الثالثة: عمار حسن حذيه/ النجف الأشرف.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

مسابقة العدد

١ صحابي جليل أدرك الرسول ﷺ وسمعه يقول: «إن ابني هذا يقتل بأرض العراق، فمن أدركه منكم فلينصره» فكان ممن أدرك الإمام الحسين عليه السلام ونصره، فمن هو؟

أ ـ الأدهم بن أمية العبدي

ب ـ حبيب بن مظاهر الأسدي

ج ـ أنس بن الحارث الكاهلي

٢ قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «كلما مررت على دور آل عقيل خنقتني العبرة» فقد قتل جميعهم.. فكم كان عددهم؟

أ ـ ١٢

ب ـ ١٥

ج ـ ١٧

٣ **لم أنسه إذ قام فيهم خاطباً**
فإذا هم لا يملكون خطابا
يدعو ألست أنا ابن بنت نبيكم
وملاذكم إن صرف دهر نابا

لمن هذه الأبيات؟

أ ـ السيد رضا الهندي

ب ـ الشيخ صالح الكواز

ج ـ السيد باقر الهندي

٤ نزل الإمام الحسين عليه السلام الصفاح فوافقه في المنزل الفرزدق الشاعر الذي نصحه قائلاً:

أ ـ ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة

ب ـ لا تقدم إلا على الأسنة وحدّ السيوف

ج ـ قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية

كوبون مسابقة

ينابيع

العدد (١٦) محرم الحرام ـ صفر ١٤٢٨هـ

	أ	ب	ج
جواب السؤال الأول			
جواب السؤال الثاني			
جواب السؤال الثالث			
جواب السؤال الرابع			

٥ خرج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة قاصداً مكة حيث البيت الحرام والمقام المعظم، فمتى دخلها؟

أ ـ ٣ رجب

ب ـ ٣ شعبان

ج ـ ٣ رمضان

٦ عبدالله بن يقطر أمه ميمونة كانت حاضنة الحسين عليه السلام، وقد بعثه إلى الكوفة فقبض عليه الحصين بن نمير.. ففي أي مكان قبض عليه؟

أ ـ واقصة

ب ـ القادسية

ج ـ زرود

٧ من أنصار الحسين عليه السلام، أذن له الإمام بالانصراف فقال: «أكلتني السباع حياً إذا فارقتك» فمن هو؟

أ ـ بشر بن عمرو الحضرمي

ب ـ زهير بن القين البجلي

ج ـ عبدالله بن خالد الصيداوي

٨ من جملة الذين حذروا الإمام عليه السلام من مسيره إلى العراق عبدالله بن عباس فقد اقترح السير إلى بلد آخر، فما اسم ذلك البلد؟

أ ـ اليمن

ب ـ اليمامة

ج ـ البحرين

٩ اختلفت التسميات التي عرفت بها كربلاء، وكان من بينها:

أ ـ سورا

ب ـ العقر

ج ـ خد العذراء

	أ	ب	ج
جواب السؤال الخامس			
جواب السؤال السادس			
جواب السؤال السابع			
جواب السؤال الثامن			
جواب السؤال التاسع			

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى: ٧٥،٠٠٠ دينار.

الجائزة الثانية: ٥٠،٠٠٠ دينار.

الجائزة الثالثة: ٢٥،٠٠٠ دينار.

يتعين الفائز بعد إجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط.
* يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة.
* آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ربيع٢/١٤٢٨هـ.